من مكتبة التراث

الموجز

لأبي عمار عبد الكافي الأباضي

الجزء الأول

خرّج أحاديثه وعلّق على نصوصه
الدكتور
عبد الرحمن عميرة

دار الجيل
بيروت

الطبعة الأولى
١٤١٠هـ - ١٩٩٠م

المُوجَز

لأبي عمار





مقدمة المحقق

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على خاتم الأنبياء والمرسلين محمد بن عبد الله، جاء بالرسالة الخاتمة، ودعا إلى التوحيد الخالص.

توحيد الخالق فلا إله إلا الله.

وتوحيد العقيدة فلا دين إلاّ الإسلام

وتوحيد الخلق: «كلكم لآدم، وآدم من تراب».

وأمر بالوحدة، ونهى عن الفرقة، وبلَّغ عن ربه قوله تعالى: ﴿ٱلْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ، وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ ٱلْإِسْلَامَ دِيناً﴾[1].

يطيب لنا أن نقدم للأمة الإسلامية بعامة، وللمشتغلين بقضايا الفكر وعلم الكلام بخاصة كتاب «الموجز» لأبي عمار، والذي سبق أن قام بتقديمه إلى الأمة العربية الأستاذ الدكتور عمار طالبي. والحق يقال، لقد بذل في إخراجه في طبعته الأولى جهداً كبيراً، وذلك أن الدكتور طالبي حباه الله تعالى عقلاً ذكياً، وفكراً ألمعياً، ومقدرة فائقة في التعامل مع المخطوطات وكتب التراث. وقد وُضع بين يدي الدكتور الإمكانيات التي سهلت له مراجعة نصوص الكتاب على أكثر من مخطوطة، حتى خرج الكتاب في صورة طيبة مشرقة. حدث ذلك

(١) سورة المائدة آية رقم ٣.

من عشر سنوات، وقدم له بمقدمة كبيرة قال فيها: «وقد سلكنا في هذا البحث منهجاً تاريخياً موضوعياً نقدياً مقارناً في نطاق الفرق الاسلامية، وحاولنا أن نلتزم الموضوعية، وأن لا نتجنى على مذهب لحساب مذهب آخر. وإنما قصدنا إلى إجلاء الحقيقة بقدر المستطاع، وبقدر ما سمحت لنا المواد التي وصلنا إلى جمعها، والنصوص التي جهدنا في الإطلاع عليها وفي فحصها»[1].

قال ذلك الدكتور منذ عشر سنوات. ولا شك أن هذه الفترة من عمر الزمن أظهرت أفكاراً جديدة، وفجرت ينابيع كثيرة من المعرفة أردنا في الحقيقة أن نضيفها إلى الجهد السابق الذي بذله الدكتور طالبي في هذه الموسوعة الكبيرة والتي تعتبر إضافة جديدة إلى مكتبة علم الكلام.

أضف إلى ذلك أنه قد أتيحت لنا فرصة تدريس هذا الكتاب على طلاب قسم العلوم الإسلامية، بجامعة السلطان قابوس. وكان الطلاب في قاعة المحاضرة كثيراً ما تستوقفهم المصطلحات الفلسفية، والتراكيب اللغوية، ـ وهي كثيرة ومتنوعة ـ الأمر الذي جعلنا نقدم على شرحها وتبيان غامضها، وفك ما فيها من طلاسم وألغاز، حتى يتمكن الطلاب من استيعاب الكتاب والانتفاع بما فيه من آراء وأفكار. ولقد اقتصر عملنا على هذا الجانب مع تخريج الأحاديث وتصحيح آيات القرآن الكريم، التي حدث فيها تصحيف نتيجة الطباعة، وترجمة بعض الرجال بقدر ما سمحت به المراجع التي بين أيدينا والإشارة إلى أماكن المدن والبلدان. أما تصحيح النص وضبطه، ومطابقة النسخ وبيان ما فيها من فروق، فقد استكملها الدكتور عمار طالبي في طبعته الأولى.

وهناك سبب ثالث دعاني إلى الاهتمام بهذا الكتاب ومعايشته فترة ليست قصيرة من عمر الزمن، وذلك للتعرف على أفكار وآراء طائفة الخوارج في الجانب العقدي من مصدر إن لم يكن منصفاً لهم، فهو على الأقل لا يميل مع الهوى ولا يحابي في الحق من أجلهم.

---

(١) راجع المقدمة ص ١١.

ولقد سبق أن قمنا من بضع سنوات بتحقيق كتاب «شرح العقيدة الطحاوية» للعالم الجليل علي بن علي بن محمد بن أبي العز الحنفي. وهو كتاب يمثل آراء المدرسة السلفية في جانب العقيدة.

ثم أتبعنا ذلك بتحقيق كتاب «شرح المقاصد» للعالم الجليل سعد الدين التفتازاني، وهو يمثل مجموعة آراء جماعة الأشاعرة «أهل السنة والجماعة» في جانب العقيدة.

وعايشنا آراء الفرقة الأباضية عندما قمنا بتحقيق كتاب «مشارق أنوار العقول» للشيخ نور الدين السالمي بالاشتراك مع فضيلة الشيخ أحمد بن حمد الخليلي (مفتي عام سلطنة عمان).

وعندما استعرض هذه المؤلفات التي دبجتها يراعة العلماء في علم الكلام يهولني كثرة المعارك التي إن دلت على شيء فانما تدل على الترف العقلي الذي عاشه علماء المسلمين في فترة طويلة من تاريخ الاسلام.

إن هذه المعارك التي عاشها المسلمون في دنيا الواقع، وسجلها العلماء في كتبهم كان لها آثار سيئة ونتائج سلبية أدت إلى تأخر المسلمين وانحطاطهم في كثير من جوانب الفكر والمعرفة.

وتساءلت بيني وبين نفسي على أي شيء اختلف المسلمون؟ فشرقت بهم السبل وغربت... ولماذا كان هذا الاختلاف؟ ورسول الله (ﷺ) يقول لهم في أخريات حياته: «تركت فيكم ما إن تمسكتم به لن تضلوا بعدي أبداً: كتاب الله تعالى، وسنة رسوله. تمسكوا بهما، وعضوا عليهما بالنواجذ»[1].

هذه الاختلافات التي سجلها تاريخ الاسلام أوقعت بالمسلمين هزائم متلاحقة. لقد انهزموا في المعارك الحربية عندما وجهوا سيوفهم إلى صدور اخوانهم في العقيدة بعد أن كانت تشرع هذه السيوف للدعوة إلى دين الله ورفع كلمة التوحيد.

---

(١) أخرجه الترمذي في كتاب المناقب

وانهزموا في معاركهم السياسية عندما فتحت أبواب بغداد أمام جحافل التتار بيد فئة من المسلمين مارقة ضد فئة أخرى حاكمة.

وانهزموا أيضاً في معاركهم السياسية عندما فتحت أبواب قاهرة المعز للصليبية المتنمرة بيد فئة أخرى مسلمة حاقدة[1].

ونستطيع أن نقول إن جل اختلاف المسلمين بصفة عامة كان في المتشابه. ولقد نهانا الله سبحانه وتعالى عن الوقوف عند المتشابه والخوض فيه. قال تعالى: **﴿فَأَمَّا الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ زَيْغٌ فَيَتَّبِعُونَ مَا تَشَابَهَ مِنْهُ ابْتِغَاءَ الْفِتْنَةِ وَابْتِغَاءَ تَأْوِيلِهِ﴾**[2].

والرسول (ﷺ) يقول: «إتبعوا ولا تبتدعوا فقد كفيتم».

عوامل الاختلاف بين الأفراد والجماعات

ولكن السؤال الذي يطرح نفسه: لماذا اختلفت البشرية فيما بينها قديماً وحديثاً؟

ولماذا تباينت أفكارها وآراؤها؟

ألأن ذلك شيء من طبيعتها وجبلتها..؟

إن الله سبحانه وتعالى يقرر: إن البشرية أصلها واحد، لا اختلاف فيه، ولا تباين في عنصرها الذي خلقت منه.

قال تعالى: **﴿إِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَائِكَةِ إِنِّي خَالِقٌ بَشَراً مِنْ طِينٍ﴾**[3].

وإذا كان الأصل واحداً، وطبيعة الأرض لا تباين في عنصرها ولا تفاوت فلماذا اختلفوا..؟

---

(١) راجع هذا هو الطريق للمحقق

(٢) سورة آل عمران آية رقم ٧

(٣) سورة ص آية رقم ٧١

وما هي أنواع التباين وأسباب الاختلاف..؟ وهل في مقدورنا أن نحدد ذلك ونحصره..؟

إننا نستطيع أن نقول: إن الناس دائماً يختلفون فيما بينهم في آرائهم وأفكارهم، ويختلفون في نزعاتهم وتصوراتهم.

ويختلفون على عروض التجارة وأسباب الرزق.

ويتباينون في امتلاك الأرض وحيازة متطلبات الحياة.

بل إن الخلاف أعمق من ذلـك، ولا يمكن حصره في شيء معين، أو التعبير عنه بموضوع من الموضوعات.

وهذا الاختلاف في الآراء وتباين وجهات النظر شغل الكثير من العلماء والمفكرين على مدار التاريخ، وأدلى بعضهم برأيه في هذا الميدان، وحاول أن يوضح ما ذهب إليه بأدلة متتابعة، وآراء متلاحقة.

ومع ذلك كان يبقى في النهاية شيء لا يمكن الوصول إليه، أو الكشف عن حقيقته وجوهره، لأنه من الأمور التي اختص الله سبحانه وتعالى بها ولذا يقول في محكم كتابه:

﴿وَلَوْ شَاءَ رَبُّكَ لَجَعَلَ النَّاسَ أُمَّةً وَاحِدَةً وَلاَ يَزَالُونَ مُخْتَلِفِينَ * إِلاَّ مَنْ رَّحِمَ رَبُّكَ وَلِذَلِكَ خَلَقَهُمْ وَتَمَّتْ كَلِمَةُ رَبِّـك لأَمْلأَنَّ جَهَنَّم من الْجِنَّـةِ وَالنَّاسِ أَجْمَعِينَ﴾[1].

ويطيب لنا أن نستعرض بعض آراء مفكري المسلمين، علنا نضع أيدينا على ما يوضح لنا الطريق، ويبين لنا بعض المسالك في هذه القضية.

فمثلاً نرى الشهرستاني صاحب كتاب «الملل والنحل» يقرر أن أول شبهة وقعت في الخليقة هي شبهة إبليس ـ لعنه الله ـ ومصـدر الشبهة هـو استبداده بالرأي في مقابلة النص، واختياره الهوى في معارضة الأمر، واستكباره

(١) سورة هود الآيتان ١١٩ و١٢٠.

بالمادة التي خلق منها ـ وهي النار ـ على مادة آدم (عليه السلام) وهي الطين.

وانشعبت من هذه الشبه سبع شبهات، وسارت في الخليقة حتى صارت مذاهب بدعة وضلال.

وشبهات فرق الزيغ والكفر لا تعدو الشبهات السابقة التي أثارها إبليس، وإن اختلفت العبارة وتباينت الطرق.

وهي بالنسبة إلى أنواع الضلالات كالبذور. وترجع جملتها إلى إنكار الأمر بعد الاعتراف بالحق، وإلى الجنوح إلى الهوى في مقابلة النص.

هذا ومن جادل الأنبياء وجماعة الرسل من بعده، راجع إلى دفع التكليف عن أنفسهم وجحدهم أصحاب الشرائع.

إذ لا فرق بين قولهم: ﴿**أَبَشَرٌ يَهْدُونَنَا**﴾[١].

وبين قوله: ﴿**أَأَسْجُدُ لِمَنْ خَلَقْتَ طِيناً**﴾[٢].

وعن هذا صار مفصل الخلاف.. قال تعالى: ﴿**وَمَا مَنَعَ النَّاسَ أَنْ يُؤْمِنُوا إِذْ جَاءَهُمُ الْهُدَى إِلاَّ أَنْ قَالُوا: أَبَعَثَ اللهُ بَشَراً رَسُولاً**﴾[٣].

فبين أن المانع من الايمان هو هذا المعنى كما قال في الأول: ﴿**مَا مَنَعَكَ أَلاَّ تَسْجُدَ إِذْ أَمَرْتُكَ قَالَ: أَنَا خَيْرٌ مِنْهُ**﴾[٤].

وقال المتأخر من ذريته كما قال المتقدم: ﴿**أَنَا خَيْرٌ مِنْ هَذَا الَّذِي هُوَ مَهِينٌ**﴾[٥]. ومن يتعقب أحوال المتقدمين يجدها مطابقة لأقوال المتأخرين.

---

(١) سورة التغابن آية رقم ٦.
(٢) سورة الاسراء آية رقم ٦١
(٣) سورة الاسراء آية رقم ٩٤
(٤) سورة الاعراف آية رقم ١٢
(٥) سورة الزخرف آية رقم ٥٢

قال تعالى: ﴿كَذَٰلِكَ قَالَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ مِثْلَ قَوْلِهِمْ تَشَابَهَتْ قُلُوبُهُمْ﴾[1]. وقال: ﴿فَمَا كَانُوا لِيُؤْمِنُوا بِمَا كَذَّبُوا بِهِ مِنْ قَبْلُ﴾[2].

فاللعين الأول لما أن حكم العقل على من لا يحتكم عليه العقل، لزمه أن يجري حكم الخالق في الخلق، أو حكم الخلق في الخالق.

والأول: غلو.

والثاني: تقصير.

فثار من الشبهة الأولى مذاهب الحلولية، والتناسخية، والمشبهة، والغلاة من الروافض، حيث غلوا في شخص من الأشخاص حتى وصفوه بصفات الجلال.

وثار من الشبهة الثانية مذاهب القدرية، والجبرية، والمجسمة حيث قصروا وصفه تعالى بصفات المخلوقين.

فالمعتزلة مشبهة الأفعال.

والمشبهة حلولية الصفات.

وكل واحد منهما أعور بأي عينيه شاء.

فإن من قال إنما يحسن منه ما يحسن منا، ويقبح منه ما يقبح منا، فقد شبه الخالق بالخلق.

ومن قال: يوصف الباري تعالى بما يوصف به خلقه، أو يوصف الخالق بما يوصف به الباري تعالى، فقد اعتزل عن الحق.

وأصل مذهب القدرية طلب العلة في كل شيء. وذاك من أصل اللعين الأول، إذ طلب العلة في الخلق أولاً.

والحكمة في التكليف ثانياً.

(١) سورة البقرة آية رقم ١١٨

(٢) سورة يونس آية رقم ٧٤

والفائدة في تكليف السجود لآدم عليه السلام ثالثاً.

وعن هذا نشأ مذهب الخوارج، إذ لا فرق بين قولهم: «لا حكم إلا لله، ولا يحكم الرجال» وبين قوله: ﴿لَمْ أَكُنْ لأَسْجُدَ لِبَشَرٍ خَلَقْتَهُ مِنْ صَلْصَالٍ﴾[١].

فالمعتزلة غلوا في التوحيد بزعمهم، حتى وصلوا إلى التعطيل بنفي الصفات.

والروافض غلوا في النبوة والإمامة حتى وصلوا إلى الحلول.

والخوارج قصروا حيث نفوا تحكيم الرجال.

وكل هذه الاختلافات والتباين في الآراء ناشئة من شبهات إبليس الذي قال: ﴿قَالَ فَبِمَا أَغْوَيْتَنِي لأَقْعُدَنَّ لَهُمْ صِرَاطَكَ الْمُسْتَقِيمَ * ثُمَّ لآتِيَنَّهُمْ مِنْ بَيْنِ أَيْدِيهِمْ وَمِنْ خَلْفِهِمْ وَعَنْ أَيْمَانِهِمْ وَعَنْ شَمَائِلِهِمْ وَلاَ تَجِدُ أَكْثَرَهُمْ شَاكِرِينَ﴾[٢]. ولقد حذر الله سبحانه وتعالى من قوله إبليس هذا، ويبين أنه لا يريد لنا الصلاح والخير. قال تعالى:

﴿يَا بَنِي آدَمَ لا يَفْتِنَنَّكُمُ الشَّيْطَانُ كَمَا أَخْرَجَ أَبَوَيْكُمْ مِنَ الْجَنَّةِ يَنْزِعُ عَنْهُمَا لِبَاسَهُمَا لِيُرِيَهُمَا سَوْءَاتِهِمَا إِنَّهُ يَرَاكُمْ هُوَ وَقَبِيلُهُ مِنْ حَيْثُ لاَ تَرَوْنَهُمْ إِنَّا جَعَلْنَا الشَّيَاطِينَ أَوْلِيَاءَ لِلَّذِينَ لاَ يُؤْمِنُونَ﴾[٣].

وشبه النبي (ﷺ) كل فرقة ضالة من هذه الأمة بأمة ضالة من الأمم السابقة.

فقال: «القدرية مجوس هذه الأمة»[٤].

---

(١) سورة الحجر آية رقم ٣٣

(٢) سورة الأعراف آية رقم ١٦ ـ ١٧

(٣) سورة الاعراف آية رقم ٢٧

(٤) الحديث رواه ابن ماجه في المقدمة رقم ٣٥ بلفظ «إن مجوس هذه الأمة المكذبون بأقدار الله إن مرضوا فلا تعودوهم وإن ماتوا فلا تشهدوهم، وإن لقيتموهم فلا تسلموا عليهم».

وقال عليه الصلاة والسلام: «لتسلكن سبل الأمم قبلكم حذو القـذة بالقذة، والنعل بالنعل، حتى لو دخلوا جحر ضب لدخلتموه»(١).

إذن هذه الخلافات التي ابتليت بها الأمة الاسلامية، والأمم السابقة قبل ذلك تعود إلى ما قالـه «إبليس» اللعين الـذي أغوى آدم ـ عليـه السلام ـ فأخرج مع زوجه من الجنة.

قال تعالى: ﴿وَإِذْ قُلْنَا لِلْمَلاَئِكَةِ ٱسْجُدُوا لآدَمَ فَسَجَدُوا إلاَّ إِبْلِيسَ أَبَى * فَقُلْنَا يَا آدَمُ إِنَّ هَذَا عَدُوٌّ لَكَ وَلِزَوْجِكَ فَلاَ يُخْرِجَنَّكُمَا مِنَ ٱلْجَنَّةِ فَتَشْقَى * إِنَّ لَكَ أَلاَّ تَجُوعَ فِيهَا وَلاَ تَعْرَى * وَأَنَّكَ لاَ تَظْمَأُ فِيهَا وَلاَ تَضْحَى * فَوَسْوَسَ إِلَيْهِ الشَّيْطَانُ قَالَ: يَا آدَمُ هَلْ أَدُلُّكَ عَلَى شَجَرَةِ ٱلْخُلْدِ وَمُلْكٍ لاَ يَبْلَى * فَأَكَلاَ مِنْهَا فَبَدَتْ لَهُمَا سَوْءَاتُهُمَا وَطَفِقَا يَخْصِفَانِ عَلَيْهِمَا مِنْ وَرَقِ ٱلْجَنَّةِ وَعَصَى آدَمُ رَبَّهُ فَغَوَى * ثُمَّ ٱجْتَبَاهُ رَبُّهُ فَتَابَ عَلَيْهِ وَهَدَى﴾(٢).

فإذا اردنا أن نتعرف على رأي ابن تيمية ـ العالم السلفي ـ في حقيقة الخلاف نراه يقول:

إن الاختلاف على ما ذكره الله تعالى في القرآن قسمان:

الأول: أنه يذم الطائفتين جميعاً. قال تعالى:

﴿وَلَوْ شَاءَ رَبُّكَ لَجَعَلَ النَّاسَ أُمَّةً وَاحِدَةً وَلاَ يَزَالُونَ مُخْتَلِفِينَ * إلاَّ مَنْ رَحِمَ رَبُّكَ وَلِذَلِكَ خَلَقَهُمْ وَتَمَّتْ كَلِمَةُ رَبِّكَ لأَمْلأَنَّ جَهَنَّمَ مِنَ ٱلْجِنَّةِ وَالنَّاسِ أَجْمَعِينَ﴾(٣).

فجعـل أهل الـرحمة مستثنـين من الاختلاف. وكـذلك قـوله تعـالى:

(١) رواه الترمذي في باب الايمان برقم ٨ ورواه الامام احمد في مسنده، ٤ ـ ١٢٥ ورواه ابن ماجة في الفتن ١٧

(٢) سورة طه الآيات من ١١٦ ـ ١٢٢.

(٣) سورة هود الآيتان رقم ١١٨ ـ ١١٩.

﴿وَذَلِكَ بِأَنَّ اللهَ نَزَّلَ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ وَإِنَّ الَّذِينَ اخْتَلَفُوا فِي الْكِتَابِ لَفِي شِقَاقٍ بَعِيدٍ﴾[1].

وكذلك قوله تعالى:

﴿وَمَا اخْتَلَفَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ إِلاَّ مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَهُمُ العِلْمُ بَغْياً بَيْنَهُمْ﴾[2].

ووصف اختلاف النصارى بقوله تعالى:

﴿فَأَغْرَيْنَا بَيْنَهُمُ الْعَدَاوَةَ وَالْبَغْضَاءَ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ وَسَوْفَ يُنَبِّئُهُم اللهُ بِمَا كَانُوا يَصْنَعُونَ﴾[3].

ووصف اختلاف اليهود بقوله تعالى:

﴿وَأَلْقَيْنَا بَيْنَهُمُ الْعَدَاوَةَ وَالْبَغْضَاءَ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ كُلَّمَا أَوْقَدُوا نَاراً لِلْحَرْبِ أَطْفَأَهَا اللهُ وَيَسْعَوْنَ فِي الأَرْضِ فَسَاداً وَاللهُ لاَ يُحِبُّ الْمُفْسِدِينَ﴾[4].

وقال: ﴿فَتَقَطَّعُوا أَمْرَهُمْ بَيْنَهُمْ زُبُراً كُلُّ حِزْبٍ بِمَا لَدَيْهِمْ فَرِحُونَ﴾[5].

وكذلك النبي (ﷺ) لما وصف أن الأمة ستفترق على ثلاث وسبعين فرقة، قال: «كلها من النار إلا واحدة، وهي الجماعة». فبين أن عامة المختلفين هالكون من الجانبين إلا فرقة واحدة، وهم أهل السنة والجماعة.

ثم يوضح لنا ابن تيمية ـ رحمه الله ـ الأسباب التي تجعل الاختلاف من الطرفين مذموماً بقوله: تارة فساد النية لما في النفوس من البغي والحسد،

(١) سورة البقرة آية رقم ١٧٦

(٢) سورة آل عمران آية رقم ١٩

(٣) سورة المائدة آية رقم ١٤

(٤) سورة المائدة آية رقم ٦٤

(٥) سورة المؤمنون آية رقم ٥٣

وإرادة العلو في الأرض بالفساد ونحو ذلك، فيجب لذلك ذم قول غيره أو فعله، أو غلبته ليتميز عليه، أو يحب قول من يوافقه في نسب أو مذهب أو بلد أو صداقة، أو نحو ذلك لما في قيام قوله من حصول الشرف والرئاسة له.

وما أكثر هذا في بني آدم.

وتارة يكون سببه جهل المختلفين بحقيقة الأمر الذي يتنازعان فيه، أو الجهل بالدليل الذي يرشد به أحدهما الآخر، أو جهل أحدهما بما مع الآخر من الحق في الحكم أو في الدليل، وإن كان عالماً بما في نفسه من الحق حكماً أو دليلاً، والجهل والظلم هما أصل كل شر، كما قال تعالى: ﴿**وحَمَلَها الإنْسانُ إنَّهُ كَان ظَلوماً جَهُولاً**﴾[1].

وأما القسم الثاني من الاختلاف المذكور في كتاب الله، فهو ما حمد فيه إحدى الطائفتين، وهم المؤمنون وذم فيه الأخرى كما في قوله تعالى:

﴿**تِلْكَ الرُّسُلُ فَضَّلْنَا بَعْضَهُمْ عَلى بَعْضٍ مِنْهُمْ مَنْ كَلَّمَ اللهُ ورفَع بعْضَهُمْ درجاتٍ وآتيْنا عِيسى ابنَ مرْيَمَ البيناتِ وأيَّدْناهُ، بِروحِ الْقُدُسِ، ولَوْ شَاء اللهُ ما اقْتتلَ الَّذِين مِنْ بعْدِهِمْ مِنْ بعْدِ ما جاءتْهُمُ الْبَيِّناتُ ولَكِنِ اخْتَلفُوا فَمِنْهُمْ منْ آمن ومِنْهُمْ منْ كفر ولَوْ شَاء اللهُ مَا اقْتَتَلُوا وَلَكِنَّ اللهَ يَفْعَلُ مَا يُريدُ**﴾[2].

فقوله: ﴿**وَلَكِنِ اخْتَلَفُوا فَمِنْهُمْ مَنْ آمَنَ، ومِنْهُمْ مَنْ كَفَرَ**﴾، حمد لإحدى الطائفتين وهم المؤمنون، وذم الأُخرى.

وكذلك قوله تعالى: ﴿**هَذَانِ خَصْمَانِ اخْتَصَمُوا في رَبِّهِمْ فالذين كَفَروا قُطِّعَتْ لَهُمْ ثِيَابٌ مِنْ نارٍ يُصبُّ مِنْ فَوْقِ رءُوسِهِمُ الْحَمِيمُ، يُصْهرُ بِهِ ما فِي بطُونِهمْ والْجُذُوذُ، ولَهُمْ مقَامِعُ مِنْ حَدِيدٍ، كُلَّما**

(١) سورة الأحزاب آية رقم ٧٢

(٢) سورة البقرة آية رقم ٢٥٥

أرادوا أن يخْرجوا منها مِنْ غمٍّ أُعيدُوا فِيها وذُوقوا عذابَ الْحرِيق﴾[1].

مع ما ثبت في الصحيح عن أبي ذر -رضي الله عنه- أنها نزلت في المقتتلين يوم بدر، علي، وحمزة، وعبيدة بن الحارث، والذين بارزوهم من قريش وهم عتبة، وشيبة، والوليد بن عتبة.

وأكثر الاختلاف الذي يؤول إلى الأهواء بين الأُمة من القسم الأول، وكذلك آل إلى سفك الدماء، واستباحة الأموال، والعداوة والبغضاء، لأن إحدى الطائفتين لا تعترف للأُخرى بما معها من الحق ولا تنصفها بل تزيد على ما مع نفسها من الحق زيادات من الباطل والأُخرى كذلك.

وكذلك جعل الله مصدر الاختلاف البغي في قوله تعالى:

﴿وَمَا اخْتَلفَ فيهِ إلا الذينَ مِنْ بَعْدِ مَا جَاءتْهم الْبَيِّنَات بَغْياً بَيْنَهمْ﴾[2]. لأن البغي مجاوزة الحد، وقد ورد في القرآن لفظ البغي على خمسة أوجه:

الأول: بمعنى الظلم: قَال تعالى: ﴿ويَنْهَى عَنِ الْفَحْشَاءِ والْمنْكرِ والْبغي﴾[3].

الثاني: بمعنى المعصية والزلة: قال تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الناس إنمَا بغْيُكمْ عَلى أَنْفسِكمْ﴾[4]. وقال: ﴿فَلما أَنْجاهمْ إذَا هِمْ يَبْغونَ﴾[5] أي يعصون.

الثالث: بمعنى الحسد: قال تعالى: ﴿بَغْياً بَيْنَهُمْ﴾[6]. أي حسداً.

(١) سورة الحج آية رقم ١٩، ٢٠، ٢١، ٢٢

(٢) سورة البقرة آية رقم ٢١٣

(٣) سورة النحل آية رقم ٩٠

(٤) و(٥) سورة يونس آية رقم ٢٣

(٦) سورة الشورى آية رقم ١٤

الرابع بمعنى الزنى: قال تعالى: ﴿وَلَا تُكْرِهُوا فَتَيَاتِكُمْ عَلَى الْبِغَاءِ﴾[1].

الخامس: بمعنى الطلب: قال تعالى: ﴿وَيَبْغُونَهَا عِوَجاً﴾[2]. أي يطلبون لها اعوجاجاً.

وقريب من هذا الباب قول الرسول (ﷺ): «ذروني ما تركتكم فإنما هلك من كان قبلكم بكثرة سؤالهم واختلافهم على أنبيائهم، فإذا نهيتكم عن شيء فاجتنبوه، وإذا أمرتكم بأمر فائتوا منه ما استطعتم»[3].

وهكذا نجد أن ابن تيمية يكاد يحصر أسباب الخلاف في الآتي:

١ ـ الجهل بأنواعه.

٢ ـ الظلم وأسبابه.

٣ ـ البغي ودواعيه.

٤ ـ والاختلاف على ما جاء به الأنبياء والرسل ـ صلوات الله وسلامه عليهم.

ويقول الامام الشافعي ـ رضي الله عنه:

«ما جهل الناس ولا اختلفوا إلا لتركهم لسان العرب وميلهم إلى لسان ارسطو».

وما يقوله الامام الشافعي يحتاج إلى بيان.

فإن كان يقصد الاختلاف في الأصول: فقد أصاب الامام الكبير المحز كما يقولون، ونطق بعين الصواب، ويكون قوله هذا هو الحق المجرد.

---

(١) سورة النور آية رقم ٣٣

(٢) سورة الأعراف آية رقم ٤٥

(٣) الحديث رواه ابن ماجة في المقدمة رقم ٢

أما إن كان يريد مطلق خلاف، فإن حقائق التاريخ تثبت لنا أنه كانت خلافات بين الصحابة رضوان الله عليهم.

لقد هاجر هؤلاء الرجال إلى يثرب وتركوا أموالهم وبعض ذويهم وفروا إلى الله تعالى بدينهم استجابة لقوله تعالى: ﴿**ففروا إلى الله**﴾[1].

واقتداء بقولة بعض رسل الله ـ صلوات الله وسلامه عليهم ـ: ﴿**إني مهاجر إلى ربي**﴾[2].

واستطاع الصحابة في فترة وجيزة أن يكونوا مجتمعاً اسلامياً متكاملاً، مجتمعاً فيه الصغير والكبير وفيه الرجل والمرأة، وصاحب الحرفة ومن لا حرفة له.

وكان هذا المجتمع يعد نموذجاً طيباً لكل المجتمعات التي سبقته والمجتمعات الأخرى التي لحقت به.

ولكن هذا لم يمنع أن يكون هناك خلافات بين جماعة الصحابة اختلفوا في القليل والكثير، اختلفوا في الحرب والسلم، اختلفوا في الزراعة وعروض التجارة.

أعني أنهم كانت لهم خلافات في الفروع، وخلافات في شئون الحياة اليومية، أو قل اجتهادات فيما ليس فيه نص قاطع، أو وحي من الله تعالى. والقارئ لأي كتاب من كتب العقائد يلحظ هذه الأشياء التي حصرها مؤلفو بعض هذه الكتب، ومن هذا ما يقوله الشهرستاني في كتابه الملل والنحل:

«وأما الاختلافات الواقعة في مجال مرضه عليه الصلاة والسلام وبعد وفاته بين الصحابة ـ رضي الله عنهم ـ فهي اختلافات اجتهادية ـ كما قيل ـ كان غرضهم منها إقامة مراسم الشرع وإدامة مناهج الدين.

---

(١) سورة الذاريات آية رقم ٥٠

(٢) سورة العنكبوت آية رقم ٢٦

فأول تنازع وقع في مرضه ـ عليه السلام ـ فيما رواه الإمام البخاري بإسناده عن عبد الله بن عباس ـ رضي الله عنه ـ قال:

«لما اشتد بالنبي (ﷺ) مرضه الذي مات فيه قال: ايتوني بدواة وقرطاس، أكتب لكم كتاباً لا تضلوا بعدي».

فقال عمر ـ رضي الله عنه ـ إن رسول الله (ﷺ) قد غلبه الوجع، حسبنا كتاب الله. وكثر اللغط فقال النبي (ﷺ): «قوموا عني لا ينبغي عندي التنازع»[1].

الخلاف الثاني في مرضه: أنه قال: «جهزوا جيش أسامة ـ لعن الله من تخلف عنه»، فقال قوم: يجب علينا امتثال أمره وأسامة قد برز من المدينة ..

وقال قوم: قد اشتد مرض النبي (ﷺ) فلا تسع قلوبنا مفارقته، والحالة هذه، فنصبر حتى نبصر أي شيء يكون من أمره..؟

الخلاف الثالث: في موته عليه السلام: قال عمر بن الخطاب ـ رضي الله عنه ـ من قال إن محمداً قد مات قتلته بسيفي هذا، وإنما رفع إلى السماء كما رفع عيسى عليه السلام.

وقال أبو بكر ـ رضي الله عنه ـ: من كان يعبد محمداً فإن محمداً قد مات، ومن كان يعبد الله فإن الله سبحانه وتعالى حي لا يموت. ثم تلا: **﴿ومَا مُحَمَّدٌ إلاَّ رَسولٌ قدْ خَلتْ مِنْ قبلِهَ الرُّسلُ، أَفإِنْ مَاتَ أَوْ قُتِلَ انْقلبْتُمْ عَلَى أَعْقابِكمْ وَمَنْ يَنْقَلِبْ على عِقْبيهِ فلنْ يضُرَّ اللهَ شَيْئاً وَسَيَجْزِي اللهُ الشَّاكرِينَ﴾**[2].

فرجع القوم إلى قوله، وقال عمر ـ رضي الله عنه ـ كأني ما سمعت هذه الآية حتى قرأها أبو بكر ـ رضي الله عنه.

---

(١) الحديث رواه البخاري في الجهاد ومسلم في الوصية ٢ واحمد بن حنبل ١ـ ٢٢٢

(٢) سورة آل عمران آية رقم ١١٤

الخلاف الرابع: في موضع دفنه عليه السلام. أراد أهل مكة من المهاجرين رده إلى مكة، لأنها مسقط رأسه، ومأنس نفسه، وموطئ قدمه، وموطن أهله، وموقع رحله.

وأراد أهل المدينة من الأنصار، دفنه بالمدينة لأنها دار هجرته ومدار نصرته، وأرادت جماعة نقله إلى بيت المقدس، لأنه موضع دفن الأنبياء ـ عليهم الصلاة والسلام ـ ومنه معراجه إلى السماء.

ثم اتفقوا على دفنه بالمدينة لما روي عنه، عليه الصلاة والسلام «الأنبياء يدفنون حيث يموتون».

الخلاف الخامس: في الإمامة، وأعظم خلاف بين الأمة الإسلامية خلاف الإمامة، اذ ما سل سيف في الإسلام على قاعدة دينية مثل ما سل على الإمامة في كل زمان. وقد سهل الله تعالى ذلك في الصدر الأول، فاختلف المهاجرون والأنصار فيها.

فقالت الأنصار منا أمير، ومنكم أمير، واتفقوا على رئيسهم «سعد بن عبادة الأنصاري».

فاستدركه أبو بكر وعمر رضي الله عنهما في الحال. بأن حضرا سقيفة بني ساعدة وقال عمر: كنت أزوِّر في نفسي كلاماً في الطريق، فلما وصلنا إلى السقيفة أردت أن أتكلم.

فقال أبو بكر: مه يا عمر، فحمد الله وأثنى عليه، وذكر ما كنت أقدره في نفسي، كأنه يخبر عن غيب، فقبل أن يشتغل الأنصار بالكلام مددت يدي إليه فبايعته، وبايعه الناس وسكنت الفتنة.

الخلاف السادس: في أمر «فدك» والتوارث عن النبي (ﷺ) ودعوى

فاطمة عليها السلام، وراثة تارة، وتمليكاً أخرى حتى دفعت عن ذلك بالرواية المشهورة عن النبي (ﷺ): «إنا معاشر الأنبياء لا نورث ما تركناه صدقة»[1].

الخلاف السابع: في قتال مانعي الزكاة، فقال قوم: لا نقاتلهم قتال الكفرة، وقال قوم: بل نقاتلهم. حتى قال أبو بكر - رضي الله عنه: - «لو منعوني عقالاً مما أعطوا رسول الله (ﷺ) لقاتلتهم عليه» ومضى بنفسه إلى قتالهم، ووافقه الصحابة بأسرهم.

الخلاف الثامن: في تنصيص «أبي بكر» على «عمر» بالخلافة وقت الوفاة، فمن الناس من قال: قد وليت علينا فظاً غليظاً وارتفع الخلاف بقول أبي بكر: لو سألني ربي يوم القيامة لقلت: وليت عليهم خير أهلهم.

الخلاف التاسع: في أمر الشورى واختلاف الآراء فيها، واتفقوا كلهم على بيعة عثمان - رضي الله عنه - وانتظم الأمر، ولكن وقعت في زمانه اختلافات كثيرة.

الخلاف العاشر: في زمان «أمير المؤمنين» علي - رضي الله عنه - بعد الاتفاق عليه، وعقد البيعة له وظهر في زمانه الخوارج عليه. وكذلك ظهر في زمانه الغلاة في حقه.

ومن الفريقين ابتدأت البدعة والضلالة، وانقسمت الاختلافات بعده إلى قسمين:

أحدهما: الاختلافات في الإمامة.

الثاني: الاختلافات في الأُصول.

وبعد: هل نستطيع أن نحصر الأَسباب التي جعلت البشرية فيما بينها تتنازع وتتباين، أم أن ذلك شيء لا يحصره عقل، ولا يحيط به فكر؟ أنذهب

---

(١) الحديث رواه البخاري في الخمس ١، وفضائل أصحاب النبي ١٢، ورواه مسلم في الجهاد، ٤٩، ٥٢، ٥٤، ٥٦. ورواه أبو داود في الامارة ١٩، والترمذي في السير ٤٤، وأحمد بن حنبل ١ - ٤، ٦، ٩، ١٠

إلى ما ذهب إليه الشهرستاني من أن أسباب الاختلاف ترجع في المقام الأول إلى الشبهة التي أثارها إبليس وأصر عليها؟

أم أنها ترجع إلى الجهل، والظلم والبغي، وعدم فهم اللغة وتباين معارف الناس كما قال ابن تيمية؟.

أم أننا نقول ما قاله الشافعي من أن أسباب الاختلاف ترجع أولاً إلى الآراء المضلة، والأفكار المسفة، التي جاءت إلى الامة الاسلامية عن طريق الفكر اليوناني، والفارسي، ويدخل في ذلك كل الأفكار والآراء التي لا تستند إلى وحي السماء، وهداية الرسل؟.

أم أننا نترك كل هذه الآراء ونردد قول الله تعالى: ﴿**ولَوْ شاء رَبُّك لجعَلَ الناسَ أُمةً واحِدةً وَلا يَـزالون مُخْتلِفين إلا مَنْ رَحِمَ رَبُّـك، ولِذَلِك خَلَقهُمْ، وتَمتْ كَلِمَةُ رَبِّك لأَمْـلأَن جَهَنَم مِن الْجَنة والنـاسِ أَجْمعِين**﴾[1].

إننا نميل إلى أن هذه الأسباب مجتمعة، هي عوامل أساسية في اختلاف البشرية وتطاحنها وتباينها، في كثير من الآراء والاتجاهات.

وإذا كان ذلك كذلك ـ فعلينا أن نقطع شوطاً آخـر في البحث وهو: تبيان قضايا الاختلاف التي وقعت في تاريخ المسلمين.

---

(١) سورة هود آية رقم ١١٨

قضايا الاختلاف

سنحاول بمشيئة الله أن نضع بين يدي القارىء أهم القضايا التي وقع فيها الاختلاف بين المسلمين.

أولاً: مشكلة القدر، أو الجبر والاختيار، أو أفعال العباد.

يقول الدكتور عبد الحليم محمود (رحمه الله): هذه المشكلة شغلت عقول الانسانية منذ أن كان الدين. وإذا اثيرت مسألة القدر في أي وسط كان مهما كان قليل العدد، فإنها تقسمه إلى قسمين، يقول أحدهما بالجبر، ويقول الآخر بالاختيار.

لقد أثارها اليهود في دينهم ففرقت بينهم، وقال بعضهم بالجبر، وقال الآخرون بالاختيار.

وأثيرت في الديانة النصرانية على مجرى التاريخ فكان النزاع والجدل وكان التحيز لرأي والتعصب له، وانقسم رجال المسيحية إلى فريقين يختصمان[1].

وأراد الرسول (ﷺ) أن يتلافى انشقاق الأمة بسبب إثارة هذه المشكلة، فكان ينهى دائماً عن إثارتها وعن الجدال فيها.

روى عمرو بن شعيب عن أبيه عن جده قال: خرج رسول الله (ﷺ)، على أصحابه ذات يوم، وهم يتراجعون في القدر، فخرج مغضباً حتى وقف

---

(١) الاسلام والعقل

عليهم فقال: يا قوم بهذا ضلت الأمم قبلكم باختلافهم على أنبيائهم وضربهم الكتاب بعضه بعض، وإن القرآن لم ينزل لتضربوا بعضه ببعض، ولكن نزل القرآن فصدق بعضه بعضاً، ما عرفتم منه فاعملوا به، وما تشابه فآمنوا به.

ثانياً: مشكلة الصفات.

يقول الله سبحانه وتعالى: ﴿**سُبْحَانَ رَبِّكَ رَبِّ الْعِزَّةِ عَمَّا يَصِفُونَ**﴾[1].

ويقول أيضاً: ﴿**لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ وَهُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ**﴾[2].

ويقول ابن عبد البر: إن الله ليس كمثله شيء فكيف يدرك بقياس أو بانعام نظر..؟

أما حكماء المصريين القدماء فإنهم يقولون: «محال على من يفنى أن يكشف النقاب الذي تنقب به من لا يفنى».

ويقول الرسول (ﷺ): «تفكروا في آلاء الله ولا تفكروا في ذاته فتهلكوا».

ولكن علماء الكلام لم يلتزموا حدودهم كأفراد من البشر وغرهم عقلهم، وخدعهم شيطانهم: فحاولوا بعقولهم أن يفتروا على الله ما لم ينزل به سلطاناً فكانت المشكلة الثانية في علم الكلام ـ مشكلة الصفات ـ التي اثارت الجدل والخصومة والتفرقة بين المسلمين، وجعلتهم فرقاً تتنابز وتتخاصم، ويرمي بعضها بعضاً بالانحراف والضلال.

ثالثاً: مشكلة الكلام.

وقد افترق الناس في مسألة الكلام على تسعة أقوال:

أحدها: أن كلام الله هو ما يفيض على النفوس من معاني إما من العقل الفعال عند بعضهم، أو من غيره، وهذا قول الصابئة والمفلسفة.

(١) سورة الصافات آية رقم ١٨٠

(٢) سورة الشورى آية رقم ١١

وثانيها: أنه مخلوق خلقه الله منفصلاً عنه وهذا قول المعتزلة وبعض فرق الأباضية.

وثالثها: أنه معنى واحد قائم بذات الله، هو الأمر والنهي والخبر والاستخبار. إن عبر عنه بالعربية كانت قرآناً، وإن عبر عنه بالعبرانية كان توراة، وهذا قول ابن كلاب ومن وافقه كالأشعري وغيره.

ورابعها: أنه حروف وأصوات أزلية مجتمعة في الأزل، وهذا قول طائفة من أهل الكلام ومن أهل الحديث.

وخامسها: أنه حروف وأصوات لكن تكلم الله بها بعد أن لم يكن متكلماً وهذا قول الكرامية وغيرها.

وسادسها: أن كلامه يرجع إلى ما يحدثه من علمه وإرادته القائم بذاته وهذا يقوله صاحب المعتبر ويميل إليه الرازي في المطالب العالية.

وسابعها: أن كلامه يتضمن معنى قائماً بذاته هو ما خلقه في غيره، وهذا قول أبي منصور الماتريدي.

وثامنها: أنه مشترك بين المعنى القديم القائم بالذات وبين ما يخلقه في غيره في الأصوات وهذا قول أبي المعالي ومن أتبعه.

وتاسعها: أنه تعالى لم يزل متكلماً اذا شاء ومتى شاء وكيف شاء، وهو يتكلم به بصوت يسمع، وأن نوع الكلام قديم وإن لم يكن الصوت المعين قديماً، وهذا المأثور عن أئمة الحديث والسنة.

رابعاً: رؤية الله سبحانه وتعالى:

لقد قالت الجهمية والمعتزلة وبعض الخوارج والأباضية بأن الله سبحانه وتعالى لا يرى في الآخرة اعتماداً على قوله تعالى: **﴿لاَ تُدْرِكُهُ الأَبْصَارُ وَهُوَ يُدْرِكُ الأَبْصَارَ وَهُوَ اللَّطِيفُ الْخَبِيرُ﴾**[1].

(١) سورة الانعام آية رقم ١٠٣

وقوله تعالى لموسى عليه السلام ﴿لَنْ تَرَانِي﴾. وذلك عندما طلب منه موسى عليه السلام ذلك بقوله ﴿رَبِّ أَرِنِي أَنْظُرْ إِلَيْكَ﴾[1].

وقال أهل الحديث وطائفة السلفية والأشاعرة ومن سار في فلكهم بالرؤية اعتماداً على قوله تعالى: ﴿وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَاضِرَةٌ * إِلَى رَبِّهَا نَاظِرَةٌ﴾[2].

وقوله تعالى: ﴿كَلاَّ إِنَّهُمْ عَنْ رَبِّهِمْ يَوْمَئِذٍ لَمَحْجُوبُونَ﴾[3] بالنسبة للعصاة فغير العصاة لا حجاب بينهم وبين ربهم..

وشرعت الأسنة وقامت المعارك وتطاولت الألسنة بالحق وبالباطل وكثر التزيد من هنا ومن هناك. والواجب على الأمة الاسلامية أن تردد قول الله تعالى: ﴿آمَنَّا بِهِ كل مِنْ عند رَبِّنَا﴾[4].

وقول الرسول (ﷺ) «اتبعوا ولا تبتدعوا فقد كفيتم».

وقول الامام مالك ـ رضي الله عنه ـ عندما سئل عن الاستواء: «الاستواء معلوم، والكيف مجهول، والسؤال عنه بدعة، والايمان به واجب».

هذه أهم القضايا التي وقع فيها الاختلاف بين المسلمين.

واختلاف وجهات النظر وتباين الأفكار من جبلة النفس البشرية. وقد يكون الاختلاف من أسباب تجلية الحق، والوصول الى الصواب وعامل من عوامل تقدم الأمم ورقيها في مجال الحضارة، والله سبحانه وتعالى يقول: ﴿وَلَوْ شَاءَ رَبُّكَ لَجَعَلَ النَّاسَ أُمَّةً وَاحِدَةً وَلاَ يَزَالُونَ مُخْتَلِفِينَ * إِلاَّ مَنْ رَحِمَ رَبُّكَ وَلِذَلِكَ خَلَقَهُمْ﴾[5].

---

(١) سورة الاعراف آية رقم ١٤٣

(٢) سورة القيامة الآيتان رقم ٢٣ ـ ٢٤.

(٣) سورة المطففين آية رقم ١٥

(٤) سورة آل عمران رقم ٧

(٥) سورة هود آية الآيتان رقم ١١٨، ١١٩

ولكن الاختلاف الذي سار فيه بعض أفراد الأمة الاسلامية هو اختلاف يهدم ولا يبني، ويؤخر ولا يقدم، ويجعل أتباعه فرقاً وأحزاباً وشيعاً وألواناً.

هذا الاختلاف نبتت بذوره في بلاد لا تؤمن بدين، ولا تهتدي بوحي من شرع الله فيما تأتي أو تدع.

ولكن كيف وصلت هذه الأفكار إلى بلاد الاسلام..؟

يرى الامام السيوطي في كتابه صون المنطق والكلام أن سبب ذلك هو يحيى بن خالد بن برمك.

وذلك أن كتب اليونان كانت ببلد الروم، وكان ملك الروم خاف على اتباعه إن نظروا في كتب اليونانية أن يتركوا دين النصرانية ويرجعوا إلى دين اليونان، وتتشتت كلمتهم وتتفرق جماعتهم، فجمع الكتب في موضع وبنى عليها بناء مطمساً بالحجر والجص حتى لا يوصل إليها.

فلما أفضت رياسة دولة بني العباس إلى يحيى بن خالد، وكان زنديقاً بلغه خبر الكتب التي في البناء ببلد الروم فصانع ملك الروم الذي كان في وقته بالهدايا ولا يلتمس منه حاجة.

فلما أكثر عليه جمع الملك بطارقته وقال لهم: إن هذا الرجل خادم العربي قد اكثر من هداياه ولا يطلب مني حاجة، وما أراه إلا يلتمس حاجة، وأخاف أن تكون حاجته تشق عليَّ، وقد شغل بالي..؟

فلما جاءه رسول يحيى قال له:

قل لصاحبك: إن كانت له حاجة فليذكرها.

فلما اخبر الرسول يحيى رده إليه وقال له:

حاجتي الكتب التي تحت البناء، يرسلها إليَّ أخرج منها بعض ما أحتاج وأردها إليه.

فلما قرأ الرومي كتابه استطار فرحاً، وجمع البطارقة والاساقفة والرهبان وقال لهم: قد كنت ذكرت لكم عن خادم العربي: أنه لا يخلو عن حاجة، وقد أفصح بحاجته، وهي أخف الحوائج عليَّ، وقد رأيت رأياً فاسمعوه، فإن رضيتموه أمضيته، وإن رأيتم خلافه تشاورنا في ذلك حتى تتفق كلمتنا.

فقالوا: وما هي..؟

قال: حاجته الكتب اليونانية، يستخرج منها ما أحب ويردها.

قالوا: فما رأيك؟

قال: قد علمت أنه ما بنى عليها من كان قبلنا إلا لأنه خاف إن وقعت في أيدي النصارى وقرءوها كان سبباً لهلاك دينهم وتبديد جماعتهم، وأنا أرى أن ابعث بها إليه، وأسأله ألا يردها، يبتلون بها ونسلم نحن من شرها، فإني لا آمن أن يكون بعدي من يجترئ على اخراجها إلى الناس فيقعوا فيما خيف عليهم.

فقالوا: نعم الرأي رأيت ايها الملك فامضه، فبعث بالكتب إلى يحيى بن خالد.

فلما وصلت إليه جمع عليها كل زنديق وفيلسوف، فمما أخرج منها كتاب «حد المنطق».

قال أبو محمد بن أبي زيد: «وقلَّ من أنعم النظر في هذا الكتاب وسلم من زندقة»[1].

من هنا قال الامام الشافعي ـ رضي الله عنه ـ: «ما جهل الناس ولا اختلفوا إلا لتركهم لسان العرب وميلهم إلى لسان ارسطو».

ولسان ارسطو ـ هو الفكر اليوناني النظري في ما وراء الطبيعة والاخلاق قائم على العقل: مقدماته ونتائجه.

(١) راجع صون المنطق والكلام للامام السيوطي جـ ١ ص ١٢٧

وليس من المحتم أن يكون لسان ارسطو خاصاً باليونان فقط، فإن كل نزعة في البحث فيما وراء الطبيعة والاخلاق تتخذ من العقل أساساً فإنما هي نزعة أرسطية، إنها لسان ارسطو.

ولسان ارسطو اذن عنوان على كل تأليف يقوم على العقل وحده والعقل في الاسلام هو مناط التكاليف، ودليل لفهم شرع الله تعالى واداء اوامره، واجتناب نواهيه. وميزان دقيق لمعرفة الصلاح من الفساد، والحق من الباطل، وقد مدح الله سبحانه وتعالى اصحاب العقول بقوله: ﴿إِنَّمَا يَتَذَكَّرُ أُولُو الْأَلْبَابِ﴾[1].

ولكن هذا العقل لا مجال له فيما وراء الطبيعة، ولو أردنا أن ندخل العقل في غمار هذه اللجة لكنا في ذلك مثال رجل رأى الميزان الذي يوزن به الذهب فطمع أن يزن به الجبال.

يقول الامام السيوطي في تعليقه على كلام الشافعي ـ رضي الله عنه ـ «ولم ينزل القرآن، ولا أتت السنة إلا على مصطلح العرب ومذاهبهم في المحاورة والتخاطب، والاحتجاج، والاستدلال، لا على مصطلح اليونان، ولكل قوم لغة واصطلاح وقد قال تعالى: ﴿وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ رَسُولٍ إِلاَّ بِلِسَانِ قَوْمِهِ لِيُبَيِّنَ لَهُمْ﴾[2].

فمن عدل عن لسان الشرع إلى لسان غيره، وخرَّج الوارد من نصوص الشرع عليه، جهل وضل ولم يصب القصد.

هذا هو ما عناه الامام الشافعي بجهل الناس أما ما عناه باختلافهم فهذا يحتاج إلى بيان..

لقد انشأت الأمة الاسلامية ما يسمى بعلم الكلام ـ وكان هذا العلم ثمرة من ثمار التلاقح بالفلسفة اليونانية وبالمنطق الأرسطي. ويعرف ابن

---

(١) سورة الرعد آية رقم ١٩

(٢) سورة الكهف آية رقم ٥

خلدون علم الكلام بقوله: «هو علم يتضمن الحجاج عن العقائد الايمانية بالأدلة العقلية، والرد على المبتدعة المنحرفين في الاعتقادات عن مذهب السلف وأهل السنة».

والتعريف الذي قدمه ابن خلدون يعطينا عند فحصه وتأمله أن علم الكلام علم يدافع عن العقائد الايمانية. وأسلحته الدفاعية هي العقل ومعداته. وهو دائماً يشهر في وجه المبتدعة الضالين.

واذا كان ذلك كذلك فبماذا يسمى العلم الآخر الذي يستعمله خصوم أهل السنة والجماعة..؟

إن صاحب كتاب كشاف اصطلاحات الفنون يتساءل أيضاً فيقول «هل علم الكلام يشمل الدفاع عن عقيدة أهل السنة والجماعة فقط..؟ أو يشمل كل العقائد المتعلقة بأصول الدين..؟ سواء منها الموافق أو المخالف».

واذا كان الجواب بالنفي فبماذا يسمى العلم الآخر، العلم الذي يستعمله الخصوم في الرد والمقارعة ومحاولة الغلبة..؟

إنه يسمى أيضاً بعلم الكلام، وعلم الكلام الراهن كان دائماً موضع نقد من الصحابة والتابعين، وبقية السلف الصالح، لأنه كان أحد العوامل التي ساعدت على تفريق الأمة، وتقسيمها إلى فرق وأحزاب. أخرج سعيد بن المسيب قال: قام عمر بن الخطاب في الناس فقال: «أيها الناس: ألا إن أصحاب الرأي أعداء السنة أعيتهم الأحاديث أن يحفظوها، وتفلت منهم أن يعوها فعاندوا السنة برأيهم فضلوا وأضلوا كثيراً، والذي نفس عمر بيده ما قبض الله نبيه، ولا رفع الوحي عنهم حتى أغناهم عن الرأي. ولو كان الدين يؤخذ بالرأي لكان أسفل الخف أحق بالمسح من ظاهره فاياكم وإياهم ثم إياكم وإياهم».

وأخرج الهروي عن هشام بن عبد الملك أنه قال لبنيه: إياكم وأصحاب الكلام فإن أمرهم لا يؤول الى الرشاد.

وأخرج عبد الرحمن بن مهدي قال:

«دخلت على مالك وعنده رجل يسأله عن القرآن فقال: لعلك من أصحاب عمرو بن عبيد لعن الله عمراً فإنه ابتدع هذه البدع من الكلام، ولو كان الكلام علماً لتكلم فيه الصحابة والتابعون كما تكلموا في الاحكام والشرائع ولكنه باطل يدل على باطل».

وقال أحمد بن حنبل: لا يفلح صاحب الكلام أبداً، ولا تكاد ترى أحداً نظر في الكلام إلا وفي قلبه دغل وبالغ في ذمه حتى هجر الحارث المحاسبي مع زهده وورعه بسبب تصنيفه كتاباً في الرد على المبتدعة. وقال: ويحك ألست تحكي بدعتهم أولاً ثم ترد عليهم، ألست تحمل الناس بتصنيفك على مطالعة البدعة والتفكر في تلك الشبهات فيدعوهم ذلك إلى الرأي والبحث..

هذه أهم أراء علماء المسلمين في علم الكلام. علم الكلام الذي وفد على الامة الاسلامية من خارج حدودها ففرق وحدتها وشغلها عن الكثير من أداء رسالتها تجاه البشرية كلها.

يقول أحد المفكرين الاسلاميين موضحاً ومعلقاً على الخلافات الناشئة من علم الكلام: «وكانت المناقشات في الاصل مما لا ينبغي أن يتجاوز حدود المناظرات المنطقية والعلمية والفنية ولكنا أقحمنا اسم الله عز وجل في مناقشات لا معنى لها.

فحاول كل فريق اسناد الكفر والالحاد إلى الفريق الآخر».

ونقول: وكيف لا يتم ذلك؟

والنظام المعتزلي يقول: إن الله عز وجل لا يقدر على شيء من الشر وإن ابليس يقدر على الخير والشر.

وقال هشام الغوطي: إن الله لا يوصف بأنه عالم لم يزل.

وقال بعض المعتزلة: «يجوز على الله سبحانه وتعالى الكذب إلا أنه لم يقع منه».

وقال المجبرة: لا قدرة للآدمي بل هو كالجماد مسلوب الاختيار والفعل.

وقالت المرجئة: «إن من أقر الشهادتين وأتى بكل المعاصي لم يدخل النار أصلاً..»

ونقول لهؤلاء جميعاً: ﴿**كَبُرَتْ كَلِمَةٌ تَخْرُجُ مِنْ أَفْوَاهِهِمْ إِنْ يَقُولُونَ إِلاَّ كَذِباً**﴾[1].

يقول الشيخ محمد الغزالي: وعفا الله عن أجدادنا فقد أولعوا بذلك وأعانهم عليه أن الدولة الاسلامية كانت سيدة العالم.

فلا بأس على رجالها أن يشتغلوا بالترف العقلي وأن يحولوا فراغهم من الجهاد في سبيل الله إلى جهاد في هذا الميدان الخطر فانشغلوا بأنفسهم عن أعدائهم ثم ذهب الرجال وبقي الجدال، بقى الى اليوم يهدد وحدة الأمة ويهز كيانها.

واذا كان ذلك كذلك فلماذا لا نعمل على ابعاد هذا الخطر عن جسم الامة الاسلامية..؟

لماذا لا نقتلع هذه الجذور التي تفرع شراً وفرقة.

لماذا نجعل الاحفاد والابناء يكتوون بنار الشقاق كما اكتوى الاباء..؟

إن العمل الدي يجب أن تتنبه له الامة الاسلامية وتعمل له، هو اقتلاع بذور الشقاق والخلاف من كتب العقائد.

إن هذه الموضوعات التي هي محل جدل وفرقة يجب أن تنزع بالكامل من كتب العقائد وتطبق كلمة الامام مالك على كل ما هو من المتشابه أو من الغيبيات.

---

(١) سورة الكهف آية رقم ٥

«الاستـواء معلوم والكيف مجهول والتسليم بـه واجب، والسؤال عنه بدعة».

ثم ما رأي علماء العقيدة..؟
وما وجهة نظر فقهاء الشريعة..؟
وماذا يقول جهابذة الأصول..؟
إن الامر جد لا يحتمل التعطيل أو التعليل.

أ.د. عبد الرحمن عميرة



تمهيد بقلم المؤلف

إنّ الحمد لله ربّ العالمين [و] صلّى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه [و] الحمد لله مبطل كيد الجاحدين، والكاشف بأنوار حججه أستار المبطلين، والمبين ما طمس أهل الزيغ والعمى من سبيل المهتدين.

أمّا بعد - أيّدك الله[1] - فإني نظرت في جميع أصول الملحدين[2]، فإذا هي أربعة أصول، ثم نظرت في كل أصل منها فإذا هو محصور على ثلاثة فصول، فاقتصرت لك بذلك عن تصنيف مقالاتهم قولاً قولاً، وعن تعديد فصولهم فصلاً فصلاً، ليتيسر ذلك للناظر، ويسهل على المتعلّم، ويخف على الحافظ، والله وليّ التوفيق.

أمّا الأصل الأوّل منها: فهو قول أهل الدهر المنكرين لحدوث العالم،

---

(١) في (ب) بزيادة لفظ «التوفيق والسداد».

(٢) لحد بلسانه إلى كذا مال. قال تعالى: ﴿لسان الذي يلحدون إليه﴾ سورة النحل آية رقم ١٠٣. من لحد وقرئ (يلحدون من ألحد، وألحد فلان مال عن الحق). والإلحاد ضربان:
إلحاد إلى الشرك بالله، وإلحاد إلى الشرك بالأسباب، فالأول ينافي الإيمان ويبطله.
والثاني: يوهن عراه ولا يبطله، ومن هذا النحو قوله تعالى: ﴿ومَن يرد فيه بإلحاد بظلم نذقه من عذاب أليم﴾ سورة الحج آية رقم ٢٥.
وقوله تعالى: ﴿الذين يلحدون في أسمائه﴾. سورة الأعراف آية ١٨٠. والإلحاد في أسمائه على وجهين: أحدهما: أن يوصف بما لا يصح وصفه به، والثاني: أن يتأوّل أوصافه على ما لا يليق به.
والتحد إلى كذا مال إليه قال تعالى: ﴿ولن تجد من دونه ملتحداً﴾ سورة الكهف آية ٢٧. أي التجاءً أو موضع التجاء.

والأصل الثاني: قول الثنوية القائلين بالنور والظلمة، والأصل الثالث المنكرون لرسالة الرسل، صلّى الله على محمد وعلى جميع المرسلين، والأصل الرابع هو ما يتعلّق به أهل التشبيه، من هذه الأمة، المنتحلين[1] لهذه الملّة[2]، فهذه الأصول الأربعة.

فصول الأصل الأول:

الفصل الأول من الأصل الأول هو ما انتحله المنجمون، والفصل الثاني هو قول أهل الطبائع، والفصل الثالث مذهب أرسطاطاليس وأصحابه، وسنأتي على صفة كل فصل منها إذا نحن صرنا إلى موضع الرد عليهم إن شاء الله.

فصول الأصل الثاني:

أمّا الفصل الأول منها فهو مقالة المنانية، والثاني مقالة الديصانية والثالث قول المرقيونية. والمنكرون لرسالة الرسل صلّى الله على محمد وعلى جميع المرسلين على ثلاثة فصول: الأول مذهب البراهمة، والثاني مقالة المجوس، والثالث مذاهب أهل الكتاب على اختلاف مللهم، فهم جميعاً مجمعون على التكذيب لرسالة نبيّنا محمد صلّى الله عليه وسلّم، وعلى جميع المرسلين.

---

(١) النَّحلة، والنِّحلةُ: عطيّة على سبيل التبرع وهو أخص من الهبة إذ كل هبة نِحلةٌ، وليس كلّ نحلة هبة. والانتحال: ادّعاء الشيء وتناوله، ومنه يقال فلان ينتحل الأمر. راجع مفردات غريب القرآن: ٤٨٥.

(٢) الملّة: كالدين، وهو اسم لما شرع الله تعالى لعباده على لسان الأنبياء ليتوصلوا به إلى جوار الله، والفرق بينها وبين الدين أن الملة لا تضاف إلاّ إلى النبيّ ـ عليه الصلاة والسلام ـ الذي تسند إليه نحو «اتّبعوا ملّة إبراهيم» «واتّبعت ملّة آبائي» ولا تكاد توجد مضافة إلى الله ولا إلى آحاد أمة النبيّ ـ ﷺ ـ ولا تستعمل إلاّ في جملة الشرائع دون آحادها، لا يقال: ملّة الله ولا يقال ملني وملة زيد، كما يقال: دين الله ودين زيد، ولا يقال الصلاة ملّة الله، وأصل الملة من أمللت الكتاب قال تعالى: ﴿فليملل الذي عليه الحق، فإن كان الذي عليه الحق سفيهاً أو ضعيفاً أو لا يستطيع أن يمل هو فليملل وليه﴾ سورة البقرة آية ٢٨٢. وتقال الملّة باعتبار الشيء الذي شرّعه الله، والدين يقال اعتباراً بمَن يقيمه إذ كان معناه الطاعة. والله أعلم.

المشبهة:[1]

فأمّا المشبهة من هذه الأمة، فإنها تنازعت في معبودها على أقاويل يكثر تعدادها، وترجع بجملتها إلى فصول ثلاثة لا رابع لها.

الفصل الأول من ذلك: مقالة أهل التشبيه القائلين بالتجسيم على حقيقة التجسيم.

والثاني: مذهب المجردين للتجسيم بالتسمية دون التشبيه بزعمهم.

والثالث: مقالة المشبهة الغالطين في التأويل، الحائدين عن التسمية بالتجسيم، فهذا اثنا عشر فصلاً في أربعة أصول، تحتوي على جميع مذاهب القوم، وتتضمنها إن شاء الله، والله ولي التوفيق.

(١) المشبهة صنفان: صنف شبهوا ذات الباري بذات غيره، وصنف آخرون شبهوا صفاته بصفات غيره، وكل صنف من هذين الصنفين مفترقون على أصناف شتى. ومن الصنف الأول السبئية أتباع عبدالله بن سبأ (راجع التعريفات لأبي البقاء ص ٧٩) ومنهم البيانيّة أتباع بيان بن سمعان الذي زعم أن معبوده إنسان من نور على صورة الإنسان في أعضائه.

ومنهم: المغيرية أتباع المغيرة بن سعيد العجلي: الذي زعم أن معبوده ذو أعضاء.

ومنهم المنصورية: أتباع أبي منصور العجلي: الذي شبه نفسه بربه وزعم أنه صعد إلى السماء. راجع الفرق بين الفرق ص ٢٤٣، ٢٤٤.

ومنهم الخطابية: الذين قالوا بإلهية الأئمة وبإلهية أبي الخطاب الأسدي ت ١٤٣هـ وهذه الأصناف خارجة عن دين الإسلام وإن انتسبوا إليه في الظاهر. ومن الصنف الثاني:

الخابطية: أتباع أحمد بن خابط، وكان يشبِّه عيسى بن مريم بربه وزعم أنّه الإله الثاني. راجع الفرق بين الفرق ٢٧٧.

ومنهم الكرامية: أتباع محمد بن كرام التي ادّعت أن الله تعالى جسم له حد ونهاية، وأنه محل الحوادث، وأنه مماس لعرشه: ﴿كبرت كلمة تخرج من أفواههم إن يقولون إلاّ كذباً﴾. سورة الكهف آية رقم ٥. راجع اعتقاد فرق المسلمين ص ٥٧ والتنبيه ٢٥ و١٤٨ والحور العين ص ١٥٤ وشرح نهج البلاغة لابن ابن الحديد ٢:٣٠٩ والسفاريني ١:٨٠ والفرق بين الفرق ٢٢٦ ـ ٢٢٧.

الرد على المنكرين لحدوث الأشياء:

نبدأ بجواب المنكرين لحدوث الأشياء من هذه الأصناف.

فإن سألنا سائل من أهل الدهر فقال: وما يدريكم بأن هذه الأشياء محدثة؟ ولعلّها قديمة لم تزل، قيل له: علمنا حدوثها ذلك، من وجوه: أمّا أحدها فإنّا نظرنا في هذا العالم فوجدناه صنفين لا ثالث لهما: إمّا جسم، أو عرض صفة له، ثمّ نظرنا في العرض فإذا هو صفات متضادة، متعاقبة في الجسم، فقلنا: لا تخلو هذه الأشياء من أن تكون قديمة أو محدثة فبطل أن تكون قديمة، لكونها متعاقبة في الجسم[1] آتية، وذاهبة، وليس في إتيان الآتي منها أكثر من حدوثه، ولا في ذهاب الذهاب أكثر من بطلانه وفنائه، وبطل أن تكون هذه الأشياء مجتمعة مع تضادها في الجسم بحال واحدة، لبطلان الوصف له بها في حال واحدة، ولو كان الأمر كذلك لجاز أن يسمى الجسم مجتمعاً متفرقاً، ومتحركاً ساكناً، مع سائر تلك الصفات في حال واحدة، فلمّا بطل الوصف للجسم بهذه الأشياء المتضادة[2] في حال واحدة، ثبت أن بطلان ما بطل منها لم يبطل إلاّ بحدوث ضده، وإن ما حدث منها لم يحدث إلاّ بفناء ضده وبطلانه، فلمّا كان الأمر هكذا علمنا أن تلك الأشياء بجميعها محدثة كائنة، بعد أن لم تكن، ونظرنا في الجسم فوجدناه لا يخلو من هذه الأشياء المحدثات ولا ينفك عنها، ولا يوجد قبلها، ولا بعدها، ولا يوجد إلاّ وهي معه، ولو أن متوهماً توهم

(١) الجسم: جوهر بسيط لا تركيب فيه بحسب الخارج أصلاً، وهذا عند أفلاطون، فإنه لم يقل إلاّ بالصورة الجسمية، وأمّا عند أرسطو فالجسم مركّب من حال ومحل، فالحال هو الصورة، والمحل هو الهيولى.

وأمّا عند جمهور المتكلمين وبعض الحكماء المتقدمين، فهو مركّب من أجزاء متناهية لا تتجزأ بالفعل، ولا بالوهم، وتسمى تلك الأجزاء جواهر فردة. المعجم الفلسفي.

(٢) الضدان في اصطلاح المتكلمين: عبارة عمّا لا يجتمعان في شيء واحد من جهة واحدة، وقد يكونان وجوديين كما في السواد والبياض، وقد يكون أحدهما سلباً وعدماً، كما في الوجود والعدم والضدان: لا يجتمعان لكن يرتفعان، كالسواد والبياض، والنقيضان لا يجتمعان ولا يرتفعان، كالوجود والعدم، والحركة والسكون. المعجم الفلسفي.

الجسم غير مجتمع ولا متفرق ولا متحرك ولا ساكن، كان قد توهم ضرباً من المحال فاسداً، ووجهاً من الخطأ مضمحلاً، لأنه إذا توهم ذلك، توهم بطلان وجوده، وفساد كونه، والله وليّ التوفيق.

ثم رجعنا إلى القول في الجسم فقلنا: لّما كان الجسم غير عار من هذه الأعراض ولا منفك عنها في حال من أحواله، ولم يوجد[1] إلاّ وهي به، ولا يتقدمها بحال واحدة، ولا يجوز أن يتأخر بعدها حالاً واحدة، وهي بجميعها محدثة ـ كما وصفنا ـ قضينا على الجسم بالحدوث، كما[2] قضينا على العرض بالحدوث، إذ لم يسبقها ولم يكن قبلها، ولو كان الجسم قبل هذا العرض المحدث موجوداً منفكاً منه، لكان ينبغي أن يكون قديماً لوجوده قبل المحدث، فلمّا بطل عن الجسم أن يوجد قبل هذا العرض المحدث كما وصفنا، بطل عنه عند ذلك الوصف بالقدم، وثبت أنه محدث، إذ لم يسبق العرض المحدث، ولم يكن قبله، ولعلّ قائلاً من أهل الدهر يقول: فإذا قضيتم بحدوث هذه الأعراض، المتعاقبة في الجسم على حدوث الجسم، فينبغي لكم أن تقضوا على أنه قد حدث في أي حال وجدتموه موصوفاً بشيء من هذه الأعراض، أو تقضوا على أنه يحدث في كل حال من أحواله، لحدوث الأعراض إليه في كل حال، وهذا ما قد بان في فساده.

قيل لهم: قد دللنا بحدوث العرض في الجسم على حدوث الجسم، وعلى بطلان قدمه حتماً فلمّا أن ثبت حدوث الجسم، وبطل عنه أن يكون قديماً لما ذكرنا كانت مسألته إيّانا في إثبات[3] حدوث الجسم، في حين ما شاهدناه لحلول الأعراض فيه، دون حال لم نشاهده فيها مسألة ساقطة، وكذلك قوله: يحدث في كل حال من أحواله لحدوث العرض فيه بكل حال قول فاسد محال، من أجل أن حدوثه في حال يبطل حدوثه في التي تليها وينفيه، كما يبطل

(١) سقط من (أ) لفظ (يوجد).

(٢) سقط من (ب) لفظ (كما).

(٣) سقط من (ب) لفظ (إثبات).

حدوثه في الحال التي قبل حال حدوثه، وهذان القولان جميعاً ساقطان، وليس في سقوطها سقوط مقالتنا: في نفي القدم عن الجسم، وإثبات الحدوث لـه، وليس مَن قال: إن هذا الجسم لا يكون قديماً في كل حال، كمَن يقول: إن هذا الجسم يحدث في كل حال، فإن قال أيضاً: فإذا قضيتم بحدوث العرض المحدث على حدوث الجسم حين لم يسبقه الجسم ولم يتقدمه، ولم يوجد قبله، فكذلك فاقضوا بفناء هذه الأعراض وبطلانها على فناء الجسم وبطلانه، إذ كان الجسم لا يبقى بعدها ولا يتأخر عنها، فإن قلتم بذلك وجب عليكم أن تقولوا: باستحالة بقاء الأجسام، وأن لا تجعلوا منها جسماً يجوز عليه أن يبقى أبداً، وإلاّ بطل دليلكم[١]، الذي استدللتم به[٢]، من حدوث العـرض على حدوث الجسم. قيل لهم: نعم قد يجوز في الوهم، وليس بمستحيل فيه أن يكون الجسم يفنى عند حال فناء شيء من هذه الأعراض، ويبطل عنـد بطلانها، ويجوز ألاّ يفنى، ويبقى إلى حال أخرى غيرها وأخرى غير تلك الأخرى، أو حال أخرى غير تلك الأخرى، وليس ذلك مما يبطل عنه الفناء، إذ لم تكن شريطة بطلان الفناء على الشيء بقاءه حالاً أو حالين أو ثلاثة أو أكثر من ذلك، فليس سبيل القدم والحدوث هكذا وذلك أن وصفك للشيء بالقدم ينفي عنه الحدوث في كل حال، ووصفك له[٣] بالبقاء لا ينفي عنه الفناء في كل حال، فبالجملة إنك متى ما ذكرت شيئاً بأن يبقى بعد الحدوث ولم تنفِ عنه أن يكون يفنى ومتى ما وصفته بالقدم فقد أحلت عنه أن يكون يحدث أبداً.

---

(١) في (ب) أدلتكم بدلاً من (دليلكم).

(٢) في (ب) بها بدلاً من (به).

(٣) البقاء: هو سلب العدم اللاحق للوجود، أو استمرار الوجود في المستقبل إلى غير نهاية، وهما بمعنى كما في شرح «الإرشاد» وهو أعم من الدوام.

والدائم الباقي هو الله تعالى بافتقار الموجودات إلى مريم، كافتقار المعدومات إلى موجد.

والباقي تعالى هو باق لذاته، خلافاً للأشعري فإنه عنده هو باق ببقاء قائم بذاته.

والباقي بنفسه لا إلى مدة هو الباري، وما عداه باق بغيره وباق بشخصه إلى أن يشاء الله أن يفنيه، كالأجرام السماوية، والباقي بنوعه وجنسه دون شخصه وجزئه كالإنسان والحيوانات، والباقي بشخصه

ومن الدلالة على حدوث الأشياء أنّا نظرنا إلى أدنى[1] حركات الأجسام إلينا وحركات الفلك فوجدناها آخر ما مضى منها، فعلمنا عند ذلك أن لجميع ما مضى منها أولاً، كما كان له آخر، فلمّا ثبت أن لجميع ما مضى منها أولاً، علمنا أنها جميعاً محدثة كائنة بعد إذ[2] لم تكن، وبطل بذلك قول من زعم أنها لم تزل.

وقد تكلّم قوم من أهل التوحيد، فقالوا: إن قول أهل الدهر لم تزل الأشياء تحدث قول محال فاسد متناقض، لأن قولهم لم تزل يبطل الحدوث، وقولهم تحدث يبطل لم تزل، والقول إذا كان فيه[3] إثبات شيء وفيه صار باطلاً فاسداً متناقضاً، وقد ضرب قوم من أهل التوحيد مثلاً لقول أهل الدهر حين قالوا: إن هذه الأشياء التي تحدث شيئاً بعد شيء، وشيئاً قبل شيء وأنه لا يقع شيء منها، ولا يحدث إلاّ وقبله شيء آخر فقالوا: إن مثل قول[4] أهل الدهر في ذلك كمثل مَن قال: إن زيداً لا يدخل هذا الدار حتى يدخل قبلها[5] داراً غيرها، ولا يدخل تلك الغير حتى يدخل قبلها غيرها، ولا يدخل الثالثة حتى يدخل قبلها الرابعة، ولا يدخل الرابعة حتى يدخل الخامسة قبلها، إلى ما لا ينتهي فقالوا: إنه يبطل ويفسد أن يدخل شيئاً من هذه الدور أبداً،[6] إذا كان دخول شيء منها مشروطاً معلقاً بدخول غيره، وذلك الغير مشروطاً معلقاً

= في الآخرة كأهل الجنة، وبنوعه وجنسه هو ثمار أهل الجنة، كما في الحديث وكل عبادة يقصد بها وجه الله فهي الباقيات الصالحات. راجع التعريفات للجرجاني.

(١) سقط من (ب) لفظ (أدنى).

(٢) في (أ) أن بدلاً من (إذ).

(٣) سقط من (ب) لفظ (فيه).

(٤) في (أ) بزيادة لفظ (قول).

(٥) سقط من (ب) لفظ (قبلها).

(٦) الأبد: لا يثنى ولا يجمع، والآباد مولد الآبدين، وأبد الآبدين: معناه: دهر الداهرين، وعصر الباقين، أي يبقى ما بقي دهر وداهر.

وآخر الأبد: كناية عن المبالغة في التأبيد، والمعنى: الأبد: الذي هو آخر الأوقات. راجع كليات أبي البقاء.

بدخول غيره وذلك الغير مشروطاً معلقاً بغير آخر إلى ما لا يتناهى، لكن وقوع شيء مشروط بوقوع غيره قبله إلى ما لايتناهى بطلان وقوع شيء منها، فلو استثنينا واحداً من هذه الأشياء من هذا الشرط لكان غير مستحيل وقوع ما بعده وحدوثه، والقول في العدد أيضاً كالقول فيما ذكرنا، وذلك أن العدد لا يقع إلاّ وله أول يبتدأ منه، ولولا أنه كان له أول يتبدئ منه لم يجب وقوع شيء منه أبداً، فإذا كان له أول يبتدئ منه، ثبت وقوع شيء مما بعده، ولعل قائلاً منهم يقول: إن هذه الأشياء التي استدللتم بحدوثها على حدوث الجسم، كانت كامنة في الجسم تظهر في حال، وتكمن في حال، وهي مع ذلك قديمة بقدم الجسم، فيقال له كيف يجوز أن يكمن السكون في موضع هو متحرك، أو تكمن الحركة[1] في موضع هو ساكن، أو يكمن الافتراق في جزءين مجتمعين، أو يكمن الاجتماع في جزءين مفترقين، وهل يكون ذلك إلاّ وقد حل الشيء ومضاده[2] في محل واحد، في حالة واحدة، فهذا يوجب المعنى الأول الذي أنبأنا على فساده في ماضي كلامنا في إثبات الجسم ساكناً متحركاً في حال واحدة، مجتمعاً

---

(١) الحركة: هي عبارة عن كون الجسم في مكان عقيب كونه في مكان آخر. وقيل الحركة كونان في آنين في مكانين.

والمتكلمون إذا أطلقوا الحركة أرادوا بها الحركة الأينية المسماة بالنقلة، وهي المتبادرة في استعمال اللغة، وقد تطلق عندهم على الوضعية دون الكمية، والكيفية.

والحركة لا تقع وصفاً بالذات إلاّ للمتحيّز بالذات. والحركة أعم من النقلة لوجود الحركة بدونها، فيمن يدور في مكانه.

والحركة الكمية كحركة النمو، وهو أن يزداد مقدار الجسم في الطول، والعرض، والعمق، وذهب الرازي إلى أن النمو والذبول ليسا من الحركة، وكلام الشريف يميل إليه. والحركة الكيفية المحسوسة كحركة الماء من البرودة إلى السخونة، والحركة الكيفية النفسانية: كحركة النفس في المعقولات فتسمى فكراً كما أنها في المحسوسات تسمى تخيلاً.

والحركة الوضعية: كحركة الجسم من وضع إلى وضع آخر ككون القاعد قائماً، وكحركة الفلك في مكانه على الاستدارة.

والحركة الأينية: كحركة الجسم من مكان إلى مكان آخر. راجع المعجم الفلسفي.

(٢) الضد، والضديد واحد، والأضداد وقد يكون الضد جماعة قال الله تعالى: ﴿ويكونون عليهم ضداً﴾ وقد ضاده مضادة وهما متضادان، ولا ضديد له: أي لا نظير له ولا كفء له. راجع التعريفات للجرجاني.

متفرقاً في حال واحدة، وعلى أنه لو لم يجب ذلك، وكان ما زعم هذا الزاعم من كمون هذه الأعراض صحيحاً، لكان الكلام قائماً والسؤال لازماً، من قبل أن هيئة الجسم في حال كمون الكامن فيه، بخلاف هيئته في حال ظهوره فيه، وإذا اختلفت هيئته بالظهور والكمون،[1] فقد تضاد عليه أمران يوجد كل واحد منهما بعدم صاحبه، ويعدم بوجوده، فقد صار الجسم بذلك لا يخلو من هذين الحادثين ولا ينفك منهما، فذلك يوجب حدوثه إذا كان ما لم يسبق الحادث فهو حادث مثله، فقد عاد الأمر الذي هربوا منه بحاله في الدلالة على حدوث الأجسام، وقد كان بعض أهل العلم من المتقدمين سألهم في هذا الباب عن مسألة، فقال لهم: أخبروني عن شيخ رأيتموه قاعداً بحضرتكم ذا شيبة، تزعمون أنه لم يزل على ما شاهدتموه عليه في تلك الحال، أم قد كان طفلاً، ثم نشأ ثم شبّ، ثم شاخ؟ فإن قالوا: لم يزل على ما شاهدناه عليه من هذه الهيئة، ظهر أمرهم لكل ضعيف وقوي، وعلم كل عاقل أنهم يدفعون ما يعلمونه ضرورة، فإن قالوا: قد كان طفلاً، ثم ناشئاً، ثم شاباً، ثم شيخاً على هذه الهيئة، فيقال لهم[2] أفحدث شيء قد كان به كبيراً بعد أن كان صغيراً، أو شيخاً بعد أن كان شاباً؟ فإن قالوا: لا، قيل[3] لهم فهو إذاً على ما كان وهو شاب وطفل، وهذا يشهد بفساده العيان والمشاهدة. فإن قالوا: وإن لم يحدث

---

(١) الكمون: فإن طائفة ذهبت إلى أن النار كامنة في الحجر وذهبت طائفة إلى أبطال هذا وقالت: إنه لا نار في الحجر أصلاً وهو قول ضرار بن عمرو.
وضرار ينسب إلى مخالفيه أنهم يقولون: إن النخلة بطولها وعرضها وعظمها كامنة في النواة، وأن الإنسان بطوله وعرضه، وعمقه وعظمه كامن في المني.
وخصومه ينسبون إليه أنه يقول: إنه ليس في النار حر، ولا في العنب عصير، ولا في الزيتون زيت، ولا في الإنسان دم. ويقول ابن حزم: وكلا القولين جنون ومكابرة للحواس والعقول والحق من ذلك أن في الأشياء ما هو كامن كالدم في الإنسان، والعصير في العنب.
وذهب الباقلاني وسائر الأشعرية: إلى أنه ليس في النار حر ولا في الثلج برد ولا في الزيتون زيت يقول ابن حزم وهذا أمرٌ ناظرنا عليه مَن لقيناه منهم. راجع الفصل ١٨٥:٥ وما بعدها.

(٢، ٣) سقط من (ب) لفظ (لهم).

شيء فقد ظهر شيء، كامن له صار به شيخاً بعد أن كان شاباً، قيل لهم: فاحسبوا الأمر على ما تقولون من ظهور شيء كامن صار به شيخاً بعد أن كان شاباً. أفحدث ظهور بعد كمون، أو لم يحدث ظهور بعد كمون؟ عاد الكلام الأول، وقال لهم: فهو إذاً على ما كان قبل ظهور الكامن، وإلاّ فلم صار شيخاً بعد أن كان شاباً؟ فإن قالوا: حدث شيء لم يكن له صار به شيخاً بعد أن كان شاباً أقروا بحدوث[1] الحادث، ودخلوا في جميع ما هربوا منه، والذي يلزم النافين للأعراض، والمنكرين للحوادث أمور كثيرة، لو استقصيناها لخرج الكتاب عن اسمه، ولذهب عن معناه، والذي ذكرنا من ذلك في هذا الموضع كاف عمّا لم نذكره، إن شاء الله، إذ لم يكن غرضنا ها هنا، إقامة الدليل على ثبوت الأعراض، والرد على النافين لها، وإنما ذكرنا هذه اللمع لنستشهد بها على حدوث الجسم، وبطلان قدمه، والله الموفق للصواب.

فإن سأل سائل فقال: قد دللتم على حدوث الأشياء لا من شيء فهل تقولون أن لها محدثاً أحدثها؟ ولعلّ هذه الأشياء حدثت لغير محدث ولعلّها حدثت[2] من تلقائها، وما دلكم على حاجتها إلى محدث يحدثها؟ قيل له: لا تخلو هذه الأشياء من وجهين لا ثالث لهما: إمّا أن تكون حدثت بمحدث أحدثها، أو حدثت من تلقائها بلا محدث، وبطل أن تكون تحدث من تلقاء نفسها، لأنها لو كانت كذلك لحدثت قبل وقت حدوثها أو بعده، ولكان المتقدم

---

(١) الحدوث: الخروج من العدم إلى الوجود، أو كون الوجود مسبوقاً بالعدم اللازم للوجود، أو كون الوجود خارجاً من العدم اللازم للموجود.

وأظهر التعريفات للحدوث هو أنه حصول الشيء بعدما لم يكن وقول المتكلمين: هو الخروج من العدم إلى الوجود فهو تعريف مجازي، إذ العدم ليس بظرف للمعدوم ولا حقيقة فيه. والحدوث الذاتي عند الحكماء: هو ما يحتاج وجوده إلى الغير فالعالم بجميع أجزائه محدث بالحدوث الذاتي عندهم، كما أن القدم الذاتي: هو أن يكون وجوده من الغير، وهو الباري جل شأنه، والقدم المطلق: هو أن يكون وجوده مسبوقاً بالعدم.

وأمّا الحدوث الزماني: فهو ما سبق العدم على وجوده سبقاً زمانياً.

(٢) سقط من (ب) لفظ (حدثت).

منها متأخراً، والمتأخر متقدماً، والمتوسط متقدماً أو متأخراً، أو متقدمة جميعاً، أو متأخرة جميعاً فلما أن وجدناها حدثت في وقت حدوثها، دون ما قبل ذلك الوقت، ودون ما بعده، ووجدنا المتقدم منها متقدماً، والمتوسط متوسطاً، والمتأخر متأخراً، علمنا أن ذلك لم يكن إلاّ بإرادة محدث أحدثها، فقدم منها ما أراد أن يقدمه ووسط ما أراد أن يوسطه، وأخر ما أراد أن يؤخره، وبطل عندما ذكرنا القول بأن الأشياء حدثت من تلقاء نفسها بغير محدث، وثبت القول الثاني بأن الأشياء محتاجة إلى محدث يحدثها في أوقات حدوثها، يقدم ما أراد تقديمه منها، ويؤخر ما أراد تأخيره. فإن قال: وما يدريكم لعلّ هذه الأشياء أحدثت أنفسها[1] ولعلّ المحدث لها هي بأنفسها؟ قيل له: لا تخلو هذه الأشياء بعدما ثبت حدوثها وثبت أن لها محدثاً أحدثها، وأنها غير مستغنية عن ذلك من وجهين لا ثالث لهما: إمّا أن تكون أحدثت نفسها، أو أن تكون أحدثها غيرها، ويبطل أن تكون أحدثت نفسها من قبل أنها لا تخلو في حال حدوثها من أن

---

(١) يقول الشيخ نديم الجسر: هناك ثلاثة فروض لا رابع لها أبداً الأول: أن تكون من صنع الله، الثاني: أن تكون من صنع ذي المادة، الثالث: أن تكون هذه التنوعات حدثت بطريق المصادفة. أما الفرض الأول: فيقول به المؤمنون بالله، وأمّا الفرض الثاني فلا يقول به أحد مطلقاً لا المؤمنون ولا الماديون، بل إن هؤلاء الماديين أنكروا إنكاراً قاطعاً أن يكون لعناصر المادة إرادة وقصد وغاية.

إذاً قد أصبحنا أمام فرضين لا ثالث لهما: فإمّا أن تكون تنوعات العالم من خلق الله وصنعه، وإمّا أن تكون نتيجة للمصادفة.

ونظرة في ملكوت السموات والأرض من الذرة إلى المجرة وعدد ما يربط بينها في عالم الأمر من روابط وعلائق على اختلاف النواميس والأقدار والمدد، والأشكال والحركات والأوضاع ثم ما في هذا الكون الكبير من تقدير، واتزان، وتنظيم، وترتيب، وأحكام، وإتقان تنفي نفياً قاطعاً أن يكون للصدفة مكان في هذا الخلق العجيب.

قال تعالى: ﴿إنّا كل شيء خلقناه بقدر﴾ سورة القمر آية ٤٩ وقال تعالى: ﴿وكل شيء عنده بمقدار﴾ سورة الرعد آية ٨ وقال تعالى: ﴿صنع الله الذي أتقن كل شيء﴾ سورة النمل آية ٨٨ وقال تعالى: ﴿والأرض مددناها وألقينا فيها رواسي وأنبتنا فيها من كل شيء موزون﴾ سورة الحجر آية ٨ إلى غير ذلك من الآيات البيّنات التي تنفي نفياً قاطعاً أن تكون هذه الأشياء أحدثت نفسها أو حدثت عن طريق العفوية والمصادفة. راجع قصة الإيمان للشيخ نديم الجسر، باب: حظ المصادفة ٢٩٥ ـ ٢٩٧ بتصرّف.

تكون معدومة أو موجودة، فإن كانت معدومة فالمعدوم[1] لا يحدث شيئاً، نفسه ولا غيره، فإن تكن موجودة، فما حاجتها إلى أن توجد نفسها وهي موجودة بعد؟ فلما فسد هذان الوجهان ثبت أن لها محدثاً أحدثها، وهو غيرها موجود قبل إيجاده لها ذلكم الله ربّ العالمين.

إثبات الوحدانية:

فإن قال: وما يدريكم أن محدث هذه الأشياء واحد؟ ولعلّ محدثها اثنان أو أكثر من ذلك، قيل له: لا يخلو محدث الأشياء بعدما ثبت أنه غيرها من وجهين لا ثالث لهما: إمّا أن يكون واحداً كما قلنا، أو أكثر من واحد، ويبطل أن يكون أكثر من واحد من قبل، أنه لا يخلو أن يكونا جميعاً موصوفين بصفة واحدة متفقة، أو يكون كل واحد منهما موصوفاً بصفة غير صفة صاحبه، فإن كانا جميعاً موصوفين بصفة واحدة متفقة فهذا معنى الواحد، وليس لذكر الاثنين أو أكثر من اثنين وجه، وإنما ذلك عبارة بلفظ الاثنين عن معنى الواحد، أو يكون كل واحد منهما موصوفاً بغير صفة صاحبه، فالخارج منهما عن صفة القديم المحدث للأشياء غير مستحق أن يحدث شيئاً، فلمّا بطل عن هذا أن يكون يحدث شيئاً ثبت أن محدث الأشياء هو الموصوف بصفة القديم الخارج عن صفة المحدث.

لقد تكلم قوم من أهل التوحيد في هذا الباب بكلام قريب من هذا المعنى فقالوا: لا يخلو الاثنان من وجهين: إما أن يكونا متفقين أو مختلفين، فإن

---

(١) العدم: الفقد وضد الوجود [وهو عبارة عن لا وجود ولا وجود نفي للوجود] والعدم المطلق: هو الذي لا يضاف إلى شيء، والمقيّد: ما يضاف إلى شيء نحو: عدم كذا، والعدم السابق: هو المتقدم على وجود الممكن، والعدم اللاحق: هو الذي بعد وجوده. والعدم المحض: هو الذي لا يوصف بكونه قديماً ولا حادثاً ولا شاهداً، ولا غائباً.

والعدم المطلق: بمعنى لا يتحقق لا ذهناً ولا خارجاً. راجع شرح المقاصد فصل الوجود والعدم ١:٣٢٧ وما بعدها.

يكونا متفقين فهو الذي قلنا من إثبات الواحد، وإن كانا مختلفين، فالمخالف منها لصفة الربوبية غير مستحق لأن يحدث شيئاً، وثبت أنَّ إحداث الأشياء لواحد قديم ذلكم اللّه رب العالمين.

وقالوا أيضاً في فساد القول بالاثنين[1]، أو أكثر من الاثنين: لا يخلو كل واحد منهما من أن يكون قادراً على صاحبه، أو غير قادر عليه، فإن كان كل واحد منهما قادراً على صاحبه، فهذا معنى الواحد وإن كان كل واحد منهما غير قادر على صاحبه كانا موصوفين بالعجز، فكيف يكون العاجز مستحقاً لإحداث شيء من الأشياء؟ وقالوا أيضاً في فساد القول بالاثنين: لا يخلو كل واحد منهما من أن يكون يقدر على أن يفني صاحبه فهذا هو الوصف بالواحد، وليس لذكر الاثنين مع هذه الصفة وجه، أو يكون كل واحد منهما لا يقدر على أن يفني صاحبه، فيكونا جميعاً قد دخلا في باب العجز، فالداخل في باب العجز غير مستحق أن يحدث شيئاً.

وقالوا أيضاً في فساد القول بالاثنين: لا يخلو كل واحد منهما من أن يكون يخفي عن صاحبه أمراً، أو لا يخفيه، فإن كان كل واحد منهما يخفي عن صاحبه أمراً ويستره دونه، فقد دارت القصة من حيث ما دارت إلى أن يكون الاثنان الموصوفان بصفة واحدة في معنى الواحد، وبطل ذكر الاثنين واللفظ بها، أو يكون كل واحد منهما لا يخفي دون صاحبه أمراً، كانا جميعاً موصوفين بالجهل والعجز وفي وصفه إياهما بذلك ما يخرجهما من حد إحداث الأشياء، والتدبير لها، فلما ثبت القول بما قلنا من هذا، وفسد القول بغير ذلك مما رسمناه في كلامنا هذا صح أنَّ محدث الأشياء واحد، لا اثنان، ولا أكثر من ذلك، وربنا محمود.

(١) وقال اللّه تعالى: ﴿لا تتخذوا إلهين اثنين، إنما هو إله واحد فإياي فارهبون﴾ سورة النحل آية ٥١ لقد أمر اللّه ألا يتخذ الخلق إلهين اثنين، إنما هو إله واحد لا ثاني له، وهو كذلك مالك واحد ﴿وله ما في السموات والأرض﴾ سورة النحل آية ٥٢ ودائن واحد ﴿وله الدين واصباً﴾ سورة النحل آية ٥٢ أي واصلاً منذ ما وجد الدين فلا دين إلاَّ دينه ومنعم واحد ﴿وما بكم من نعمة فمن اللّه﴾ سورة النحل آية ٥٣.

وهكذا ينفرد سبحانه وتعالى بالألوهية، والملك، والدين، والنعمة والتوجه.

دفع التشبيه[1]:

فإن قال: وما يدريكم بأنَّ محدث هذه الأشياء غير مشبه لها؟ لعله مشبه لهذه الأشياء أو مشبه لبعضها قيل له: لا يخلو المحـدث للأشيـاء من أحد وجهين لا ثالث لهما: أما أن يكون مشبهاً لها أو غير مشبه لها، وبطل القول بأنَّه يشبهها من قبل أنَّه لو أشبهها للزمه من الحدوث ما لزمها، ونحن قد دللنا فيما قبل على حدوثها، ولو لزمه من الحدوث ما لزمها، لكان هو أيضاً محتاجاً إلى محدث ثان يحدثه، ولكان ذلك المحدث الثاني محتاجاً هو أيضاً إلى محدث ثالث والقول في الثالث كالقول في الثاني، والقول في الرابع كالقول في الثالث، فيكون الأمر متسلسلاً إلى ما لا نهاية له من الفساد، فلما فسد القول بهذا، ثبت أنَّ محدث الأشياء غير مشبه لها، ولا مشبه لبعضها في وجه من وجوه الإشباه، وذلك أنَّ هذه الأشيـاء دالة بجميـع وجوههـا على عجـزها وحاجتها وحدوثها، فلو كان الذي أحدثها مشبهاً لها، أو مشبهاً لشيء منها بوجه من هذه الوجوه، للزمه مما ذكرنا ما لزم ذلك الشيء، يتعالى عن ذلك رب العالمين.

انتهى الكلام في حدوث الأشياء، والدلالة على بطلان قدمها، وإثبات المحدث أنَّه واحد، وأنَّه غير مشبه للأشياء، بما هو مقنع إن شاء اللّه، واللّه ولي التوفيق.

---

(١) نشأ مبدأ التشبيه من مذاهب الحلولية والتناسخية، ومن مذاهب اليهود والنصارى، فقد شبهت اليهود الخالق بالخلق، وشبهت النصارى الخالق بالخلق، وسرت هذه الشبهات في أذهان الغلاة.
وقد اعتمد الغلاة التشبيه لهدم مبدأ الألوهية، لأنَّ التشبيه يجعل المشبه، والمشبه به على مستوى واحد، وعلى مستويات متقاربه ونتسائل: كيف يتصور الشبه بين القديم والمحدث، ومن زعم أنَّ البـاري سبحانه في مكان أو على مكان أو متصل بمكان أو يتصور على الضمير أو يتخايل، في الأوهام أو يدخل تحت الصفة أو النعت فقد أشرك. راجع الغلو والفرق الغالية ص ١٤٦

النقض على الدهرية[1]:

ونحن الآن مبتدئون سؤالنا عن أهل الدهر، وناقضون عليهم في كل ما ذهبوا إليه، ولا قوة إلاَّ بالله.

أعلم أيدك الله أنَّ الدهرية جميعاً متفقون على قدم العالم، وإبطال حدوثه واختلافهم بعد ذلك في وجوه تصرف العالم في ذاته على ما سنذكره إن شاء الله.

يقال لهم جميعاً: ما الذي دعاكم إلى القول بقدم العالم؟ قالوا: لأنا وجدناه من حين ما وجدناه هكذا، متصلاً بعضه ببعض، ليس لاتصاله أول، فقضينا بما شاهدنا من ذلك على ما كان قبله، مما لم نشاهده لصحة الاستدلال بالشاهد على الغائب، وبالبعض على الكل، ويقال لهم: أو قد شاهدتم هذا العالم أو شيئاً منه، قديماً لم يحدث؟ فإن قالوا: نعم بان كذبهم، لأنَّهم لم يكونوا

---

(١) الدهرية: هم فرقة خالفت ملة الإسلام، وادعت قدم الدهر، واسندت الحوادث إليه كما حدَّث القرآن الكريم عنهم ﴿وقالوا ما هي إلاَّ حياتنا الدنيا نموت ونحيا وما يهلكنا إلاَّ الدهر.﴾ سورة الجاثية آية ٢٤. وذهبوا أيضاً إلى ترك العبادات لزعمهم أنها لا تفيد، والدهر بما يقتضيه مجبول من حيث الفطرة على ما هو عليه فما ثمّ إلاَّ أرحام تدفع، وأرض تبلع، وسماء تقلع، وسحاب يقشع، وهواء يقمع، ويسمون بالملاحدة، ويمكن رد أصل الدهرية إلى مدارس الفلسفة الإغريقية، ويفرق الإمام الغزالى في كتابه «المنقذ من الضلال» بين الدهرية والطبيعيين، وتقول دائرة المعارف الإسلامية: تقدم علماء المشرق تقدماً كبيراً نحو الدهرية عندما تغلغل بينهم العلم الطبيعي الأوربي كمذهب «داروين» ومذهب المادية، وغير ذلك، وقد رد على الدهرية (جمال الدين الأفغاني) في رسالته بعنوان (رسالة في إبطال مذهب الدهريين)، ويتضح من ذلك إذن أنَّ المادية مرادفة للدهرية، ويجيز فقهاء اللغة أيضاً النطق بكلمة (الدهرية) بضم الدال عملاً بقاعدة تغير الحركة وهو أمر مألوف في النسبة.

راجع:

١ ـ دائرة المعارف للبستاني ـ مجلد ٨ مؤسسة مطبوعاتي إسماعيليان.

٢ ـ مفاتيح العلوم ـ لطاش كبرى زادة ط فان فلتن ص ٣٥.

٣ ـ الملل والنحل ـ للشهرستاني.

٤ ـ الحيوان للجاحظ جـ ٢ ص ٥٠.

٥ ـ دائرة المعارف الإسلامية بتصرف جـ ٩ ص ٣٣٨، ٣٣٩، ٣٤٠.

قدماء فيكونوا مشاهدين لقدم ما أدعوا قدمه من ذلك، مع أنَّه لو شوهد ذلك بالعيان كما قالوا لما اختلف فيه اثنان، فإن رجعوا، وقالوا: لما شاهدناه متصلاً لا غاية لاتصاله، قضينا بذلك على أنَّ لا غاية له. قيل لهم: وما في اتّصال بعضه ببعض ما يفسد حدوثه ونحن إنما سألناكم عن الدليل[1] فجعلتم دعواكم دليلكم بل لو رجعتم إلى ما شاهدتم من ذلك لعلمتم أنَّ هذا العالم غير قديم، ولقضيتم عليه بالحدوث، لأنكم لم تزالوا من حين ما شاهدتموه ترون فيه جائياً حادثاً، وذاهباً فانياً، وهل نفس الحدوث إلاَّ وجود الشيء بعد عدمه؟ أو هل نفس الفناء إلاَّ بطلان الشيء بعد وجوده؟ فإن قالوا: إنَّه يستحيل في أوهامنا أن يحدث شيء من غير شيء، قيل لهم: وكيف يستحيل في أوهامكم أن يحدث شيء لا من شيء ولم يستحل أن يوجد شيء لم يكن قبل وجوده؟ أم كيف يستحل ما ذكرتم من حدوث شيء من غير شيء، ولا يستحيل فناؤه إلى غير شيء؟ فلما أن وجدنا شيئاً أو أشياء تفنى إلى غير شيء، ولو لم يتصور ذلك في أوهامنا علمنا أنَّها تحدث من غير شيء، ولو لم يتصور حدوثها في أوهامنا، وقد مضى القول في حدوث العالم، والدلالة على ذلك في أول كتابنا بما هو مقنع إن شاء اللّه، وبه الحول والتوفيق.

الرد على المنجمين[2]:

ويسأل المنجمون منهم في زعمهم أنَّ هذا العالم بما فيه متصل بالنجوم،

---

(١) الدليل: المرشد إلى المطلوب يذكر ويراد به الدال، ثمّ اسم الدليل يقع على كل ما يعرف به المدلول، حسياً كان أو شرعياً، أو قطعياً، حتى سمي الحس، والعقل، والنص والقياس، وخبر الواحد، وظواهر النصوص كلها أدلة.
والدليل عند الأصولي: هو ما يمكن التوصل به بصحيح النظر فيه إلى مطلوب خبري.
ودلائل الشرع خمسة: الكتاب، والسنة، والإجماع، والقياس. والعقليات المحضة كالتلازم والتفاني والدوران والثلاثة الأول نقلية، والباقيان عقليان.
ولا يخلو الدليل من أن يكون على طريق الانتقال من الكلي إلى الكلي فيسمى برهاناً، أو من الكلي إلى البعض فيسمى استقراءً أو من البعض إلى البعض فيسمى تمثيلاً. راجع التعريفات للجرجاني ص ٩٣.

(٢) إنَّ النجوم أجسام وصور مركبات، تحركها القدرة، وما كان هذا سبيله كان محدثاً، والمحدث لا يكون

وأنَّ النجوم هي التي تضطره إلى جميع ما يحدث فيه، ويكون منه، فيقال لهم: أخبرونا عن هذه النجوم أليست هي أجسام بمكان دون مكان؟ فلا بدّ من بلى، فيقال لهم: كيف تضطر هذه النجوم التي هي في السماء، شيئاً هو في الأرض؟ وهل يفعل الجسم في مكان ليس هو فيه، ولم يشغله؟ فما أنكرتم على هذا المعنى أن يكون الإنسان في الأرض وهو يضطر النجوم ويحملها على ما كان منها، والإنسان حي والنجوم موات، فهو أولى بأن يضطرها إلى ما يكون منها، من أن تكون النجوم هي التي تضطر الإنسان، ثمّ يقال لهم أخبرونا عن هذه الأشياء التي في الأرض، أليست إنما تتحرك وتسكن بتحريك الأفلاك أياها وتسكينها لها؟ فيقولون: بلى، قيل لهم: والأفلاك أيضاً إنما تتحرك وتسكن بتحريك ما فوقها إياها، وبتسكينه لها، فيتصل ذلك إلى غير غاية أو إلى غاية؟ فإن قالوا: إلى غاية أثبتوا النهاية وخرجوا من قولهم، فإن قالوا إلى غير غاية أحالوا، وقد دللنا في غير موضع من كلامنا على فساد وجود ما لا غاية من الأشياء.

الرد على أصحاب الطبائع[1]:

ويسأل أصحاب الطبائع في زعمهم، أنَّ الأشياء تتكون من طبائع أربعة:

= محدثاً للحوادث. والدليل على أنَّ النجوم حادثة انتقالها من برج إلى برج، فإنَّ صح أنَّ النجوم محدثات، لم يجز أن يكون لها أفعال، لأنَّ المحدث لا يفعل في غيره شيئاً ولا يوجد عدماً، ولا يعدم وجوداً، فبطل أن يكون للنجوم تأثير في إيجاد ما يوجد، واعدام ما يعدم. وإذا كان هذا حال النجوم فإنَّ حال المنجمين كذلك والله أعلم. راجع كتاب النور ص ٣٦. بتصرف للعالم الفقيه بن أبي عبدالله الأصم.

(١) يقول صاحب كتاب النور: الطبائع: هي الحرارة، والبرودة والرطوبة، واليبوسة، فقالوا باجتماعها صح تركيب العالم، وهذا لا يصح، لأنَّ الحرارة ضد البرودة، والرطوبة ضد اليبوسة، ولا يجوز اجتماع الضدين في ذات واحدة، كما أنَّ الحركة ضد السكون، والسواد ضد البياض، فلا يجوز أجتماع هذه المتضادات فبطل ما قالوه إنَّ باجتماعهما تركيب العالم، لأنَّ الطبائع محتاجة إلى المكان، وليست بقائمة بأنفسها فتكون غير مستطيعة على القيام بنفسها على حدثها، إذ حقيقة القديم استغناؤه عن المكان والزمان والله تعالى أعلم. كتاب النور ص ٤٢ للعالم الفقيه عثمان بن عبدالله الأصم.

من حر وبرد ويبس ورطوبة، فيقال لهم: أخبرونا عن هذه الطبائع أحيوان هي أم موات؟ فيحيدون عند ذلك عن الجواب، فلا يقولون حيوان ولا موات ولا يجيبون إلاَّ بمثل هذيان وتخليط، ويقولون: إنَّ الطبائع إذا امتزجت بضرب من الامتزاج، تكون عند امتزاجها صفة كذا، وإذا امتزجت بضرب آخر من الامتزاج، يخالف الامتزاج الأول، تكون عند ذلك الامتزاج شيء بخلاف الصفة الأولى، قيل لهم: فإنا نظرنا إلى هذه الصنائع التي تكون منا من: الحياكة، والصبغ، والصياغة، والبناء وضرب النقش، وما يشبه ذلك، فوجدناه لا يقع، ولا يكون إلاَّ ممن به حياة وعلم وقدرة، ولا تتكون عن طبيعة ما أبداً، فلم جعلتم ما هو أعجب من ذلك صنعاً من تأليف الحيوان، وتركيبه، وزيادته ونقصانه، ونموه، وتناسله، وغير ذلك من صنوف عجائب التدبير، يكون بالطبائع، من غير حياة ولا علم ولا قدرة؟ وفي فساد تكوّن ما هو دون ذلك من صنائع ووقوعه عن الطبائع بطلان تكوّن ما هو أعجب من ذلك صنعاً، وألطف منه حكماً، عن الطبائع.

ثمّ يقال لهم: أخبرونا عن هذه الألوان التي توجد في الأشياء، من بياض وحمرة وسواد وصفرة وخضرة، أعن طبائع تكونت؟ فإن قالوا: نعم، قيل لهم: فما بال الأبيض منها نجده حاراً تارة، وتارة بارداً، فنجد الأسود يابساً تارة، وتارة لدناً، ونجد الأبيض حلواً تارة، وتارة حامضاً والأسود حامضاً تارة، وتارة حلواً، وتختلف في اللون والطعم، وتتفق في الحرارة والبرودة، وفي اليبس واللدونة، فهلا كان الحامض حيث ما وجدناه رطباً أو يابساً، والأبيض حيث ما وجدناه حاراً أو بارداً؟ وفي وجودنا اتفاق هذه الألوان، وهذه الطعوم، على غير اتفاق الطبائع التي ذكرتم، ووجودنا اختلاف هذه الألوان، وهذه الطعوم على غير اختلاف الطبائع التي بنيتم عليها تكون الأشياء، فساد القول بالطبائع.

الرد على أصحاب أرسطوطاليس:[1]

ويقال لأصحاب أرسطاطاليس في زعمهم أن الهيولي قديم لم يزل ومعه قوة قديمة، والهيولي غير ذي أعراض، والقوة كذلك، حتى غلبت القوة الهيولي فحدث عن تغلبها الأعراض، ويقال لهم: أخبرونا عن تغلب القوة الهيولى، أطبع هو أم اختيار؟ فإن قالوا: طبع، قيل لهم: فكيف غلبته بعدما لم تغلبه؟ والطبع لشيء غير مفارق له، فلو كان تغلب القوة الهيولي[2] بالطبيعة كما زعمتم، لكانت تغلبه فيما لم يزل، كما أنها لم تزل معه، فإن قالوا: إن تغليب القوة الهيولي اختيار ولا يقولونه، قيل لهم: وما يدريكم إذا كان تغليب القوة الهيولي اختياراً أنها لم تكن غلبته قبل ما غلبته؟ ولعلّ القوة قد غلبت الهيولي قبل ذلك ولا تعلمون به؟ ويسألون عن كون القوة في الهيولي، أعلى المماسة هو أم على غير المماسة؟ فإن قالوا: على غير المماسة أبطلوا قولهم، في التغليب، وكيف يغلب شيء شيئاً ولم يُمَاسَّهُ؟ فإن قالوا: على المماسة أثبتوا معنى ثالثاً غير الهيولي، وغير القوة وهو المماسة، فبطل قولهم: إن الهيولي غير ذي أعراض والمماسة عرض. ويقال لهم: أخبرونا عن الهيولي، أليس هو لم يزل غير ذي لون، ولا طعم، ولا حركة، ولا سكون، ولا أعراض، فإن قالوا: إنه لم يزل

---

(١) أرسطوطاليس: هو ابن نيوقرماقوس، من أهل «اصطخر» ولد سنة ٣٨٤ قبل الميلاد في مدينة (اصطخر) كان أبوه طبيباً للملك المقدوني «أمنتاس» الثاني جد الإسكندر وتعلّم مع «فيلبس» أبي الإسكندر، والتحق بأكاديمية «أفلاطون» فلزمها عشرين سنة إلى أن توفي «أفلاطون» من كلماته المشهورة: أحب الحق وأحب أفلاطون، وأوثر الحق على أفلاطون، استدعاه «فيلبس» المقدوني ليتولى تربية ابنه الإسكندر، وأنشأ مدرسة المشائين وأنشأ مكتبة كانت الأولى من نوعها في العصر القديم، واتهم بالإلحاد، وألف كتباً كثيرة في المنطق والعلوم الطبيعية والأخلاق والسياسة مات عام ٣٢٢ ق.م (راجع الملل والنحل ج ٢ ص ٣٦٢ هامش).

(٢) الهيولي: لفظ يوناني بمعنى الأصل والمادة، وفي الاصطلاح: هو جوهر في الجسم قابل لما يعرض لذلك الجسم من الاتصال والانفصال محل للصورتين الجسمية والنوعية «تعريفات الجرجاني». وقال ابن سينا: الهيولي المطلقة: فهي جوهر، ووجوده بالفعل إنما يحصل لقبول الصورة الجسمية لقوة فيه قابلة للصور، وليس له في ذاته صورة تخصه إلاّ معنى القوة، ومعنى قولي لها: هي جوهر. راجع النجاة ص ٤٩ للرئيس أبو علي بن سينا.

ليس بذي أعراض، قيل: فأنّى حدثت فيه هذه الأعراض، وهو لم يزل ليس بذي أعراض؟ مع ما يقال لهم في القوة أليست غير ذات أعراض؟ فمن قولهم: بل فيقال لهم: فما بال القوة غلبت الهيولي دون أن يكون الهيولي غلبها، وهما بصفة واحدة؟ أم كيف سميتم القوة قوة ولم تسموها هيولي؟ أم كيف سميتم الهيولي هيولي دون أن تسموه قوة؟ وهما جميعاً بصفة واحدة؟[1] ولا يوصف أحدهما إلاّ بما يوصف به صاحبه[2] مع ما يقال لهم أخبرونا عن الهيولي والقوة أمختلفان هما أم متفقان؟ فإن قالوا مختلفان أثبتوا الأعراض،[3] وليس ذلك من قولهم، لأن الاختلاف لا يكون إلاّ بالصفات المختلفة، فإن قالوا متفقان عاد إليهم الكلام الأول: لم سمّيتم الهيولي هيولي والقوة قوة، وهما جميعاً بصفة واحدة؟

مسألة في النهايات:

يقال لأهل الدهر في نفيهم نهاية العالم وفي زعمهم أنه منبسط غير متناه ولا محدود: أخبرونا عن هذه الأرض عن جميع هذا العالم هل يخلو من أن

---

(١) سقط من (ب) لفظ (واحدة).

(٢) في (ب) الآخر بدلاً من (صاحبه).

(٣) العرض: ما لا يقوم بذاته، وهو الحال في الموضوع فيكون أخص من مطلق الحال.
والعرض عندنا موجود قائم بمتحيز، وعند المعتزلة ما لو وجد لقام بالمتحيز.
وعند الحكماء ماهية إذا وجدت في الخارج كانت في موضوع أي محل يقوم لما حلّ فيه.
والمختار أن العرض هو الوجود الذي لا يتصور بقاؤه في زمانين وفيه احتراز عن الإعدام، إذ هي غير موجودة.
والمراد من قوله: العرض ما لا قيام له بذاته ما لا وجود له بذاته لا القيام الذي هو ضد القعود، لأن ذلك وصف زائد على نفس الماهية. والعرض يقوم بالعرض عند بعض المتكلمين يعني به الإنصاف: يقال هذه رائحة طيبة، وتلك منتنة، وهذا الفعل حسن، وذاك قبيح، ويمتنع عند جمهور المتكلمين.
والعرض العام هو: إمّا لازم كالتنفس والتحرّك للإنسان. أو مفارق وهو إمّا سريع الزوال كحمرة الخجل وصفرة الوجل، أو بطيء كالشيب والشباب. راجع كتاب النجاة ٣٢٥ ومعيار العلم، طبعة مصر ١٣٢٩هـ ص ١٩٤ ومفاتيح العلوم ٨٦ والجوهر: الذات، الماهية، المقولات والمعجم الفلسفي ٢:٧٠.

يكون له وسط أم ليس له وسط؟ فإن زعموا أن ليس للأرض وسط، ولا لهذا العالم وسط بان كذبهم، لأن هذه الأرض جزائر متفرقة، وأقاليم متباينة، فلو استحال على الأرض أن يكون لها وسط لاستحال على جزيرة من هذه الجزائر، وإقليم من هذه الأقاليم، أن يكون له وسط، فلمّا ثبت عند جميع الناس أن لكل كورة من هذه الكور كَور الأرض وسطاً وأطرافاً، ثبت أن لجميعها وسطاً وأطرافاً، وإلاّ لبطل القضاء بالبعض على الكل.

أخرى: ويقال لهم أخبرونا عمن هو بأرض الروم، أليس هو أقرب إلى مهب الشمال ممن هو بأرض فارس؟ وعمن هو بأرض فارس أليس هو بأقرب إلى مهب الجنوب ممن هو بأرض الروم؟ فإن قالوا: لا، بان كذبهم وإن قالوا: نعم، بان فساد مذهبهم.

أخرى: ويقال لهم: أخبرونا لو أن طائرين يطيران من مهب الشمال إلى مهب الجنوب، وأحدهما يزيد على طيران صاحبه كل يوم ذراعاً، هل لمسافة ما بينهما نهاية؟ فإن قالوا: لا، أبطلوا النهاية، وإن قالوا: نعم، أثبتوا النهاية لجميع العالم.

أخرى: ويقال لهم: أخبرونا عمن سار من بلاد الأندلس إلى أرض الهند هل نقص من ناحية الجنوب شيئاً وزاد في ناحية الشمال: فإن قالوا: لا، بان كذبهم، فإن قالوا: بل نقص من جهة الجنوب، وزاد في جهة الشمال؟ أقرّوا بالنهاية، لأن ما يزاد فيه وينقص منه فله نهاية.

أخرى: ويقال لهم: أخبرونا عن الذي بين الصين، وبين طنجة[1] من

(١) مدينة بالمملكة المغربية على مضيق جبل طارق ترجع إلى العهد الفينيقي، ثم تعاقب عليها الرومان والبرتغاليون، والعرب والإسبان والمغاربة، وفي القرن ١٩ أصبحت محل نزاع بين القوى الأوروبية المتنافسة على المغرب فأصبحت منطقة دولية، وكان يحكم المنطقة بمقتضى اتفاق عقده ١٩٢٥م مجلس تمثل فيه الدول الكبرى وجمعية تشريعية يرأسها ممثل سلطان المغرب (الخليفة) وفي ٢٩ أكتوبر ١٩٥٦ ألغى النظام الدولي للمنطقة وعادت جزءاً من المملكة المغربية يبلغ عدد سكانها ٢٠٠,٠٠٠ نسمة. راجع الموسوعة العربية الميسرة ١١٦٤:٢ ومعجم البلدان لياقوت الحموي مادة الطاء والنون.

الأرض، هل يخلو من أن يكون بعضاً لهذه الأرض كلّها، أو ليس ببعض لها؟ فإن زعموا أنه بعض الأرض، قيل لهم: فهل يجيء ذلك في نصف الأرض، أو في ربعها، أو في عشرها، أو في عشر معشارها، أو جزء من أجزاء الأرض بالغاً ما بلغ؟ فإن أنكروا ذلك أحالوا، وإن قالوا: بل هو بعض هذه الأرض وجزء منها، أثبتوا للأرض النهاية.

أخرى: ويقال لهم: أخبرونا لو أن متوهماً توهم، هل يجوز أن يكون مثل هذا العالم، أو مثل نصفه، أو مثل ربعه، أو يزاد إليه؟ فإن قالوا: إن ذلك مما لا يتوهم، بان كذبهم، وإن قالوا: بل يتوهم أن يزاد إليه مثله، أو مثل نصفه، أو مثل ربعه، أثبتوا نهاية العالم، وأقرّوا بها، ويدخل عليهم في النقصان من العالم، نصف، وربع، كما يدخل عليهم في الزيادة سواء، وأنت - رحمك الله - إذا تأملت دلائل نهاية حدود العالم وجدتها من دلائل نهاية حدوثه، فكذلك ما يدل على نهاية حدوثه فهو مما يدل على نهاية حدوده، إذا أنت أعملت النظر في كل ذلك، وأحسنته، والله الموفق للصواب.

الرد على السّمنيّة:[١]

وأمّا السمنية، من أهل الدهر، فإنهم زعموا أن هذه الأرض، لم تزل تهوي سفلاً، وأنها لا تزال تهوي، وبانت بهذا الأمر عن سائر الدهرية وزعموا

---

(١) السمنية: فرقة من فرق الهند، كانت تعبد الأصنام وتدين بتعدد الآلهة، وتؤمن بعقيدة التناسخ، ويقال إنهم ينكرون المعرفة ولا يعترفون إلاّ بالأشياء المحسوسة، ومما يروى عن الإمام أحمد بن حنبل أنهم كانت لهم مساجلات مع جهم بن صفوان حتى أوقعوه في الشك.
ولقد تكلّم الإمام ابن تيميّة عنهم كثيراً في كتابه «الرد على المنطقيين» ص ٣٢٩ وراجع مجموع الفتاوى ٥:٣٢، ٣٣.
ويرى بعض العلماء أن السمنية: دين من أديان الهند الأساسية بجانب البرهمة، وأنها دين يتديّن به أهل الصين، ويرى البعض الآخر أن السمنية فرقتان فرقة ترى أن «البد» كان من الأنبياء المرسلين وأخرى تزعم أن «البد» هو البارئ ظهر للناس في صورته. راجع دائرة معارف القرن العشرين.

أن الذي ألجأهم إلى القول بذلك، قالوا: وجدنا هذه الأرض جسماً ثقيلاً متكاثفاً، راسباً ووجدنا الهواء جسماً خفيفاً خوارياً[1] فالجسم الراسب لا يقاوم الجسم الخفيف، إلاّ بأن ينحدر فيه، ويرسب، وزعموا أن ما دلهم على أن الأرض في الهواء، وجودهم ظاهر الأرض الذي هم عليه، ملاقياً للهواء من هذه الجهة،[2] قالوا: فعلمنا أنها تلقى الجو من جميع نواحيها[3]، إذا كانت تلقاه من أعلاها، فكذلك تلقاه من سفلاها، ومن جوانبها، فلما كانت كذلك علمنا أنها لا تثبت في الهواء، إلاّ أن تكون منحدرة فيه أبداً.

أمّا قولهم في أن الأرض لم تزل[4]، فقد أنبأنا[5] عن فساد أقاويل أهل الدهر جميعاً، في كل ما قالوا فيه أنه لم يزل، وأبطلنا جميع ما تعلقوا به من ذلك، بما قصصنا[6] من الشواهد والأعلام، وأثبتنا حدوث العالم بما فيه من سماء وأفلاك وأرض وحيوان، بما يغني عن تكراره في هذا الموضع.

وأمّا قولهم في الأرض أنها تهوي وتنحدر، فإن بعض المتقدمين من أهل

---

(١) خار الثور يخور (خواراً) صاح ومنه قوله تعالى: ﴿فأخرج لهم عجلاً جسداً له خوار﴾ سورة طه آية ٨٨. وخار الحر، والرجل يخور «خؤورة» بوزن فعولة ضعف وانكسر. والخور: الضعف ورجل (خوار) بالتشديد والجمع (خور) بوزن طُور.

(٢) الجهة والحيز متلازمان في الوجود، والجهة قسمان: حقيقية لا تتبدل أصلاً، وهي الفوق والتحت، وإنما يتبدلان بتبدل جهة الرأس والرجل في الحيوانات، كما في النملة والذباب وأشباههما حيث تدب منتكسة تحت السقف وعلى مقعرها. وغير حقيقية: وهي تتبدل بالعرض وهي الأربعة الباقية.

(٣) يقول صاحب كتاب الفرق بين الفرق: وأصحاب التناسخ من السمنية قالوا بقدم العالم، وقالوا أيضاً بإبطال النظر والاستدلال وزعموا أنه لا معلوم إلاّ من جهة الحواس الخمس، وأنكر أكثرهم المعاد والبعث بعد الموت، وقال فريق منهم بتناسخ الأرواح في الصور المختلفة وأجازوا أن ينقل روح الإنسان إلى حيوان وروح الحيوان إلى إنسان إلخ. راجع الفرق بين الفرق ٢٧٠.

(٤) حصر ابن حزم اعتراضات القائلين: بأن العالم لم يزل وأنه لا مدبر له في أربعة اعتراضات، ورد عليها جميعاً، وأفسد تصوراتهم وأبطل حججهم. راجع كتابه «الفصل في الملل والأهواء والنحل» بتحقيقنا ١:٤٧ ـ ٥٥.

(٥) في (ب) أبنًا فساد بدلاً من (أنبأنا عن فساد).

(٦) في (ب) قدمنا بدلاً من (قصصنا).

العلم سألهم في ذلك عن مسألة كشف بها عوارهم[١]، وأفحمهم بأن قال لهم: أخبرونا عن الأرض ألستم إنما زعمتم أنها تهوي لثقلها ورزانتها؟ فقالوا: بلى، فقال لهم: أي شيء أثقل وأرزن، الأرض بجبالها وأكنافها وصخورها ورمالها وما فيها وعليها، أو ريشة من الريش؟ فقالوا: بل الأرض أثقل وأرزن من الريشة، فقال لهم: ما بال الريشة إذا ألقيت من أعلى جبل مشرف، أو من فوق سطح عال، تصل الأرض وتلحقها ولم تفتها الأرض فتسبقها، إذا كانت أرضكم هذه ترسب وتهوي؟ فسكتوا عند ذلك ولم يحيروا جواباً.

ثمّ يقال لهم: ألستم ترون الريح تحمل شيئاً ثقيلاً تُقِلّهُ في الهواء؟ فيقولون: بلى، فيقال لهم: ما أنكرتم مع هذا أن يكون شيء أقوى من الريح من تحت الأرض، يقل الأرض ويرفعها، فلم قلتم: أنها تهوي سفلاً، دون أن تقولوا: ترتفع صعوداً؟

الرد على السفسطائية[٢]:

وأمّا السفسطائية المتجاهلة، فإنهم زعموا أن لا علم يثبت ولا معرفة تستقيم، فزعموا أن لا شيء، موجود على حقيقة من الحقائق[٣]، ولا موصوف بصفة دون صفة من الصفات، فقالوا: إنك متى ما اعتقدت شيئاً على صفة،

(١) العوار: العيب، يقال سلعة ذات عوار، والعوراء بوزن العرجاء: الكلمة القبيحة وهي السقطة.
(٢) السوفسطائية: طائفة من المعلمين متفرقين في بلاد اليونان اتخذوا التدريس حرفة، فكانوا يرحلون من بلد إلى بلد يلقون المحاضرات، منهم «بروتا جوراس» كان يعلم قواعد النجاح في السياسة و«هدباس» وكان يعلم التاريخ والطبيعة والرياضة. والمقياس الذي قامت عليه فلسفتهم هو: الإنسان مقياس كل شيء، وتكاد تكون فلسفة «البرجماتزم» التي لا تريد أن تعترف بحقيقة في ذاتها قريبة الشبه جداً بتعاليم السوفسطائيين، ولسنا نخطئ إذا قلنا إنها سوفسطائية العصر الحديث، ولا ريب أن موضوع الخطأ عند «بروتّا جوراس» قديماً ومذهب «البرجماتزم» حديثاً وهو الاعتماد على الحواس وتجاهل العقل. راجع قصة الفلسفة اليونانية ص ٨ ط لجنة التأليف والترجمة والنشر ١٣٦٨هـ.
(٣) راجع ما كتبه ابن حزم عنهم في كتابه الفصل ٤٣:١ وما بعدها حيث استعرض الكثير من آرائهم ورد عليها.

واعتقده غيرك على صفة أخرى تخالف الصفة الأولى، فإن ذلك الشيء موجود بكلتا الصفتين جميعاً، وليس واحدة منها أولى به من الأخرى وقالوا: إنّا وجدنا السراب قد يراه الرائي من بعيد شيئاً موجوداً، والقريب منه لا يجده شيئاً، فعلمنا أن السراب شيء، لا شيء، موجود لا موجود، ووجدنا من به صفراء يذوق العسل فيجد به مرارة، والذي ليس له ذلك الداء قد يذوقه فيجده حلواً لا مرارة فيه، فعلمنا أن العسل حلو مر في أشياء من هذا، تركنا ذكرها، إذ كان عناء ذكرها أكثر من فائدة معناها.[1]

يقال لهم: أخبرونا عن قولكم هذا الذي قلتموه من زعمكم: أن لا شيء على الحقيقة أذلك القول منكم على الحقيقة أم على غير الحقيقة؟ فإن قالوا: على غير الحقيقة، خرجوا من حد المناظرة، على أنهم خارجون من حدها أولاً، وإن قالوا: على الحقيقة أثبتوا الحقائق، وأقروا بها، ونقضوا مذهبهم وكذلك يسألون عن قول مَن خالفهم، أخطأ هو أم غير خطأ؟ فإن قالوا: خطأ، قيل لهم: على حقيقة الخطأ أم على غير حقيقته؟ فإن قالوا: على حقيقة الخطأ أقروا بالحقائق وأثبتوها، وإن قالوا: على غير الحقيقة، قيل لهم: فكيف تنكرون على مَن خالفكم إذا كان الذي ادّعيتم إنما قلتموه على غير الحقيقة، ولم تثبتوا خطأ مَن خالفكم على حقيقة الخطأ، وذكر أبو عيسى الوراق[2] أن

---

(١) مما يحكى عن أستاذ سفسطائي أنه اتفق مع تلميذ له على أن يخرجه للدفاع في القضاء والمنازعات العامة، خلال سنتين بأجر متفق عليه، فلمّا انتهت السنتان طلب الأستاذ أجره. وقال التلميذ: بل أناقشك في هذا الأجر هل تستحقه بعملك أو تطلبه بغير حق...؟ فإن أقنعتك بأنك لا تستحقه فلا حق لك فيه باعترافك وسكوتك حجة على هذا الاعتراف، وإن لم أقنعك فلا حق لك فيه، لأنك لم تعلمني كيف أقيم البرهان على دعواي.

وكان جواب الأستاذ ـ كمثال تلميذه مثلاً للبرهان المطلوب في هذه الصناعة. فقال له: إنني أقبل أن أناقشك ولكن على غير النتيجة التي خلصت إليها، أناقشك في حقي فتعطيه مرة إذا ثبت عليك، وتعطيه مرتين إذا لم أثبته أمامك لأنني علّمت تلميذاً ما يغلب به أستاذه في صناعة البرهان. راجع التفكير فريضة إسلامية، للعقاد.

(٢) يقول الدكتور عمار طالبي: أبو عيسى الوراق: محمد بن هارون، يعتبره الشيعة من متكلمي الإمامية، ومن أقدم من ألّف في فرق الشيعة ـ راجع كتاب المقالات والفرق: (تحقيق الدكتور محمد جواد

رجلاً من هؤلاء المساكين أتى إلى رجل ليناظره في هذا المعنى على بغلة له، قال أبو عيسى فعمدوا إلى البغلة فغيبوها، فلما أحب الانصراف دعا بالبغلة، فقيل له: لم تأت إلينا بالبغلة، فقال لهم: بل أتيتكم بها، فقالوا: بل لم تأتنا بها، فقال: بل أتيتكم بها، فقيل له: ثبت فيما قلت، لعلك أيها الرجل، لم تأت على بغلة، فقال لهم: قد ثبت، وعلمت أني أتيت على بغلة بلا شك، ولا مرية، فقيل له: أعلى الحقيقة كان ذلك أم على غير الحقيقة؟ فقال: بل على الحقيقة، فقالوا: أفيكون شيء ويثبت على الحقيقة؟ قال أبو عيسى: فأقرّ عند ذلك بالحقائق، ورجع عن القول بالسفسطة.(١)

مشكور مطبعة «حيدرى» طهران ١٩٦٣، ص، يج من المقدمة) أما ريتر Ritter فقد جعله من مؤلفي كتب الشيعة فحسب (الأشعري: مقالات الإسلاميين فهرست) ونسبه الزركلي في الإسلام إلى المعتزلة وكذلك فعل ستيرن في دائرة المعارف الإسلامية، الطبعة الثانية، وجزم ابن النديم بأنه من الزنادقة وبأنه ما نوى مشهور، قرنه بذكر أبي العباس الناشئ، والجبهاني محمد بن أحمد (الفهرست ص ٤٧٤) وينقل عنه أكثر مؤلفي المقالات وآراء الفرق غير الإسلامية كالمانوية والديصانية مثل القاضي عبد الجبار في (الفرق غير الإسلامية من «المغني») والأشعري في المقالات، والشهرستاني في الملل وغيرهم. وقد كتب أبو عيسى الوراق في الرد على المسيحية أكمل رد في علم الكلام ووصلنا مؤلفه في هذا عن طريق رد يحيى بن عدي في (مخطوطين في باريس رقم ١١٣/١١٤) وكتابه يشتمل على قسمين أساسيين الرد على الثالوث الذي تأثر فيه بالكندي أبي يعقوب، وهذا النص محفوظ في (مخطوط رقم ١٦٩، باريس) والقسم الثاني موجز في الاتحاد والحلول، وهو الجزء الذي استفاد منه الباقلاني في كتابه التمهيد في فصل الرد على النصارى، كما استفاد منه الجاحظ في رده على النصارى أيضاً وقد نشرت المختصرات الصغيرة ليحيى بن عدي سنة ١٩٢٠ في باريس نشرها A. Perier وأغلب الظن أن أبا عيسى كان شيعياً إمامياً ثم اعتزل رغم أن ابن النديم والقاضي عبد الجبار يزعمان أنه ثنوي، وقال الشهرستاني: إنه كان مجوسياً في الأصل، ولهذا كان ذا معرفة بالفرق والآراء، وتذكر بعض المصادر (دائرة المعارف الإسلامية ٣ : ١٥ تحت كلمة إنجيل) أن يحيى بن عدي المسيحي وهو تلميذ الفارابي ألف كتاباً يدافع فيه عن المسيحية وأهداه إلى أبي عيسى الوراق يرد فيه على نقد الكندي لفكرة التثليث المسيحية وتوفي أبو عيسى في ٢٤٧ هـ ٨٦١ م وقد شك Stern في هذا التاريخ، ولأبي عيسى من الكتب: كتاب اختلاف الشيعة والمقالات وكتاب المقالات في الإمامية، وكتاب المجالس، نقل عنه المسعودي في المروج ٧ : ٢٣٦ ونسب إليه المانورية زوراً كتاب الغريب المشرقي، وكتاب النوح على البهائم، فيما يقول المرتضى في الشافعي ص ١٧ هذا وقد ألف المستشرق A. Abel سفراً في أبي عيسى الوراق Abu Isa al Warraq.

[عمّار الطالبى]

(١) ذكر بعض المتكلمين أن السوفسطائية ثلاثة أصناف، فصنف منهم نفى الحقائق جملة، وصنف منهم شكوا

الأصل الثاني من أصول الملحدين وهو قول الثنوية[1]:

فأول ما نبدأ به من ذلك مقالة المنانية[2] حين زعموا أن الأشياء تكوّنت من أصلين قديمين: نور وظلمة، وأنهما جميعاً حيان، فعّالان، درّاكان حسّاسان، وأنهما لم يزالا مفترقين، حتى بغت الظلمة على النور فمازجته فعند ذلك تكوّنت الأشياء، عند امتزاجهما، فكل ما حدث من نور، وخير، وعلم وبر، فهو من أصل النور، وكل ما يحدث من ظلمة، وشرّ، وجهل، وفجور،

= فيها، وصنف منهم قالوا هي حق عند مَن هي عنده حق، وهي باطل عند مَن هي عنده باطل. راجع كتاب الفصل ١:٤٣.

ولقد ردَّ ابن حزم عليهم فقال: يقال للشكاك منهم ـ وبالله تعالى التوفيق ـ أشككم موجود صحيح منكم أم غير صحيح ولا موجود..؟ فإن قالوا: هو صحيح منا أثبتوا أيضاً حقيقة «ما» وإن قالوا: هو غير موجود نفوا الشك وأبطلوه، وفي إبطال الشك إثبات الحقائق أو القطع على إبطالها. المصدر السابق ص ٤٤.

(١) يرى ابن حزم أن الثنوية من المجوس الذين يرون أن الباري تعالى هو «أورمن» و«إبليس» وهو «اهرمن» و«كام» وهو الزمان و«جام» وهو المكان وهو الخلاء أيضاً و«توم» وهو الجوهر وهو أيضاً «الهيولى» وهو أيضاً «الطينة» و«الخميرة» خمسة لم تزل، وأن «اهرمن» هو فاعل الشرور وأن «أورمن» فاعل الخيرات، وأن «توم» هو المفعول فيه كل ذلك.

ويقول ابن حزم: وقد أفردنا كتاباً في نقض كلام محمد بن زكريا الرازي الطبيب في كتابه الموسوم «بالعلم الإلهي». راجع كتاب الفصل ١:٨٦.

ويرى التهانوي: أنهم فرقة من الكفرة يقولون بأثنية الآلهة: ووافق في ذلك ما كتبه عضد الدين الإيجي في كتابه المواقف وما كتبه الجيلي في كتابه «الإنسان الكامل». راجع ما كتبه علي سامي النشار في كتابه الفكر الفلسفي في الإسلام ج ١ وكشاف اصطلاحات الفنون ١:١٧٨ ـ ١٧٩.

(٢) أصحاب ماني بن بابك الثنوي صاحب القول بالنور والظلمة ظهر أيام سابور بن أردشير ملك الفرس، فاتبعه قليلاً ثم رجع إلى المجوسية. ويقال: إن ماني من «همدان» انتقل أبوه إلى بابل، وكان ينزل المدائن فتوجه منها إلى بيت الأصنام فسمع من الهيكل هاتفاً يقول: يا فتى لا تأكل لحماً، ولا تشرب خمراً، فدان بهذا المذهب، وكانت امرأته حاملاً «بماني» فلما ولد نشأ على دين أبيه، وكان على صغره ينطق بالحكمة، ولما تم اثنتي عشرة سنة زعموا أن الوحي يأتيه، ودعا إلى ديانة، وتبعه خلق كثير من المجوس، فقتله «سابور بن بهرام» وقيل إن قاتله هو «بهرام بن هرمز بن سابور». راجع الفرق بين الفرق ٢٧١ والملل والنحل للشهرستاني ٢:٧٣ ودائرة المعارف الإسلامية.

وكل شيء قبيح، فهو من أصل الظلمة[1]، يقال لهم: أخبرونا عن مفارقة النور والظلمة قبل الممازجة[2] الطبيعة كان ذلك أم لغير طبيعة؟ فإن زعموا أنها لطبيعة أبطلوا الممازجة، لأن ما كان لطبيعة فلا ينقلب، والطبيعة غير منقلبة فإن قالوا: افتراقهما اختيار، قيل لهم: فكيف قلتم أنهما امتزجا بعد أن افترقا؟ وما يدريكم لعلهما امتزجا قبل هذا الافتراق ثم افترقا قبل ذلك الامتزاج، إذ كان افتراقهما اختياراً، أم كيف قضيتم بأنهما لم يمتزجا قبل الافتراق؟ وذلك كله منهما اختيار. ثم يقال لهم: أخبرونا عنهما، أليسا لم يزالا مفترقين؟ قالوا: بلى، قيل لهم: فكيف حتى قلتم: إنهما امتزجا بعد ذلك وبطل الافتراق الذي لم يزالا به؟ وكيف يبطل ما لم يزل؟ وقد أنبأنا عن فساد بطلان الشيء إذا كان لم يزل في غير موضع، ثم يقال لهم: أخبرونا عن ممازجة النور والظلمة، أحدث عن ممازجتهما شيء أم لم يحدث شيء فإن قالوا لم يحدث شيء، قيل لهم: فكيف امتزجا، ولم يحدث عن الممازجة شيء؟ فهلا قلتم: إنهما على مفارقتهما الأولى، إذا لم يحدث لهما شيء لم يكن، فإن رجعوا وقالوا قد حدث عن ممازجتهما شيء قيل لهم: فما هو ذلك الشيء، أظلمة أم نور، أم شيء غير الظلمة والنور؟ فإن زعموا أن الحادث شيء ليس بنور ولا ظلمة نقضوا أصلهم الذي بنوا عليه مذهبهم، وأثبتوا حالاً ثالثة لا نور ولا ظلمة،[3] فإن قالوا: نور، قيل لهم: فقد

---

(١) يقول صاحب كتاب الفرق بين الفرق: أن «ماني» قال في بعض كتبه: إن الأرواح تفارق الأجساد فتكون نوعين: أرواح الصديقين، وأرواح أهل الضلالة، فأرواح الصديقين إذا فارقت أجسادها سرت في عمود الصبح إلى النور الذي فوق الفلك فبقيت في ذلك العالم على السرور الدائم، وأرواح أهل الضلال إذا فارقت الأجساد وأرادت اللحوق بالنور الأعلى ردت منعكسة إلى السفل فتتناسخ في أجسام الحيوانات إلى أن تصفو من شوائب الظلمة ثم تلتحق بالنور العالي. راجع الفرق بين الفرق ٢٧١ وراجع أصول الدين ص ٥٣ والمغني للقاضي عبد الجبار ج ١٤ ص ١٥ ومقالات الإسلاميين للأشعري ص ٣٣٢.

(٢) سقط من (ب) لفظ «الممازجة».

(٣) يقول ابن حزم لقد ناظر «ماني» أذرباذ بن ماركسفند موبذ موبذان (هو فقيه الهند ورئيس الديانة عندهم كقاضي القضاة عند المسلمين) في مسألة قطع النسل وتعجيل فراغ العالم، فقال له الموبذ: أنت الذي تقول بتحريم النكاح ليستعجل فناء العالم ورجوع كل شيء إلى شكله وأن ذلك حق وواجب..؟

وجدنا شيئاً من النور حادثاً، فلم لا تجعلونه كله حادثاً إذ كان شيء منه حادثاً، وأنتم تزعمون أن الشاهد يدل على الغائب، فإذا كان شيء واحد تشهدون له بالحدوث إذا كان الشاهد يدل على الغائب، وإن كنتم تحكمون على كمال الشيء بجزئه، وعلى كثيره بقليله، أفلا حكمتم على ما لم تروه منه بالحدوث، إذا وجدتم منه شيئاً حادثاً؟ وكذلك يقال لهم: إن زعمتم أن الحادث عند المزاج ظلمة مثل ما قيل لهم: في النور، ويقال لهم: أخبرونا عن علة الامتزاج بعد الافتراق ما هي؟ فإن قالوا: إن الظلمة لم تزل في بلادها متعلقة متحركة تدنو منه الأول فالأول حتى صارت إليه فمازجته، قيل لهم: هل لتحركها أول حتى صارت إليه؟ فإن قالوا: ليس لتحركها أول، ولا ابتداء، قيل لهم: فكيف أفضت إليه؟ والذي قطعت من المسافة لا يتناهى، فإن قالوا لتحركها أولاً وابتداء أثبتوا السكون قبل الحركة، قيل لهم: ذلك السكون من طبعها أم ليس من طبعها؟ فإن قالوا: من طبعها أبطلوا عنها أن تتحرك أبداً، وإن قالوا ليس من طبعها السكون، وليس من طبعها الحركة، أثبتوا الاختيار، وأقرّوا بالحادث، وانهدم جميع أساس مذهبهم، وكل ما يدخل على الدهرية في زعمهم أن الأشياء لم تزل، فهو داخل على هؤلاء الآخرين، حرفاً حرفاً، ويقال لهم: أخبرونا عن قولكم في النور[1] والظلمة، أنهما يتخلصان بعد هذا

= فقال له «ماني» واجب أن يعان النور على خلاصه بقطع النسل مما هو فيه من الامتزاج.
فقال له «أذربان» فمن الحق الواجب أن يعجل لك هذا الخلاص الذي تدعو إليه وتعان على إبطال هذا الامتزاج المذموم فانقطع ماني فأمر بهرام بقتل «ماني».

(١) النور: هو الجوهر المضيء، ويطلق اسم النور على الهداية كما في قوله تعالى: ﴿يخرجهم من الظلمات إلى النور﴾ سورة البقرة آية ٢٥٧ أي الهداية، وقوله تعالى: ﴿أفمن كان ميتاً فأحييناه وجعلنا له نوراً﴾ سورة الانعام آية ١٢٢ أي هداية وقوله تعالى: ﴿الله نور السماوات والأرض﴾ سورة النور آية ٣٥ أي هادي أهلها. والنور من جنس واحد. بخلاف الظلمة إذ ما من جنس من أجناس الأجرام إلاّ وله ظل، وظله الظلمة، وليس لكل جرم نور، وهذا كوحدة الهدى وتعدد الضلال، لأن الهدى سواء أكان المراد به الإيمان أو الدين هو واحد، أمّا الأول فظاهر، وأمّا الثاني فلأن الدين مجموع الأحكام الشرعية والمجموع واحد والضلال متعدد على كلا التقديرين أما الأول فلكثرة الاعتقادات الزائفة، وأما على الثاني فلانتفاء المجموع بانتفاء أحد الأجزاء فيتعدد الضلال بتعدد الانتفاء. راجع الفرق بين الفرق ص ٢٧١.

الامتزاج، ثم لا يعودان في الامتزاج ما علمكم بذلك؟ ولعلهما يتخلصان مائة ألف مرة، ويمتزجان مثل ذلك، ولعلهما ليس لامتزاجهما وتخلصهما مرة بعد أخرى نهاية وإن اعتلوا بالأخبار، وتركوا مشاهدة العيان، فذلك الذي سألناهم عنه من افتراقهما، بعد الامتزاج أنه لم يكن لهم فيعاينوه ولا ههنا مشاهد، فأين لهم بالأمان من عودة بعد عودة إلى ما لا يتناهى من المزاج؟ ويقال لهم في قولهم: إن الخير فعل النور، والشر فعل الظلمة والخير هو الوفاء والصدق والبر، وجميع أفعال الخير فذلك كله من شأن النور، ومن شأن الظلمة القتل والسرقة والزنا، وجميع أفعال الفجور، فيقال لهم في ذلك: أخبرونا عن رجل قتل رجلاً من القاتل؟ فإن قالوا: النور تركوا قولهم، وزعموا أن النور يفعل الشر، فإن قالوا: الظلمة قتلته، قيل لهم: فإن هو جاء فاعترف بأنه قتله، وتاب عن قتله من المقر التائب؟ فإن قالوا: الظلمة، قيل لهم: فقد صدقت، والصدق خير، وهذا فساد المذهب، وإن قالوا المقر التائب هو النور، قيل لهم: أو كان النور فعل شيئاً فيقر به؟ فإن قالوا لم يقتل، وإنما أقر أنه قتل، قيل لهم: فقد كذب وظلم نفسه، والكذب شر وليس ذلك من فعل النور[1]، فلا بد من أحد أمرين: إمّا أن تقر الظلمة بالقتل وتعترف بأنها قد قتلت[2]، فتصدق، والصدق خير والخير لا يكون منها، وإمّا أن يقرّ النور بأنه قتل، وهو لم يفعل، فهذا كذب، والكذب شرّ، وليس هو من فعله، ويقال لهم: ما تقولون، فيمن غضب على رجل ثمّ[3] رضي عنه،؟ فالذي غضب هو الذي رضي أم الذي غضب غير الذي رضي؟ وعن الذي يعطي أهو الذي يمنع أم الذي يعطي هو غير الذي يمنع؟ وعن الذي يرحم غير الذي يسخط؟ فإن قالوا: الذي يفعل الخير من

(١) من مبادئ المانوية: إنهم لا يرون الذبائح ولا إيلام الحيوان، ولا يعرفون من الأنبياء عليهم السلام إلاّ عيسى عليه السلام وحده ويقرون بنبوة «زرادشت» ويقولون بنبوة «ماني».

(٢) في (ب) قاتله بدلاً قوله (قد قتلت).

(٣) في (ب) بزيادة لفظ (قد).

هذه هو الذي يفعل الشر، تركوا مذهبهم[١]، وصاروا إلى مذهب الحق[٢]، فإن قالوا: الذي يغضب غير الذي يرضى، والذي يعطي غير الذي يمنع، والذي يرحم غير الذي يسخط، فهذا من أعجب قول في الدنيا أو ما يعلم الرجل منا أنه إذا غضب على رجل فجاءه، واعتذر إليه، فرضي عنه وقبل منه، إن الذي قبل العذر فرضي هو الذي كان غضب عليه، وإن الذي منعه أولاً، هو الذي أعطاه آخراً، والذي ضربه أولاً هو الذي رحمه آخراً.

وعن رجل أراد أن يقتل رجلاً ظلماً له، فجاءه رجل آخر فشفع إليه وأخبره بظلمه، فرجع عن ذلك، وخلاه[٣]، أخبرونا عن الذي أراد قتله أهو النور أو الظلمة؟ فإن قالوا: النور، تركوا قولهم، وجعلوا النور قاتلاً وإن قالوا: الظلمة، قيل: فالشفيع من هو نور أو ظلمة؟ فإن قالوا: ظلمة جعلوا الظلمة راحمة وإن قالوا: النور: قيل فالذي قبل من النور فعفا من هو؟ فإن قالوا: الظلمة، فقد جعلوها تعفو، والعفو خير، وإن قالوا: الذي عفا هو النور، قيل: أوليس الذي عفا هو الذي همَّ بالقتل فقد همَّ النور بالقتل، وذلك شر، فإن قالوا: إنَّ الذي عفا هو النور، والذي همَّ بالقتل هو الظلمة، قيل: فكيف عفا النور؟ وهو لم يهم، ولم يرد شراً فيخبر أنَّه ترك قوله، وهو لم يرد ذلك قط، فهذا منه كذب، والكذب ليس من شأن النور في زعمكم، وعمن قال أنا ظلام، هل صدق أم كذب؟ فإن كذب فالنور لا يكذب، وإن صدق فالظلمة لا تصدق[٤].

---

(١) تركوا مذهبهم أي أبطلوه واعتقدوا أن ما قعدوه من القواعد، وشرعوه من الشرائع لا يوافق الواقع، ولا يتفق مع طبيعة العقل.

(٢) أي ما قعده رجال الإسلام ويتوافق مع كتاب الله تعالى وسنّة الرسول - صلى الله عليه وسلم - ورضيه جماعة المسلمين.

(٣) تقول أنا منه خلاء: أي براء، لا يثنى ولا يجمع لأنَّه مصدر، وأنا منك (خلي) أي بريء فيثنى ويجمع لأنَّه اسم، والخلاء: المكان الذي لا شيء به، والخلية: الناقة تطلق من عقالها ويخلى عنها، ويقال للمرأة أنت خلية: كناية عن الطلاق.

(٤) هذا والحق يقال من أنفس الأدلة العقلية، التي تفحم الخصم ولا تترك له مجالاً أن يكابر أو يجادل فجزى الله المؤلف عنا وعن الإسلام غير الجزاء.

الفصل الثاني من الأصل الثاني هو مذهب الديصانية[1]

وذلك أنَّ الديصانية زعمت أنَّ هذه الأشياء تكونت من أصلين قديمين، نور وظلمة على مثال مقالة المنانية إلاَّ أنَّ هؤلاء زعموا أنَّ النور حي، والظلمة موات، والنور هو الذي مازج الظلمة، وعلة[2] ممازجته إياه في زعمهم، أنَّه كان يلقاه في الظلمة شيء خشن، فمازجها يريد أن يلقى منها شيئاً ألين، مما كان يلقاه منها، في أشياء سخيفة. ذكروها في ممازجة النور للظلمة، وتخليط كثير، وانتشار كثير، كرهت ذكره لقذارته، وقبح التكليم به، يقال لهم: أخبرونا عن

(١) رئيسهم يسمى ابن ديصان: فيلسوف سرياني من أصل فرثي، ويعرف باسمه السرياني «أبرديصان» كان أبوه يدعى نهامة، وأمه تدعى نهشيران هاجر كلاهما من فارس الرهاء بعد عام ١٣٩ وولد ابنهما عام ١٥٤ م وأخذ اسمه من نهر ديصان الذي يروي الرهاء ونشأ في بلاط الملك معنو مع ابنه أبجر، ودرس الفلك والتنجيم وفي عام ١٧٩ م اعتنق المسيحية على يد الأسقف «هستاسب» الذي ابتدع نظريه في نظام الكون تتمشى مع مذهب اللاأدرية. وتوفي ابن ديصان عام ٢٢٢ م واختلف الديصانية على فرقتين، فرقة زعمت أنَّ النور خالط الظلمة باختيار منه ليصلحها فلما حصل فيها ورام الخروج عنها امتنع ذلك عليه. وفرقة زعمت أنَّ النور أراد أن يرفع الظلمة عنه لما أحس بخشونتها ونتنها وتشابكها بغير اختيار.

وكان أصحاب ابن ديصان بنواحي البطائح جنوبي الفرات كما كان بعضهم الآخر متفرقاً في خراسان والصين، ويعتبر ابن ديصان عادة ممهداً للمانوية، ويظهر أنَّه كان في الحقيقة منجماً.

وكان يذهب إلى أنَّ الكائنات خاضعة لقوى مدبرة أو حاكمة هي الأجرام السماوية، وأن ما يسمى بالقدر ليس إلاَّ فعل اللّه في الأجرام والعناصر وهذا الفعل يؤثر في العقول في هبوطها إلى الأنفس، وفي الأنفس في هبوطها إلى الأبدان، وحياة الإنسان خاضعة للقوانين الطبيعية كما هي خاضعة للقدر، وليست حرية الإنسان إلاَّ النضال مع هذا القدر والحد من قوته على قدر المستطاع.

راجع الفهرست ١: ٣٣٨ وابن حزم الفصل ١: ٣٦ والشهرستاني ١٩٤ وما بعدها والمسعودي: التنبيه ص ١٣٠ ـ ١٣٥ ومطهر المقدس في المبدأ والتاريخ ١: ٩١. [عمَّار الطالبي]

(٢) العلة لغة: عبارة عن معنى يحل بالمحل فيتغير به حال المحل وفي التلويح: ما يثبت به الشيء، وعند الأصولي: ما يجب به الحكم والعلة عند غير الأصولي: ما يحتاج إليه سواء كان المحتاج الوجود أو العدم، أو الماهية عند العامة.

وقد توجد العلة بدون المعلول لمانع، وأما المعلول بلا علة فهو محال. ولا يجوز عقلاً اجتماع علتين على معلول واحد سواء عرَّفت بالمؤثر، أم المعرِّف، أم الباعث. وكلام العقلاء في جميع العلوم من المتكلمين، والأصوليين، والنحاة، والفقهاء مطابق لهذا. الكليات ٣: ٢٢٢ ـ ٢٢٤ بتصرف.

ممازجة النور والظلمة أخير هو أم شر؟ فإن قالوا: خير، قيل: وكيف تكون ممازجة[1] الخير للشر خيراً، وإن قالوا: لأنَّه ولو مازجها بعد ما لم يمازجها هو قادر على التخلص منها فيها بعد فلما أن كان قادراً على التخلص منها فيها بعد لم تكن ممازجته إياها شراً، وكانت خيراً، قيل لهم: أفليس أن لو لم يمازجها رأساً[2]وبقي على حاله الأولى من التخلص والمفارقة ألم يكن ذلك أصلح له وأولى الأمرين به من ممازجته إياها ثمّ هو يطلب المفارقة لها، والتخلص منها، بعد الممازجة، وأنتم تزعمون أنَّ فعل الحكمة[3] والخير أولى به، من فعل الخير والشر، فإن قالوا: إنما دعاه إلى ممازجتها الذي يلقاه منها من خشونة، ويأتيه من تلقائها من السوء، فمازجها ليدع فيها شيئاً من جنسه، فيستلذ ناحيتها، فيكون ذلك فيها، قيل لهم: وما يؤمنكم أن يتخلص ذلك الجزء الذي هو من جنسه، منها حين ينفرد فيعود مثل ما كانت عليه؟ ويقال لهم: أخبرونا عن الظلمة أليست مواتاً؟ فإذا قالوا: بلى، قيل لهم: أوليس النور حيواناً[4] وهو الفاعل لكل خير، ولكل حسن وجميل؟ فيقولون: بلى، فيقال لهم: أخبرونا عن هذه الفواحش، والقبائح والظلم والجور والعدوان والكذب، ممن هو؟ من النور أو من الظلمة؟ فإن زعموا أنَّه من الظلمة، قيل لهم: وكيف جعلتم ذلك منها

---

(١) المازجة: المخالطة: يقال مزج الشراب خلطه من باب نصر ومزاج الشراب ما يمزج به، ومزاج البدن ما ركب عليه من الطبائع.

(٢) رأساً: أي أصلاً فلم يحدث امتزاج.

(٣) ماذا يقصد بالحكمة في هذا الموضع..؟ أيقصد بها العدل، والعلم، والحكم، والنبوة، والقرآن، والإنجيل، ووضع الشيء في موضعه، وصواب الأمر وسداده؟
أم يقصد بها ما في عرف العلماء من استعمال النفس الإنسانية باقتباس العلوم النظرية، واكتساب الملكة التامة على الأفعال الفاضلة قدر طاقتها..؟
أم يقصد بها معرفة الحقائق على ما هي عليه بقدر الاستطاعة وهي العلم النافع المعبر عنه بمعرفة ما لها وما عليها المشار إليه بقوله تعالى: ﴿ومن يؤت الحكمة فقد أوتي خيراً كثيراً﴾؟ سورة البقرة آية ٢٦٩.
إننا نرجح أنَّ المقصود بالحكمة هي معرفة الحقائق على ما هي عليه.

(٤) حيواناً أي حياة قال تعالى: ﴿وما هذه الحياة الدنيا إلاَّ لهو ولعب وإنَّ الدار الآخرة لهي الحيوان لو كانوا يعلمون﴾ سورة العنكبوت آية رقم ٦٤.

وهي موات لا تفعل، ولا تعقل؟ فإن قالوا: إنَّ ذلك كله من النور، قيل لهم: وكيف وصفتموه بالكذب والظلم والجور والعدوان، وهو في قولكم: صاحب خير، ولا يفعل الشر؟ ثمّ يقال لهم: ألستم تعلمون أنَّ في العلم من كذبكم، وكذب أقاويلكم وزعم أنَّها باطل، ومنهم من أثبت ذلك وزعم أنَّه حق، فإن قالوا نعم قيل لهم: فمن فعل هذين الشيئين المتناقضين؟ والأشياء المتناقضة في العالم من إجازة المحال، ونفي العيان، فمن نفى العيان مرة، وأثبته مرة أخرى، ومن صدق نفسه، ومن كذبها، ومن فعل هذا الذي وصفناه كله من التناقض[1]؟ فإن زعموا أنَّ الظلمة فعلته، فقد نقضوا قولهم وجعلوها حية فاعلة، وأن زعموا أنَّ هذا كله من فعل النور، قيل لهم: فمن أجهل ممن قال شيئاً، وهو عنده صدق، ثمّ أكذب نفسه؟. ومن قال: إنَّ شيئاً هو كذب، ثمّ أخبر أنَّه صدق؟ ومن غضب من شيء، ثمّ رضي عنه؟ ومن أثنى على شيء بالثناء الحسن ثمّ أساء الثناء عليه؟ وليس شيء من الجهل، والخطأ واعتقاد الباطل، ونفي الحق، إلاَّ وهو منه، فكيف زعمتم أنَّ هذا حكيم، وأنتم تضيفون إليه هذه الأشياء المتناقضة، وهذا الجهل الفاحش؟.

ويسألون عما سئلت عنه المنانية، فيقال لهم: أخبرونا عن مفارقة النور الظلمة أَلِطَبْعٍ[2] هو أم لاختيار؟ فإن زعموا أنَّه لطبع، أبطلوا الممازجة بعد

---

(١) التناقض ـ عند المناطقة ـ اختلاف الجملتين بالنفي والإثبات اختلافاً يلزم منه لذاته كون إحداهما صادقة، والأخرى كاذبة، فإن كانت القضية شخصية أو مهملة فتناقضها بحسب الكيف، وهو الإيجاب والسلب بأن تبدله، فإن كان إيجاباً. فتناقضها بحسب أن تبدله سلباً، وبالعكس: كالإنسان حيوان ليس الإنسان بحيوان، وإن كانت القضية محصورة بأن تقدمها سور فتناقضها يذكر نقيض سورها.
والتناقض: يمنع صحة الدعوى، ولهذا قالوا: إقرار مال لغيره كما يمنع الدعوى لنفسه يمنعها لغيره بوكالة أو وصاية لأنَّ فيه تناقضاً والمراد من التناقض أن يتضمن دعوى المدعي الإنكار بعد الإقرار: التعريفات للجرجاني.

(٢) الطبع: قوة للنفس في إدارك الدقائق، والسليقة: قوة في الإنسان بها يختار الفصيح من طرق التراكيب من غير تكلف وتتبع قاعدة موضوعة لذلك مثل اتفاق طباع العرب الأولين على رفع الفاعل، ونصب المفعول، وجر المضاف إليه، وغير ذلك من الأحكام المستنبطة من تراكيبهم.

المفارقة، فإن قالوا باختيار، فيلزمهم أن يكونوا لا يدرون لعلة قد مازجها قبل تلك المفارقة، ثمّ تخلص منها، ثمّ مازجها مائة ألف مرة، إذ كانت الممازجة والمفارقة اختياراً لا طبعاً، في جميع ما سئلت عنه المنانية، حرفاً حرفاً، وعليهم أكثر مما ذكرنا، وفيما ذكرنا من ذلك كفاية، عما لم نذكره.

الفصل الثالث مقالة المرقيونية:[1]

زعموا أنَّ الأشياء من شيئين قديمين، نور وظلمة، وثالث متوسط بينهما وهو الإنسان، يقال لهؤلاء: أخبرونا عن الظلمة والنور، أجنسان مختلفان هما أم جنس[2] واحد؟ فإن قالوا جنس واحد قيل: وكيف سميتم بعض الجنس

---

(١) المرقيونية: بالراء لا بالزين: نسبة إلى «مرقيون» أحد زعماء النصرانية ولد في بداية القرن الثاني الميلادي في سينوب، وأظهر العداوة لليهودية ويقول بالنور والظلمة، ولكنه يضيف الجامع المعدل كأمر ثالث يجمع بين النور والظلمة. ويقال: إنَّ ماني أخذ بمذهب مرقيون، وإنما خالفه في المعدل أو الجامع.
والمرقيونية: قالت بتنزيه الله عن الشرور، وأنَّه خالق جميع الأشياء واختلفوا في الكون الثالث فقالت طائفة منهم هو الحياة، وهو عيسى عليه السلام، وللمرقيونية كتاب يختصون به ويكتبون به دياناتهم.
ولمرقيون كتاب سماه الإنجيل ولأصحابه عدة كتب غير موجودة وهم يتسترون بالنصرانية وكان يوجد منهم في خراسان عدد كثير في حياة ابن النديم.
والمرقيونية: لا ترى ذبح الحيوان ولا المناكحة. ويقول عبد المسيح الكندي أن المرقيونية هم الذين يقولون بالثالوث وآلهة ثلاثة متفرقة (عدل، رحيم، شرير) وأن القرآن الكريم حين قال: ﴿لقد كفر الذين قالوا إنَّ الله ثالث ثلاثة﴾ سورة المائدة آية رقم ٧٣ ـ إنما يرد على المرقيونية لا على النصارى.
راجع ابن النديم ص ٤٧٤ والمغني للقاضي عبد الجبار ٣ ـ ١٧ والملل والنحل للشهرستاني ١: ٢٥٢ ـ ٢٥٣ ومقالات الإسلاميين ص ٣٣٣/٣٠٨ ـ ٣٣٨.

(٢) الجنس ـ عند المناطقة ـ عبارة عن لفظ يتناول كثيراً ولا تتم ماهيته بفرد من هذا الكثير، كالجسم.
والجنس من الطبيعيات الكلية، وهي موجودة خارجية كما ذهب إليه البعض، ورجحه البيضاوي حيث أشار إليه من قوله تعالى: ﴿إنَّ مع العسر يسراً﴾. سورة الشرح آية ٦.
والجنس الخاص: ما يشتمل على كثيرين متفاوتين في أحكام الشرع كالإنسان.
والجنس العالي: هو الذي تحته جنس وليس فوقه جنس، كالجوهر على القول بجنسيته.
والجنس: ضرب من الشي، والنوع أخص منه، وعند الأصولي: الجنس أخص من النوع.
والجنس عند النحويين والفقهاء: هو اللفظ العام، فكل لفظ عمّ شيئين فصاعداً فهو جنس لما تحته =

بالنور، وسميتم البعض الآخر بالظلمة وهو كله جنس واحد؟ فـإن قالـوا: جنسان مختلفان، قيل لهم: فأيهما طلب المزاج فمازج؟ فإن قالوا: الظلمة، سئلوا عما سئلت عنه المنانية، وإن قالوا: النور، سئلوا عما سئلت عنه الديصانية، وإن قالوا: الإنسان المتوسط بينهما، طلب أن يمازجهما، قيل لهم: فما دعاه إلى ذلك، إذا كان خبيراً حكيماً، يعرف ما له وما عليه؟ فما في ممازجة النور الظلمة من الحكمة؟ وإن كان شريراً جاهلاً فلم جعلتموه ثالثاً بينهما، وهو جاهل؟ وكيف لم تقولوا ظلمة؟ والظلمة شر، وإن كان خيراً، فكيف لم تلحقوه بالنور؟ ثمّ يقال لهم: أخبرونا عن هذا المتوسط، هل له حقيقة من علم أو جهل؟ فإن قالوا: نعم، قيل لهم: فعلى أي الأمرين هو؟ فإن قالوا: على الجهل[1]، قيل: فهو إذن ظلمة، وإن قالوا: على العلم، قيل لهم: فهو إذن نور، فأيما قالـوا من ذلك صاروا به إلى أحد القولين، فيدخل عليهم جميع مـا أدخلناه عـلى إخوانهم الأولين.

فقد فرغنا من الكلام في إقامة الدلائل عـلى حدوث العـالم وإثبات المحدث، ومن الأجوبـة لمن سألنـا في ذلك، ومن نقض أقـاويل الـدهريـة

= سواء اختلف نوعه أو لم يختلف وعند آخرين لا يكون جنساً حتى يختلف بالنوع نحو: الحيوان، فإنَّه جنس للإنسان والفرس والطائر ونحو ذلك فالعام جنس، وما تحته نوع.
راجع التعريفات للجرجاني والكليات لأبي البقاء ٢: ١٤٩ بتصرف.

(١) الجهل: يطلق الجهل عند المتكلمين على معنيين: الأول: هو الجهل البسيط وهو عدا العلم عما من شأنه أن يكون عالماً. فلا يكون ضد العلم، بل مقابلاً له تقابل العدم والملكة، ويقرب منه السهو والغفلة والذهول.
الثاني: الجهل المركب: وهو اعتقاد جازم غير مطابق للواقع، وإنما سمي مركباً لأنَّه يعتقد الشيء على خلاف ما هو عليه. فهذا جهل أول ويعتقد أنَّه يعتقده على ما هو عليه، وهذا جهل آخر قد تركبا معاً، وهو ضد العلم.
«راجع كشاف اصطلاحات الفنون للتهانوي ١: ٢٧٨ ـ ٢٧٩.»
والجهل أنواع: باطل لا يصلح عذراً، وهو جهل الكافر بصفات اللّه تعالى وأحكامه، وكذا جهـل الباغي، وجهل من خالف في اجتهاده الكتاب والسنة، بخلاف الجهل في موضع الاجتهاد فإنَّه يصلح عذراً.

وأصحاب الاثنين، وتبيين فساد ما ذهبوا إليه، بالذي هو كاف عما لم نذكره من ذلك، والله ولي التوفيق.

القول في إثبات الرسالة للرسل صلى الله عليهم، والرد على من لم يثبتها

وأما الأصل الثالث من أصول الملحدين، فهم الذين أقروا بحدوث العالم، وإثبات الصانع، ثمّ اختلفوا بعد ذلك في تثبيت الرسالة، وأبطالها على ما سنذكره فيها بعد، إن شاء الله.

الفصل الأول من ذلك مذهب البراهمة[1]:

وذلك أنَّ البراهمة أنكروا جميع الرسل وأبطلوا الرسالة، وزعموا أنَّ

---

(١) برهم هو المعبود الأول والأكبر عند الهنود، وهو عندهم أصل كل الموجودات واحد غير متغير، وغير مدرك، أزلي مطلق سابق كل مخلوق خلق العالم كله بمجرد ما أراد دفعة واحدة بقوله «أوم» أي كن وعلى ذلك يكون برهم تشخيصاً لكل القوى الباطنة والظاهرة للطبيعة وكثيراً ما يجعلون اسم برهم اسماً للأقانيم الثلاثة المؤلف منها ثالوث الهنود وهي «برهما» و«شنو» و«سيوا» ويقال لبرهم «سوايمبواي» أي القائم بذاته، ويسمى أيضاً «سرفان آلباران» ومعناه الأزل لأنَّ هذه الكلمة في الكتب الفارسية المعروفة بالزند معناه الزمان غير المحدود أو الأبدية والخلاصة أنَّه يراد بذلك السرمدي ويسمى أيضاً «برامند» أي أبا المخلوقات.

والبراهمة:

أصحاب الرتبة الأولى من عبدة برهم الهنود الذين ولدوا من برهان بن برهما قيل: إنَّ أصلهم من سلالة رؤساء الهند الفاتحين لأنَّهم كانوا الرتبة الشريفة العلمية في إيران وكان بعضهم يتكهن فسموا بذلك من «بر» الفارسية ومعناها فوق و«مان» ومعناها رجل حكيم.

والبراهمة: كهنة الهنود وحكماؤهم وعلماؤهم ورؤساء الدين والعلم والأدب ويشتغلون بالصلاة والتسبيح، والطب والتنجيم. وهم قليلو الكلام لا يأكلون لحم الحيوان بل يقتصرون في قوتهم على النبات والثمار ولبن البقر والأرز ويكثرون الصوم.

والبراهمة: يعتقدون خلود النفس والتناسخ.

وعدد البراهمة في آسيا يقارب المائتي مليون نسمة يسلم منهم في كل عام خلق كثير.

راجع دائرة المعارف للبستاني ٥: ٣٧٥ ـ ٣٧٧ بتصرف ودائرة معارف القرن العشرين ٢: ١٥٤ ـ ١٦٤.

الذي حملهم على ما قالوا، إنَّه لما كان اللّه تبارك وتعالى خلق عباده محتملين لأمره ونهيه، ثبت أنَّه لم يأمرهم، ولم ينهم، إلاَّ وقد جعل فيهم آلة يميزون بها ما بين الأمر، والنهي، والطاعة، والمعصية، والحسن، والقبيح فأغناهم بذلك عن كل علم، من علم دينه، وليس في بحث الرسل بزعمهم مع هذا حكمة. فمن هذا الوجه أبطلوا رسالة الرسل، وزعموا أنَّها ليست من الحكمة[1] ومنهم من أثبت رسالة آدم[2] صلّى اللّه على محمد وعليه، وأنكروا رسالة من سواه من الرسل، فيقال لهم: لم أنكرتم بعث الرسل من اللّه تعالى إلى خلقه؟ فإن قالوا: لأنا وجدنا الخلق مستغنين عن كل علم، وعن كل أمر، لما يجدونه في عقولهم من المعرفة، فيقال لهم: ألستم تجدون تذكار العباد بعضهم لبعض وتنبيه بعضهم بعضاً، وتعليمهم إياهم مما يزيد في علومهم، وفي مخافتهم من اللّه ومن مراعاتهم لطاعته، وشكرهم على نعمائه؟ فإن زعموا أنَّ ذلك مما لا يزيد في علوم العباد، ولا في مخافتهم من اللّه تعالى، أبطلوا ما في عادة الخلق، وأحالوا ما توجبه العقول، فإن قالوا: بل قد يزيد ذلك في علوم العباد وفي طاعتهم اللّه تبارك وتعالى ومراعاتهم لأمره، قيل لهم: فما أنكرتم مع هذا أن يكون بعث اللّه عزّ وجلّ رسله إلى عباده، على جهة التذكار لهم، والزيادة في الشرائع والنقصان منها، على أقدر أزمانهم، ومصالح شؤونهم؟ وكيف حتى قضيتم بأنَّ بعث الرسل[3] من اللّه تعالى إلى عباده، ليس من الحكمة رأساً، وتحكمتم في ذلك؟

---

(١) الحكمة: هي العدل، والعلم، والحكم، والنبوة، والقرآن والإنجيل، ووضع الشيء في موضعه، وصواب الأمر وسداده وأفعال اللّه كذلك.

وفي عرف العلماء: هي استعمال النفس الإنسانية باقتباس العلوم النظرية واكتساب الملكة التامة، على الأفعال الفاضلة، قدر طاقتها، وقال بعضهم: الحكمة هي معرفة الحقائق على ما هي عليه بقدر الاستطاعة وهي العلم النافع المشار إليه بقوله تعالى:

﴿ومن يؤت الحكمة فقد أُوتي خيراً كثيراً﴾ سورة البقرة آية رقم ٢٦٩.

راجع بصائر ذوي التمييز ٢: ١٥٧ والمفردات في غريب القرآن الكريم ص ١٢٧.

(٢) رسل: أصل الرِّسْلِ: الأنبعاث على التؤدد، ويقال ناقة رِسلة: سهلة السير، وإبِلٌ مراسيل: منبعثة انبعاثاً سهلاً، ومنه الرسول المنبعث وتصور منه تارة الرفق فقيل على رِسْلِكَ إذا أمرته بالرفق، وتارة =

أَوَ لَيْسَ توافر رسل اللّه تعالى إلى خلقه، وتجديد عهده إلى عباده، على ألسنة رسله، وتتابع وعظه، وتذكاره على أسماعهم، مما يستدعي إلى[1] طاعته، ويندب إلى عبادته؟ وكيف يدع الأمر المستدعي إلى طاعته، والزاجر عن معصيته إلى غيره من الأمر الذي زعمتم، من ترك بعث الرسل إليهم، حتى تحكمتم في ذلك وقضيتم بأنَّه جور، وعبث غير حكمة؟ ومما يدل على قوة ما ذكرنا في إرسال اللّه تعالى الرسل، أنَّ ذلك حكمة، وعدل ليس بعبث، كما قالوا: لو أنَّ ملكاً أو سلطاناً خرج عليه بعض جنده في مخالفة أمره، فأرسل ذلك الملك إليهم رسولاً ليرجعوا عن مخالفة أمره ويرتدعوا عن معاندته، والخروج من طاعته، أليس هذا الوجه أولى بالحكمة والعدل، والرفق والاستصلاح منه إذا هو باطشهم[2] على غير إعذار منه إليهم، وأخذهم على غرة، من غير إنذار منه لهم؟ ويقال لهم: أخبرونا عنكم ألستم تقولون بحدوث العالم، وإثبات المحدث له وتقرون بالصانع والصنعة؟ قالوا: بلى، قيل لهم: من أين علمتم ذلك، ومن أي وجه استدللتم عليه؟ فإن قالوا: وجدنا هذه الصنعة محتملة التدبير لما فيها من آثار التقدير، فعلمنا أنَّ ذلك لم يكن إلاَّ من صانع مدبر حكيم، ووجدنا هذه الخلائق غير محتملين، لأن يكونوا فاعلين لشيء من هذه الأشياءِ لظهور عجزهم، وقصر منتهى قدرتهم، عن أن يفعلوا شيئاً منا يشبه هذه الصنعة، قيل لهم: فهذه الأشياء الظاهرة على أيدي الرسل، والأجسام الحادثة من أجل دعواهم، أهي مما يحتمل الخلق أن يفعله، أو مما لا يحتمله،

= الانبعاث فاشتق منه الرسول، والرسول تارة يقال للقول المتحمل كقول الشاعر: ألا أبلغ أبا حفص رسولاً.

وتارة لمحتمل القول والرسالة، والرسول يقال للواحد والجمع قال تعالى: ﴿لقد جاءكم رسول من أنفسكم﴾ سورة التوبة آية ١٢٨ وقال: ﴿إنا رسول رب العالمين.﴾ سورة الشعراء آية ١٦.

وجمع الرسول: رُسُلُ، ورسل الله تارة يراد بها الملائكة قال تعالى: ﴿إنَّه لقول رسول كريم.﴾ سورة الحاقة آية ١٠ وقوله: ﴿إنا رسل ربك لن يصلوا إليك﴾ سورة هود آية ٨١ ومن الأنبياء: ﴿وما محمد إلا رسول﴾. سورة آل عمران آية ١٤٤

(١) في (ب) بدون (إلى).

(٢) البطشة: السطوة والأخذ بالعنف، وقد بطش به من باب ضرب ونصر وباطشه مباطشة.

فإن قالوا: مما يحتمل الخلق فعله، قيل لهم: كيف حتى احتملوا فعل شيء من هذه العجائب التي ظهرت على أيدي الرسل، ولم يحتملوا الأمر الأول، وكل ذلك ليس هو من جنس أفعال الخلق، ولا من جنس ما يأتون بمثله، ولو كانوا عليه جميعاً متظاهرين، فإن قالوا: إنَّ ظهور هذه الأشياء التي أدعيتم أنَّها ظهرت على أيدي الرسل، لم يثبت عندنا تحقيقها، وإنما هي بأخبار، والأخبار عندنا لا تثبت حجة، قيل لهم: فهل تحقق عندكم قط، أو وقع في قلوبكم شيء من العلم بأنَّ في هذا العالم وفي هذه الأرض من أول الزمان[1] إلى يومنا هذا أناساً يقولون أنَّ اللّه بعثهم إلى خلقه، ويدعون أنَّهم رسل اللّه إلى عباده؟ فإن قالوا: لم يبلغنا خبر قط، كذبوا أسماعهم، وأنكروا شيئاً موجوداً في أسماع أهل الدنيا، وعلماً محققاً في قلوبهم، فإن قالوا: علمنا ذلك مما تواتر[2] لدينا من أخبارهم، قيل لهم: فأني سمعتم بأخبارهم وبلغتكم مقالاتهم ولم تسمعوا بخبر ما ظهر من تلك الدلائل على أيديهم، ولم يبلغكم شيء من جميع ما كان من ذلك، وهذا كله قد وصل إلى الناس، وإليكم وصولاً واحداً، وجاءكم الخبر بجميعه مجيئاً متصلاً، وقد استفاض في أخبار الناس، واشتهر في أحاديثهم، ورسخ في قلوبهم، أحاديث القرون الأولى، والأمم الخالية، وما كان من رسلهم إليهم

---

(١) الزمان: هو عبارة عن امتدادٍ موهوم غير قار الذات متصل الأجزاء يعني أي جزء يفرض في ذلك الامتداد لا يكون نهاية لطرف أو بداية لطرف آخر.

والزمان عند أرسطو ومتابعيه من المشائين: هو مقدار حركة الفلك الأعظم الملقب بالفلك الأطلسي لخلوه من النفوش كالثوب الاطلسي إن صح، والآن الذي هو حد الزمانين: الماضي والمستقبل نهاية الزمان، ونهاية الشيء خارجة عنه.

والزمان: من أقسام الأعراض، وليس من المشخص فإنَّه غير قارٍ والحال فيه قَار.

راجع الكليات ٢: ٤٠٥ ـ ٤٠٦ بتصرف والمعجم الفلسفي ١: ٢١٠ بتصرف.

(٢) التواتر: هو إما لفظي أو معنوي.

فالتواتر اللفظي: هو خبر جمع يمتنع عادة توافقهم عن الكذب عن محسوس.

والمعنوي: هو نقل رواة الخبر قضايا متعددة بينها قدر مشترك كنقل بعضهم عن حاتم مثلاً أنَّه أعطى ديناراً، وآخر قوساً وآخر حجلاً وهكذا.

والتواتر من حيث الرواية: هو أن يرويه جماعة لا يتصور تواطؤهم على الكذب فيكفر جاحدة. راجع الكليات والتعريفات ٦٣.

كعاد، وثمود، وفرعون ذي الأوتاد والنمرود وأشياعهم، وما جاء من أهلاكهم، وتدميرهم على أيدي رسلهم، نطق بذلك الخطباء والشعراء في الجاهلية وفي الإسلام، وفي قديم الدهر، وحديثه، ولو تتبعنا ذلك لكان هو الكتاب وحده، وقد بعث اللّه موسى صلى الله على محمد، وعلى موسى، وعلى جميع المرسلين، والغالب على الناس إذ ذاك أمر السحر[1]، وقد فشا فيهم حتى اتخذوه صناعة، يوجد عند كبيرهم وعند صغيرهم، فأظهر اللّه على يدي موسى عليه السلام من العلامات والشواهد، والمعجزات، ما دوخ به أمور جميع السحرة، وأعجزهم عن الاتيان بمثله، وأعلمهم أنّه ليس من جنس ما يأتون به من السحر بوجه ولا سبب، من انقلاب العصا حية تسعى، وثعباناً مبيناً حتى استرطت[2] جميع حبالهم، وابتلعت جميع عصيهم، فذهبت، ولم يوجد لها أثر، مع ما جاء به من اليد، إذا هو أخرج يده صارت بيضاء صافية، من غير برص ولا سوء، وما كان من رجوع مياههم دماً، وما سلط عليهم من الجراد والقمل والضفادع وفلق البحر حتى صار براً يابساً، ونقعاً ساطعاً، فشقه موسى، ومن معه فخرجوا منه سالمين فأتبعهم فرعون بجنوده على أثرهم فظلوا فيه غارقين في سائر تلك الآيات المشهورة على يدي موسى عليه السلام، فتبين للسحرة عند ذلك، أنَّ الذي جاء به موسى ليس من فعله، ولا من فعل أحد من البشر، لمعرفتهم بنهاية السحر، ومبلغه، فاتضحت لهم الحجة، فآمنوا بموسى وبما جاء به، وكفروا

---

(١) سحر: السَّحَرُ: طرف الحلقوم والرئة، وقيل انتفخ سَحَرُه وقيل منه اشتق السِّحْرُ وهو إصابه السَّحَر، والسِّحر يقال على معان: الأول: الخداع وتخييلات لا حقيقة لها نحو ما يفعله المستعبد بصرف الأبصار عما يفعله لخفة يده، وما يفعله النمام بقول مزخرف عائق للاسماع وعلى ذلك قول اللّه تعالى: ﴿سحروا أعين الناس واسترهبوهم﴾ سورة الاعراف آية ١١٦ وبهذا النظر سموا موسى عليه السلام ساحراً قال تعالى: ﴿يا أيها الساحر أدع لنا ربك﴾ سورة الزخرف آية ٤٩ رواية عن كلامهم.
والثاني: استجلاب معاونة الشيطان بضرب من التقرب إليه كقوله تعالى: ﴿هل أنبئكم على من تنزل الشياطين تنزل على كل أفاك أثيم﴾. سورة الشعراء آية ٢٢٢ وهناك أنواع أخرى لا داعي لذكرها وبالله التوفيق.

(٢) سرِط الشيء بلعه، وبابه فهم واسترطه ابتلعه وفي المثل: لا تكن حُلْواً فتسترط، ولا مراً فتعفى أي ترمى من الفم للمرارة.

بفرعون وما يدعوا إليه، فإيمان السحرة حجة على فرعون، ومن معه، وقطع لمعاذيرهم، ومعاذير جميع المبطلين، المكذبين بالرسالة[١]، وبعث اللّه عيسى عليه السلام، والغالب على أهل زمانه الطب والتداوي، وبه يفتخرون وفيه يتنافسون، فآتاهم عيسى عليه السلام من عند اللّه باحياء موتاهم، ويبرئ لهم الأكمة، والأبرص، ويخلق من الطين كهيئة الطير، فينفخ فيه فيكون طائراً بإذن اللّه، فأول ذلك أنَّه لما أبرأ لهم الأكمة[٢] والأبرص[٣]، حاروا وشكوا، وقالوا: هذا شبيه ما يأتي به أهل صناعة الطب، فلما أن أحيا لهم الموتى زادت الدلالة وتأكدت الحجة حتى خلق لهم شيئاً لم يكونوا يرونه بين أيديهم ونفخ فيه فأحياه لهم فجاءهم بأعظم من الثانية والأولى، وبعث اللّه محمداً صلى الله عليه وسلم ، والغالب على العرب حينئذ الفصاحة، والبلاغة في الخطب والشعر، فتنافسوا في ذلك وتسابقوا إليه، إلى أن صار كل من أنشأ منهم قصيدة أو أشدى خطبة يفتخر بها، حتى إنَّ منهم من علق شعره على الكعبة، ومنه سميت المعلقات[٤] المشهورات، لأنَّ أصحابها أو غيرهم من العرب علقوها عند

---

(١) قال تعالى على لسان السحرة: ﴿قالوا آمنا برب العالمين رب موسى وهارون.﴾ سورة الأعراف، آية رقم ١٢١.

(٢) المعروف عند العرب من معنى «الكمه» العمى. يقال منه كمهت عينه فهي تكمه وأكمهتها أنا إذا أعميتها كما قال سويد بن أبي كاهل:

كمهَّت عينيه حتى أبيضتا فهو يلحي نفسه لَّما نَزَعْ

ومنه قول رؤبة:

هرَّجتُ فارتد ارتداد الأكمه في غائلات الحائر المُتَهتهِ

(٣) البرص: داء معروف وبابه ضرب فهو أبرص وأبرصه اللّه. وسَامُّ أبرص من كبار الوزغ ـ وهو معرفة تعريف جنس، وهما اسمان جعلا واحداً فإن شئت أعربت الأول وأضفته إلى الثاني، وإن شئت بنيت الأول على الفتح وأعربت الثاني بإعراب ما لا ينصرف.

(٤) عُرفت حيناً بالمعلقات السبع وحيناً آخر بالمذهَّبات، وسميت كذلك بالسُّموط، والمشهورات، والمشهورة كما سماها الباقلاني في إعجاز القرآن. والشهرة المستفيضة لهذه المعلقات أنَّها علقت على ركن من أركان الكعبة. يقول ابن خلدون (٨٠٨) في مقدمته: حتى انتهوا إلى المناغاة في تعليق أشعارهم بأركان البيت الحرام موضع حجهم وبيت إبراهيم كما فعل امرؤ القيس بن حجر، والنابغة الذبياني، وزهير بن أبي سلمى، وعنترة بن شداد، وطرفة بن العبد، وعلقمة بن عبدة، والأعشى من أصحاب المعلقات السبع وغيرهم. راجع المقدمة ص ٥٣٢ والخزانة للبغدادي ١: ٦١ بولاق.

الكعبة، أو في سوق عكاظ على اختلاف الروايات في ذلك، فأتاهم رسول الله صلى الله عليه وسلم بهذا القرآن العظيم، والذكر الحكيم، وما فيه من اتساق الكلم، وعجائب النظم، مع ما تضمن من أخبار القرون الأولى وأحاديث الأمم الخالية، والرسول صلى الله عليه وسلم ، قد نشأ بين أظهرهم، وربي في حجورهم، غير معروف بشيء من مثل ما أتاهم ولا منسوب إليه شيء من علم ما جاء به، فتحداهم الله تعالى على أن يأتوا بمثله، فقال عزّ وجلّ: **﴿أَمْ يَقُولُونَ تَقَوَّله بَل لاَّ يُؤْمِنُونَ فَلْيَأْتُوا بِحَديثٍ مِثْلِه إِنْ كَانُوا صَادِقين﴾**.[1] وقال: **﴿لَئِن اجْتَمَعَتِ الأنْسُ وَالجِنُّ عَلَى أَنْ يَأْتُوا بِمثْلِ هذا القُرْآنِ لاَ يأتُونَ بِمثْلِه وَلوْ كَانَ بَعْضُهُم لِبَعْضٍ ظَهيراً﴾** [2] فلما أن عجزوا عن الاتيان بمثله، تحداهم على أن يأتوا ببعضه، فقال عزّ وجلّ: **﴿فَأْتُوا بِعَشْرِ سُوَرٍ مِثْلِهِ مُفْتَريات وادْعُوا مَن اسْتَطَعْتُم مِنْ دُونِ اللّهِ إِنْ كُنْتُم صَادِقين﴾** [3] فلما أن عجزوا عن الاتيان بعشر سور مثله تحداهم على أن يأتوا بسورة واحدة من مثل سوره، فقال: **﴿وَانْ كُنْتُم فِي رَيْبٍ مِمَا نَزَّلْنَا عَلَى عَبْدِنَا فَأْتُوا بِسُورَةٍ مِنْ مِثْلِهِ﴾** [4] الآية، وقال: **﴿أَمْ يَقُولُونَ افْتَراه قَلْ فَأْتُوا بِسُوَرةٍ مِثْلَه﴾** [5] الآية، فلما أن ظهر عجزهم على أن يأتوا بمثله أو بعشر سور[6] مثله أو بسورة واحدة من مثله[7]، أثبت عليهم الحجة وقطع

---

(١) سورة الطور آية رقم ٣٤.

(٢) سورة الأسراء آية رقم ٨٨.

(٣) سورة هود آية رقم ١٣ وقد جاءت هذه الآية محرفة في المطبوعة حيث ذكرت «ما» بدلاً من «من».

(٤) سورة البقرة آية رقم (٣).

(٥) سورة يونس آية رقم ٣٨ وهذا هو المقام الثالث في التحدي فإنّه تعالى تحداهم ودعاهم إن كانوا صادقين في دعواهم أنّه من عند محمد فليعارضوه بنظير ما جاء به وحده وليستعينوا بمن شاءوا وأخبرهم أنّهم لا يقدرون على ذلك ولا سبيل لهم إليه فقال تعالى:
﴿قل لئن اجتمعت الأنس والجن على أن يأتوا بمثل هذا القرآن لا يأتون بمثله ولو كان بعضهم لبعض ظهيراً﴾ سورة الأسراء آية رقم ٨٨.

(٦) قال تعالى: ﴿قل فأتوا بعشر سور مثله مفتريات وادعوا من استطعتم من دون اللّه إن كنتم صادقين﴾ سورة هود آية ١٣.

(٧) قال تعالى: ﴿وإن كنتم في ريب مما نزلنا على عبدنا فأتوا بسورة من مثله﴾ سورة البقرة آية رقم ٢٣.

معاذيرهم، فقال لرسوله وللمؤمنين: ﴿**فإنْ لَّمْ يَسْتَجِيبُوا لَكُمْ فَاعْلَمُوا إنما أُنزِلَ بِعِلمِ اللّهِ**﴾[١] لا بعلم البشر، ففي عجز أولئك القوم، وهم أهل الفصاحة والبلاغة، مع ما هم فيه من شدة الحرص، والاجتهاد في التكذيب للنبي عليه السلام، والرد عليه عن الاتيان بمثل ما أتى به صلى الله عليه وسلم أعظم الحجة، وأثبت الدلالة، وأقطع لمعاذيرهم ومعاذير غيرهم من الناس، ممن هو في زمانهم، ومن بعدهم إلى يوم القيامة، مع ما في القرآن من أخبار الغيوب[٢]، وما أخبر عنه صلى الله عليه وسلم من الغيوب في غير القرآن[٣]، مما لا يعلم علمه إلاَّ اللّه الذي أعلمه إياه في آيات كثيرة، وأعلام بينة، وعجائب عظيمة، ظهرت على يديه عليه السلام سوف نخبر بها إذا صرنا إلى موضع الذكر لها، إن شاء اللّه واللّه ولي التوفيق.

القول على المجوس[٤]:

وأمّا المجوس فإنهم زعموا أن لهذا العالم مدبراً محدثاً وسموه هرمزاً

---

(١) سورة هود آية رقم ١٤ وتكملة الآية ﴿وأن لا إله إلاَّ هو فهل أنتم مسلمون﴾.

(٢) الغيب: مصدر غابت الشمس وغيرها إذا استترت عن العين يقال غاب عن كذا قال تعالى ﴿أم كان من الغائبين﴾ واستعمل في كل غائب عن الحاسة وعما يغيب عن علم الإنسان بمعنى الغائب قال تعالى: ﴿وما من غائبة في السماء والأرض إلاَّ في كتاب مبين﴾ ويقال للشيء غيب، وغائب باعتباره بالناس لا باللّه تعالى فإنَّه لا يغيب عنه شيء كما لا يعذب عنه مثقال ذرة في السموات ولا في الأرض. وقوله تعالى: ﴿عالم الغيب والشهادة﴾ سورة الزمر آية ٤٦ أي ما يغيب عنكم وما تشهدونه. والغيب في قوله تعالى: ﴿يؤمنون بالغيب﴾ البقرة آية ٢ ما لا يقع تحت الحواس ولا تقضيه بداية العقول وإنما يعلم بخبر الأنبياء عليهم السلام، وبدفعه يقع على الإنسان اسم الألحاد.

(٣) وذلك مثل الحديث الذي رواه الإمام البخاري في صحيحه ومسلم، والترمذي وأحمد بن حنبل في مسنده: «ويح «عمّار تقتله الفئة الباغية».
وفي رواية: ما قتل عمار: عمّار تقتله الفئة الباغية».

(٤) المجوس: هم أصحاب الاثنين ويقال لهم (الدين الأكبر) والملة العظمى وكانت ملوك العجم كلّها على ملّة إبراهيم وجميع مَن كان في زمن كل واحد منهم من الرعايا، وكان للملوك مرجع هو (موبذ موبذان) أعلم العلماء وأقدم الحكماء - في رأيهم - يصدرون عن أمره، ولا يرجعون إلاَّ إلى رأيه

وزعموا أنه هو المدبر لجميع الخير، والخالق لكل الحسن، وأن الشيطان هـو الخـالق لجميع الشرور، ولكـل فعل قبيـح، وقالـوا إن هـرمـزاً قـديم وإن الشيطان[1] محدث وإنه إنما أحدث من فكرة فكرها، هرمز في نفسه فقال: إني تخوفت أن يدخل عليّ في ملكي، مَن ينازعني فيه، ويضادني فحدث الشيطان عن تلك الفكرة وأن هرمزاً صالح الشيطان فتركه إلى أن يفنيه بعد ذلـك، ويزيله كما أحدثه وزعموا أن جميع الأشياء الحسنة من: العدل والحكمة والعلم، وجميع مصالح الخلق، وجميع الأشياء النافعة كلها، من فعل هرمز، وأن الأشياء القبيحـة كلها من: البـاطل والكـذب والعدوان والفحش والمضـار من جميع الأمور، والهوام المؤذية والسباع والعقارب والحيات، وما يشبه ذلك من فعل

= ويعظمونه تعظيم السلاطين (راجع دائرة القرن العشرين ٨:٤٤٦).

ومسائل (المجوس) كلها تدور على قاعدتين:

أ ـ إحداهما بيان سبب امتزاج النور بالظلمة.

ب ـ الثانية بيان سبب خلاص النور من الظلمة.

وجعلوا الامتزاج مبدأ الخلاص والميعاد، وهناك من المجوس من زعم أن الأصلين لا يجوز أن يكونا قديمين أزليين. بل النور أزلي، والظلمة محدثة ثم لهم اختلاف في سبب حدوثها... أمن النور حدثت والنور لا يحدث شراً جزئياً فكيف يحدث أصل الشر (راجع الملل والنحل ٢/٧١).

وبيوت النيران عند المجوس، وأول بيت للنار بناه (افريدون) في (طوس) وآخر بمدينة (بخـارى) ويسمى (تروسون) واتخذ بهما بيتاً في (سجستان) يدعى (كركرة) ويعظم المجوس النار لمعان منها:

١ ـ إنها جوهر شرف علوي،

٢ ـ وأنها لم تحرق (إبراهيم) وكانت عليه برداً وسلاماً.

٣ ـ وأن تعظيمها ينجيهم من عذابها يوم الميعاد.

وعلى كل فهي قبلة لهم، ووسيلة، وإشارة إلى أهل الأهواء والنحل. راجع الملل والنحل ٩٢:٢ ودائرة معارف القرن العشرين ٤٥٨:٨.

(١) الشيطان: هو من شطن: أي تباعد ومنه بئر شطون وشطنت الدار، فالنون فيه أصلية، وقيل زائدة من شاط يشيط احترق غضباً، فالشيطان مخلوق من النار كما دل عليه قوله تعالى: ﴿وخلق الجان من مارج من نار﴾ ولكونه من ذلك اختص بفرط القوة الغضبية، والحمية الذميمة وامتنع من السجود لآدم قال أبو عبيدة: الشيطان اسم لكل عارم من الجن والإنس والحيوانات قال تعالى: ﴿شياطين الإنس والجن﴾ سورة الانعام آية ١١٢ وقال أيضاً: و﴿إن الشياطين ليوحون﴾ سورة الانعام آيه ١٢١ وقال: ﴿وإذا خلوا إلى شياطينهم﴾ سورة البقرة آية ١٣ أي أصحابهم من الجن والإنس. والله أعلم. راجع مفردات غريب القرآن.

الشيطان، وهو الخالق لجميعها وبانوا[1] بهذا الفصل من سائر المثبتين لحدوث الأشياء، المقرين بالصانع، فيقال لهم: أخبرونا عن هرمز أليس هو خبيراً عليماً حكيماً، فلذلك نفيتم عنه فعل الشرور، وخلق جميع القبائح؟ فإن قالوا: بلى، قيل لهم: فالشيطان الذي هو رأس الخطيئة، الفاعل لجميع الشرور، الخالق لكل قبيح وخبيث، أخير حسن هو أم قبيح شرير؟ فإن قالوا: حسن خير، قيل لهم: فكيف وهو الخالق لجميع هذه الشرور؟ فإن قالوا: لا يكون بخلقه هذه الشرور، وهذه القبائح شريراً، ولا قبيحاً، قيل لهم: فما أنكرتم عن هرمز أن يكون هو الخالق لهذه الشرور والفاعل لها، وليس هو مع ذلك شريراً، ولا قبيحاً، إذ لا يكون الشيطان بفعله القبائح، وخلقه الشرور قبيحاً ولا شريراً؟ فإن رجعوا وقالوا: إن الشيطان بفعله القبائح قبيح وبخلقه الشر شرير قيل لهم: فهرمز حين خلق الشرير وفاعل القبيح الذي هو الشيطان أحسن هو أم قبيح شرير فإن قالوا: إن هرمزاً خير لا يكون شريراً، قيل لهم: وكيف وهو الذي خلق رأس الشر الذي منه جميع الشرور؟[2] فإذا كان الشيطان شريراً بفعله الشر فهرمز أولى بالشر منه إذ خلق رأس جميع الشرور، وسبب جميع القبائح، فإن قالوا: إن هرمزاً شرير قبيح بخلقه الشيطان، انهدمت جميع أصولهم، وانهدم جميع بنيانهم الفاسد، ويقال لهم: ما يؤمنكم أن هرمزاً إذا كان إنما أحدث الشيطان من فكرته، لعله تفكر فكرة مثلها، وألف فكرة؟ ولعلّ هذه القبائح كلّها من فكرة حدثت، فضلاً عن أن تكون حدثت من الشيطان، وما يدريكم على هذا المعنى بأن هذه الشرور والقبائح من الشيطان دون هرمز، فإن اعتلوا بالأخبار، وادعوا علم ما قالوا من ذلك أنهم علموه من قبل الأخبار، قيل لهم: فلعلّ المخبر لكم بذلك كاذب ولعل ذلك الخبر إنما جاءكم

(١) المباينة: المفارقة، وتباين القوم تهاجروا، وغراب البين هو الأبقع، وقال أبو الغوث هو الأحمر المنقار والرجلين، فأمّا الأسود فهو الحاتم.

(٢) هذه الحجج التي ساقها المؤلف: هي ـ والحق يقال ـ من أنفس الأقوال والأدلة التي تفحم الخصوم وتجعلهم يتخبطون في ضلالهم، وليس لديهم حجة تقال، ولا دليل ينصف باطلهم.

من قبل الشيطان، الذي لا يأتي من قبله إلاّ كل كذب، وقبيح، ويقال لهم في قولهم: إنه سوف يفنيه فيما يأتي من الدهر،[١] أخبرونا عن اليوم هل كان يقدر على أن يفنيه؟ فإن قالوا لا، قيل لهم: فكيف يقدر بعد اليوم على ما لا يقدر عليه اليوم؟ وأنى له القدرة بعد هذا على شيء أليست له قدرة عليه اليوم؟ فإن قالوا: بأنه قادر على أن يفنيه اليوم، وبعد اليوم، قيل لهم أفتركه يفعل الشرور، ويحدث القبائح ويفسد في الأرض ولا يصلح، ألوفاً من السنين، وهو قادر على أن يفنيه، فأي شر تضيفون إلى هرمز، وأي قبيح تنسبون إليه أعظم من هذا، وأشنع منه؟ ويسألون عن الذي يسأل عنه أهل الدهر وغيرهم من أصحاب الاثنين، فيقال لهم: أخبرونا عن الشيطان أبطبع يفعل الشر أم باختيار؟ فإن قالوا: باختيار، قيل لهم: فهو إذن يترك فعل الشر، ويفعل الخير، إذ كان فعل الشر منه اختياراً لا طبعاً، فكيف حتى قلتم إنه لا يكون من فعله إلاّ القبح والشر دون الحسن والجميل؟ فإن قالوا: فعل الشر منه طبع غير اختيار قيل لهم: وكيف كان طبعاً وهو قد كان ولا يفعل ثم فعل بعد ذلك، والطبع لا يفارق الشيء ولا يزايله، مع أن هذه الأفعال التي أضافوها إليه، مختلفة الأجناس، متضادة المعاني، وليست هي من جنس ما يطبع الشيء عليه وكل ما يدخل على من قال بالاثنين من جميع ما رسمناه في كلامنا، فهو داخل على هؤلاء القوم حرفاً حرفاً، وأمّا تكذيب المجوس[٢] بالمرسلين فذلك أمر يشملهم

---

(١) الدهر في الأصل اسم لمدة العالم من مبدأ وجوده إلى انقضائه وعلى ذلك قوله تعالى: ﴿هل أتى على الإنسان حين من الدهر﴾ سورة الدهر آية رقم ١. ثمّ يعبر به عن كل مدة كثيرة، وهو خلاف الزمان، فإن الزمان يقع على المدة القليلة والكثيرة والدهر عند المتكلمين: لا وجود له في الخارج، لأنه عندهم عبارة عن مقارنة حادث لحادث، والمقارنة أصل اعتباري عدمي، ولذا ينبغي في التحقيق أن لا يكون عند من حده من الحكماء بمقدار حركة الفلك، وأما عند مَن عرفه منهم بأنه حركة الفلك فإنه وإن كان وجودياً إلاّ أنه لا يصلح للتأثير.

وقوله عليه الصلاة والسلام «لا تسبوا الدهر فإن الله هو الدهر» (البخاري في الأدب ١٠١ ومسلم في الألفاظ ٤ وصاحب الموطأ في الكلام ٣) قد قيل معناه إن الله فاعل ما يضاف إلى الدهر من الخير والشر والمسرة والمساءة فإذا سببتم الذي تعتقدون أنه فاعل ذلك فقد سببتموه تعالى الله عن ذلك.

(٢) يرى ابن حزم أن المجوس يقرون ببعض الأنبياء دون بعض. راجع الفصل ١:١٧٧ بتحقيقنا.

مع غيرهم مع جميع أهل التكذيب، والرد على جميعهم واحد، والله وليّ التوفيق.

أهل الكتاب:

وأمّا أهل الكتاب فإنهم مع اختلاف مللهم، وتفاوت أقاويلهم مجمعون على تكذيب نبيّنا[١] محمد صلّى الله عليه وسلّم، فرأيت أن أبدأ من ذلك بالأمر الذي هو شامل لجميعهم من الرد عليهم، في إنكارهم لنبوءة نبيّنا محمد صلّى الله عليه وسلّم، والنقض عليهم باطلهم، وأن أذكر من حجج الله التي شدّ بها على أعضاد الناصرين لدينه، مما أظهره الله تبارك وتعالى في القرآن، وفي غير القرآن ونشره أولو العلم من قبلنا، من أعلامه وشواهده صلّى الله عليه وسلّم، بالذي يحضرني من ذلك، ثم نثني بعد ذلك بذكر ما يختلف فيه القوم، إن شاء الله تعالى، والله ولي التوفيق.

الدلالة على آيات نبيّنا محمد صلّى الله عليه وسلّم ومعجزاته:

وقد كنّا نبهنا في باب إثبات الرسالة للرسل صلّى الله عليهم وسلّم، والنقض على البراهمة، على إثبات آيات الأنبياء ومعجزاتهم،[٣] من الذي أعطى موسى عليه السلام من العصا واليد وفلق البحر في سائر ذلك، والذي

---

(١) نبي: النبي بغير همز فقد قال النحويون أصله الهمز فترك همزه واستدلوا بقولهم: مسيلمة نبيء سوء. وقال بعض العلماء: هو من النبوّة أي الرفعة، وسمى نبيّاً لرفعة محله عن سائر الناس المدلول عليه بقوله تعالى: ﴿ورفعناه مكاناً عليّاً﴾ سورة مريم آية ٥٧ فالنبي بغير الهمز أبلغ من النبيْ بالهمز، لأنه ليس كل منبئ رفيع القدر والمحل، ولذلك قال عليه الصلاة والسلام لَمن قال: يا نبيْ الله. فقال: «لست بنبيْ الله، ولكن نبيُّ الله لما رأى أن الرجل خاطبه بالهمز لبغض منه، والنبوّة والنباوة الارتفاع.

(٢) أعضاد: جمع عضد، والعضد: الساعد وهو من المرفق إلى الكتف. وفيه أربع لغات (عضد) بضم الضاد وكسرها وسكونها، وعضد بوزن فُعْل، وعضده من باب نصره وأعانه واعتضد به استعان.

(٣) المعجزة: أمر خارق للعادة يظهره الله تعالى على يد مدعي النبوة والرسالة، كانشقاق القمر، وانقلاب العصا حيّة وإحياء الموتى. ونبع الماء من بين الأصابع، وغير ذلك كثير والله أعلم. راجع مقدمة ابن خلدون، والمقاصد: سعد الدين التفتازاني، والمواقف، لعضد الدين الايجي ومشارق أنوار العقول للسالمي.

أوتي عيسى عليه السلام، من أنه يبرئ الأكمه والأبرص ويحيي الموتى، وغيره بإذن الله وما أوتي محمد صلّى الله عليه وسلّم من آيات القرآن، ومعجزه الذي لا يقدر أحد من البشر أن يأتي بمثله، ولو كانوا عليه متظاهرين، ولو تأمل متأمل ما أوتي النبيّ محمد صلّى الله عليه وسلّم، من جهة التفهم من آيات القرآن، وفكر في ذلك بحقيقة التفكر، لعلم أنه أعظم من جميع ما أوتي غيره من الأنبياء، إذ لا يعترض معترض في القرآن بالإنكار له، والجحد ولا بالشك في أنه نزل على محمد صلّى الله عليه وسلّم، لقيام القرآن بين ظهراني هذا العالم إلى يوم الدين، ولا يعترض فيه معترض بأن يدعي أنه لو شاهد القرآن لأمكنه أو أمكن غيره من الناس أن يأتي بمثله، بل هو قائم بين أعينهم متلو على آذانهم ليلاً ونهاراً، باق فيهم ما بقيت السماء، والأرض ولم يخل كل عالم في كل زمان من شاعر فصيح، أو خطيب بليغ، وفيهم مَن لا يحتشم في كثير من المجالس من الإفصاح بالإلحاد، والطعن على النبيّ عليه السلام والقدح في القرآن[1]، فهل تهيّأ لأحد منهم قط أن يعارض سورة من سور القرآن بشيء يكون عند أهل اللغة والفصاحة مقارباً للقرآن في النظم والتأليف، وحسن المعاني، وعذوبة الألفاظ، فضلاً عن المساواة له؟ مع ما تضمنه القرآن من علم الغيوب التي لا يعلم علمها، ولا يقدر على أن يطلع عليها أحد غير الله، وذلك أنه أخبر في القرآن عن أمور قبل كونها، فكانت على ما أتت به الأخبار، من

---

(١) لقد سمعت الجن كلام الله فقالوا: ﴿إنا سمعنا قرآناً عجباً﴾ سورة الجن آية رقم (١). هذا ما قاله الجن عندما سمعوا كلام الله، فماذا قال شياطين الإنس على كلام الله دون أن يسمعوه...؟
قالت دائرة المعارف السوفيتية: القرآن: الكتاب المقدس الأساسي للمسلمين مجموعة من المواد الدينية المذهبية والأسطورة القانونية وقد وضع القرآن وشرع خلال حكم ثالث الخلفاء العرب عثمان، ثمّ أدخلت عليه فيما بعد أشياء حتى بداية القرن الثامن ـ وفق ما بلغنا من المعلومات ـ بعض التغييرات ووفقاً للتراث الإسلامي للتاريخ الديني يعتبر محمد هو مشرع القرآن كما يعتبر مؤسس الإسلام إلى آخر هذا الخلط العجيب وصدق الله العظيم في قوله تعالى: ﴿كبرت كلمة تخرج من أفواههم إن يقولون إلاّ كذباً﴾ سورة الكهف آية ٥ راجع ما كتبناه رداً على هذا الهوس من دائرة المعارف السوفيتية ٦٤:١٢ في كتابنا «المذاهب المعاصرة وموقف الإسلام منها ١٥٢ ـ ١٥٤».

ذلك قوله تعالى: ﴿أَلَم غُلِبَتِ الرُّومُ فِي أَدْنَى الأَرْضِ وَهُمْ مِنْ بَعْدِ غَلَبِهِم سَيَغْلِبُونَ فِي بِضْعِ سِنِينَ﴾[1]، وكانت فارس غلبت الروم على أرض الجزيرة، وهي أدنى أرض الروم من سلطان فارس، فسر بذلك مشركو قريش وكان المسلمون يحبون أن يظهر الروم على أهل فارس لأن الروم أهل كتاب، وفارس مجوس، فساءهم أن غلبوهم على شيء من بلادهم فأنزل الله عزّ وجلّ: ﴿وَهُمْ مِنْ بَعْدِ غَلَبِهِمْ سَيَغْلِبُونَ﴾ أي الروم بعد أن غلبوا سيغلبون أهل فارس في بضع سنين، والبضع عند أهل اللغة: ما فوق الثلاثة ودون العشرة، فغلبت الروم أهل فارس وأخرجوهم من ديارهم يوم الحديبية[1]، وذلك بعد سبع سنين، ثم قال الله عزّ وجلّ: ﴿لِلَّهِ الأَمْرُ مِنْ قَبْلُ وَمِنْ بَعْدُ﴾[3]، أي له القضاء بالغلبة لمن يشاء من قبل ومن بعد ﴿وَيَوْمَئِذٍ يَفْرَحُ الْمُؤمِنُونَ بِنَصْرِ اللَّهِ﴾ أهل الكتاب على المجوس، وبتصديق الله عزّ وجلّ ما وعد من ذلك، ومن أعجب ما في الآية تحديد الله عزّ وجلّ للوقت في بضع سنين، ولم يقل: ﴿وهم من بعد غلبهم سيغلبون﴾ فيما بعد، ثم قال مؤكداً لما وعد محققاً: ﴿وَعْدَ اللَّهِ لاَ يُخْلِفُ اللَّهُ وَعْدَهُ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسَ لاَ يَعْلَمُونَ﴾[4] والقصة في هذا مشهورة بين أبي بكر الصديق، رضي الله عنه، وبين أُبيّ بن خلف، لعنه الله.[5]

---

(١) سورة الروم آية رقم ١ ـ ٤.

(٢) راجع ما كتبه ابن هشام في سيرته ج٢ وما كتبه ابن كثير في كتابه القيم البداية والنهاية.

(٣) سورة الروم آية رقم ٤.

(٤) سورة الروم آية رقم ٦.

(٥) هو أبي بن خلف بن وهب بن حذافة، كان والده أحد الرجال الصناديد الذين عرفوا حلو الحياة ومرها، والذي عاش حياته في جهد ونصب، وجاب أقطار الأرض بتجارته، وأخوه أمية بن خلف الذي وقف في وجه الرسول الكريم يصده عن تبليغ دعوته. راجع رجال أنزل الله فيهم قرآناً للمحقق ٣١٤:٤ وما بعدها.

خبر آخر:

قوله عزّ وجلّ: ﴿سَنُرِيهِمْ آيَاتِنَا فِي الآفَاقِ وَفِي أَنْفُسِهِمْ حَتَّى يَتَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّهُ الحَقُّ﴾[1] الآية، في الآفاق: فتح القرى، وفي أنفسهم: فتح مكة[2] فتبيّن لهم عند ذلك أن الذي جاءهم به النبيّ هو الحق.

خبر آخر:

قوله للنبيّ عليه السلام: ﴿إِنَّ الَّذِي فَرَضَ عَلَيْكَ القُرْآنَ لَرَادُّكَ إِلَى مَعَادٍ﴾[3] ومعاد الرجل بلده، سمي معاداً لأنه ينصرف في البلاد ويضرب في الأرض ثم يعود إليه وهذه الآية نزلت على رسول الله صلى الله عليه وسلم ، حين خرج من مكة يريد المدينة، وكان خرج منها محزوناً لمفارقته وطنه، فبشره الله بالظهور والغلبة وأعلمه أنه سيعود إلى مكة.

خبر آخر:

قوله عزّ وجلّ: ﴿هُوَ الَّذِي أَرْسَلَ رَسُولَهُ بِالْهُدَى وَدِينِ الحَقِّ لِيُظْهِرَهُ عَلَى الدِّينِ كُلِّهِ وَلَوْ كَرِهَ المُشْرِكُونَ﴾[4] وهذا أمر بَيِّنٌ، وأهله غالبون على كل أمة.

خبر آخر:

قوله عزّ وجلّ في سورة اقتربت الساعة وهي مكيّة: ﴿سَيُهْزَمُ الجَمْعُ

(١) سورة فصلت آية رقم ٥٣.
(٢) راجع ما كتبه ابن كثير في تفسيره، ٤:١٠٤، ١٠٥ وما سطّرته يراعة الكاتب الكبير سيد قطب في كتابه «في ظلال القرآن» ٥:٣١٣٠ ـ ٣١٣١.
(٣) سورة القصص آية رقم ٨٥.
(٤) سورة التوبة آية رقم ٣٣.

﴿وَيُوَلُّونَ الدُّبُرَ﴾[1] يعني المشركين يوم بدر فهزمهم الله عزّ وجلّ يومئذ بأعد ما كانوا من السلاح، والمال والرجال الأباطل وكان عددهم ما بين تسعمائة إلى الألف وعدد المسلمين ثلاثمئة وثلاثة عشر رجلاً، يعتقب العدد منهم البعير الواحد، ولا فرس معهم يومئذ إلاّ فرس للمقداد،[2] وفرس للزبير[3]، وأمكن الله من صناديدهم، وكماتهم، فقتل منهم خمسون رجلاً وأسر منهم نحو ذلك، ورجعوا خائبين منكوبين وكان أراهم مصارع القوم قبل اللقاء[4]، وقال كأنكم يا أعداء[5] الله بهذه الضلع[6] الحمراء مقتلون، ثمّ رماهم بقبضة من الحصى،

---

(١) سورة القمر آية رقم ٤٥.

(٢) المقداد بن عمرو، ويعرف بابن الأسود الكندي البهراني الحضرمي أبو معبد، أو أبو عمرو، صحابي من الأبطال، وهو أحد السبعة الذين كانوا أول مَن أظهر الإسلام، وهو أول مَن قاتل على فرس في سبيل الله، وفي الحديث.

«إنّ الله عزّ وجلّ أمرني بحب أربعة وأخبرني أنه يحبهم: علي، والمقداد، وأبو ذر، وسلمان» وكان في الجاهلية من سكان حضرموت. سكن المدينة وتوفي على مقربة منها عام ٣٣هـ له ٤٨ حديثاً.

راجع الإصابة ت ٨١٨٥ وتهذيب ٢٨٥:١٠ وصفة الصفوة ١٦٧:١ وحلية الأولياء ١٧٢:١ وذيل المذيل ١٠ والسالمي ١٦٠:١ ومجمع الزوائد ٣٠٦:٩ والجرح والتعديل ٤ القسم ١ ـ ٤٢٦.

(٣) الزبير بن العوام بن خويلد الأسدي أبو عبدالله الصحابي الشجاع أحد العشرة المبشرين بالجنة. ولد عام ٣٨ ق.هـ وتوفي عام ٣٦هـ. راجع تهذيب ابن عساكر ٣٥٥:٥ والجمع ١٥٠ وصفة الصفوة ١٣٢:١ وحلية الأولياء ٨٩:١ وذيل المذيل ١١ وتاريخ الخميس ١٧٢:١ والبدء والتاريخ ٨٣:٥ والرياض النضرة ٢٦٢ ـ ٢٨٠ وخزانة البغدادي ٤٦٨:٢ ثمّ ٣٥٠:٤.

(٤) من ذلك أن عاتكة بنت عبد المطلب رأت رؤيا أرعبتها. وخلاصتها أن قريشاً تخرج لمصارعها في ثلاث، ورأت رجلاً يقف على جبل أبي قبيس ويقذف بحجر ضخم فتناثرت أجزاؤه فلم يبق بيت من بيوت مكة إلاّ أصابته فلقة من هذا الحجر.

فترصد للعباس بن عبد المطلب حتى وجده يطوف بالبيت ثم قال له: «متى حدثت فيكم هذه النبية....؟

ثمّ قال: أما رضيتم أن يتنبّأ رجالكم حتى تتنبأ نساؤكم..؟ راجع هذه الرؤية في سيرة ابن هشام تحقيق محيي الدين عبد الحميد ٢٤٤:٢ ـ ٢٤٥.

وقال شاهت الوجوه[1]، ولم يكن بعدها إلاّ هزيمة القوم لقول الله عزّ وجلّ: ﴿وَمَا رَمَيْتَ إِذْ رَمَيْتَ وَلَكِنَّ اللَّهَ رَمَى﴾[2] أي شدّ رميتك، فصدق الله ما وعده من النصر، وصدق ما قدم في الكتب المتقدمة من ذكر هذه الوقعة، على لسان إشعياء[3]، وهو قوله: ينزل البلاء بمشركي العرب، ويهزمون بين يدي سيوف مسلولة وقسي موترة، ومن شدّة الملحمة[4]، ولا يستطيع أحد أن يحتال في قوله: ﴿سَيُهْزَمُ الْجَمْعُ﴾[5] ويتأوّله للسين التي هي في معنى سوف، وهذه السين سوف لا يكونان أبداً إلاّ لأمر لم يقع، ومما يزيد في وضوح هذه الآية قوله في سورة أخرى: ﴿وَلَقَدْ صَدَقَكُمْ اللَّهُ وَعْدَهُ إِذْ تَحُسُونَهُمْ بِإِذْنِهِ﴾[6] أي تقتلونهم.

خبر آخر

إنّ النبيّ صلّى الله عليه وسلّم، وعد المسلمين أنْ يغنمهم إحدى

(١) هذا جزء من حديث طويل رواه الإمام مسلم في كتاب الجهاد والسير ٢٨ باب في غزوة حنين ٨١ (١٧٧٧) ـ حدّثنا عمر بن يونس الحنفي. حدّثنا عكرمة بن عمار، حدّثني إياس بن مسلمة، حدّثني أبي قال غزونا مع رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ حنيناً فلمّا واجهنا العدو تقدّمت فأعلو ثنيه فاستقبلني رجل من العدو فأرميه بسهم فتوارى عني فما دريت ما صنع... ومررت على رسول الله منهزماً وهو على بغلته الشهباء فقال رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ لقد رأى ابن الأكوع فزعاً فلمّا غشوا رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ نزل عن البغلة ثم قبض قبضة من تراب من الأرض ثم استقبل بها وجوههم فقال وذكره.

ورواه الدارمي في السير ١٥ وأحمد بن حنبل في المسند ١:٣٠٨، ٣٦٨ ٥:٢٨٦، ٣١٠ (حلبي).

(٢) سورة الأنفال آية رقم ١٧.

(٣) إشعيا: أشهر أنبياء العبرانيين الكبار واسمه بالعبرانية «يشعيا» ومعناه خلاص الرب، ويقال: إن والده اسمه آموص، كان من نسب الملوك والظاهر أنه صرف حياته في «أورشليم» وتنبّأ نحو ٦٠ سنة من ٧٥٩ ق.م إلى ٧٠٠ ق.م ويستدل من سفره أنه كان وديعاً حليماً شفوقاً متواضعاً وظلّ يتنبّأ إلى أيام «منسى» الملك وأن هذا الملك قتله نشراً في جذع شجرة عندما تبوأ تخت الملك. راجع دائرة المعارف للبستاني.

(٤) الملحمة هي المعارك والحروب ومن هنا قال الرسول ـ صلى الله عليه وسلم : أنا نبيّ الرحمة والملحمة.

(٥) سورة القمر آية رقم ٤٥.

(٦) سورة آل عمران آية رقم ١٥٢.

الطائفتين، وكانت إحداهما ذات بز وطيب وأدم وأموال، ولا رجال فيها إلاّ عدة يسيرة، والطائفة الأخرى ذات شوكة ورجال، وعدة، فمال المسلمون بأهوائهم إلى ذات الغنيمة، وكرهوا الأخرى، فأبى الله لهم إلاّ ذات الشوكة، فقال: ﴿وَإِذْ يَعِدُكُمُ اللَّهُ إِحْدَى الطَّائِفَتَيْنِ أَنَّهَا لَكُمْ وَتَوَدُّونَ أَنَّ غَيْرَ ذَاتِ الشَّوْكَةِ تَكُونُ لَكُمْ وَيُرِيدُ اللَّهُ أَنْ يُحِقَّ الحَقَّ بِكَلِمَاتِهِ وَيَقْطَعَ دَابِرَ الْكَافِرِينَ، لِيُحِقَّ الحَقَّ وَيُبْطِلَ الْبَاطِلَ وَلَوْ كَرِهَ الْمُجْرِمُونَ﴾[1] وهذا أيضاً مما لا يستطاع دفعه بحيلة ولا بتأويل لأن وعد الله إيّاهم إحدى الطائفتين، لا يكون إلاّ قبل اللقاء، ولا يجوز أن يعد شيئاً قد وقع.

خبر آخر:

قوله عزّ وجلّ: ﴿لَقَدْ صَدَقَ اللَّهُ رَسُولَهُ الرُّؤْيَا بِالحَقِّ لَتَدْخُلُنَّ الْمَسْجِدَ الحَرَامَ إِنْ شَاءَ اللَّهُ آمِنِينَ مُحَلِّقِينَ رُؤوسَكُمْ وَمُقَصِّرِينَ﴾[2] فكان الأمر في ذلك كما قال، وكان نزول ذلك في قصة مشهورة، وذلك أن رسول الله صلّى الله عليه وسلّم رأى بالمدينة رؤيا دلته[3] على أمور يوقعها الله له، منها: أنه سيدخل المسجد الحرام، وسيحلق رأسه ببطن مكة، ومكة يومئذ دار شرك، فوعد رسول الله أصحابه بدخول المسجد الحرام، وخرج معتمراً طامعاً في الوصول إلى البيت من عامه ذلك، للرؤيا التي رآها وخرج معه جماعة من المسلمين، فلمّا قربوا من مكة صدهم المشركون عند دخولها فأعلمهم رسول الله صلّى الله عليه وسلّم أنه لم يأت لحرب وأنه إنما أتى معظماً لهذا

---

(١) سورة الأنفال آية رقم ٧، ٨.

(٢) سورة الفتح آية رقم ٢٧.

(٣) روى الطبراني قال: أخبرنا ابن وهب قال: قال ابن زيد في قوله تعالى: ﴿لقد صدق الله رسوله الرؤيا بالحق﴾ قال: قال لهم رسول الله صلى الله عليه وسلم: إني قد رأيت أنكم ستدخلون المسجد الحرام محلقين رؤوسكم ومقصرين فلما نزل الحديبية ولم يدخل ذلك العام طعن المنافقون في ذلك فقالوا: أين رؤياه...؟ فقال الله ﴿لقد صدق الله رسوله الرؤيا بالحق﴾.

البيت، فقالوا: لا تدخلها على هذا الحال أي على غرة وغفلة أبداً ودعوه إلى الهدنة[١]، ووضع الحرب عشر سنين، على أن يرجع هو وأصحابه من عامهم ذلك، فإذا كان من قابل دخلوا إن شاؤوا، فأجابهم رسول الله إلى ذلك، وحلّ من أحرامه بالحديبية، فهاج المسلمون يومئذ حتى قال قوم منهم لرسول الله: ألست وعدتنا أنك ستدخل المسجد الحرام؟ فقال أفقلت لكم إن ذلك يكون في شهري هذا؟ فقالوا: لا، فقال: فسيكون ذلك، فأنزل الله ﴿**لَقَدْ صَدَقَ اللَّهُ رَسُولَه الرُّؤيا بِالْحَقِ لَتَدْخُلَنَّ المَسْجِدَ الحَرَامَ إِنْ شَاء اللَّه آمِنِينَ مُحَلِّقِينَ رُؤُوسَكُمْ وَمُقَصِّرينَ، لاَ تَخَافُونَ فَعَلِمَ مَا لَمْ تَعْلَمُوا فَجَعَلَ مِن دُونِ ذَلِكَ فَتْحاً قَرِيباً**﴾[٢]. فأكد بذلك وعد رسول الله، وحقق قوله، وأعلمهم أن ذلك سيكون، فكان الأمر في ذلك كما قال.

خبر آخر:

قوله: ﴿**وَعَدَكُمُ اللَّهُ مَغَانِمَ كَثِيرَةً تَأْخُذُونَهَا فَعَجَّلَ لَكُمْ هَذِهِ وَكَفَّ أَيْدِيَ النَّاسِ عَنْكُمْ وَلِتَكُونَ آيَةً لِلمُؤمِنينَ وَيَهْدِيكُمْ صِرَاطاً مُسْتَقِيماً وأُخْرَى لَمْ تَقْدِرُوا عَلَيْهَا قَدْ أَحَاطَ اللَّهُ بِهَا وَكَانَ اللَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْء قَدِيراً**﴾[٣] فكان الذي عجله الله له من المغانم ما أفاءه الله على المسلمين، وفتحه عليهم من أرض المشركين وديارهم وأموالهم، إلى الوقت الذي أنزل الله

---

(١) راجع ما كتبه ابن جرير الطبري عن صلح الحديبية في تفسيره عند قوله تعالى: ﴿هم الذين كفروا وصدوكم عن المسجد الحرام والهدى معكوفاً أن يبلغ محله﴾ سورة الفتح آية ٢٥ الجزء ٢٦:٩٥ ـ ١٠٦ وما قاله ابن كثير في تفسيره، ٤:١٩٣ ـ ٢٠٠.

(٢) سورة الفتح آية رقم ٢٧ جاءت هذه الآية محرّفة في المطبوعة حيث سقط منها لفظ (الله).
وجاءت هذه الآية محرّفة في المطبوعة حيث ذكرت (فعجل). بدلاً من (فجعل).

(٣) سورة الفتح آية رقم ٢٠، ٢١.
والأخرى التي لم يقدروا عليها هي خيبر روى ابن جرير بسننه قال: سمعت الضحاك يقول في قوله تعالى: ﴿وأخرى لم تقدروا عليها قد أحاط الله بها﴾ يعني خيبر، بعثهم رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم. يومئذ فقال: «لا تمثلوا ولا تغلوا ولا تقتلوا وليداً».

هذا فيه ثمّ وعد الله المؤمنين ما لم يكونوا يقدرون عليه، ولا صار في أيديهم حينئذ، فقال: ﴿وَأُخْرَى لَمْ تَقْدِرُوا عَلَيْهَا قَدْ أَحَاطَ اللَّهُ بِهَا﴾[1] أي أنها سيفتحها عليكم، ويمكنكم منها بلطفه لكم، ونصره إيّاكم فكان الأمر في ذلك كما قال بالظهور على مكة، وعلى فارس والروم، وبفتوح الشام والعراق وغير ذلك من البلدان، وما أفاءه الله من أموال المشركين.

ومما يشهد لنبوته صلى الله عليه وسلم من القرآن أيضاً، ما كان من وعيد اللّه لرجال من الكفار، مسمين بأعيانهم بالخزي في عاجل الدنيا، مع عذاب الآخرة فجاءت الأخبار فيهم من اللّه بأنّهم يصيرون إلى النار، فلم يسلم منهم أحد، وقد صنع مثل صنيعهم قوم علم اللّه أنّهم يدخلون في الإسلام، فلم يأت إليه من عند اللّه فيهم خبر بعذاب، ولا ختم عليهم به. وكان مما أنزل اللّه من القرآن بمكة مما أجمع العلماء أنّه أول قرآن أنزل بمكة، قوله: ﴿إِقْرَأْ بِاسْمِ رَبِّكَ﴾[2] فقال فيها: ﴿كَلاَّ لَئِن لَّمْ يَنْتَهِ لَنَسْفَعاً بِالنَّاصِيَةِ، نَاصِيةٍ﴾[3] قالت خديجة[4] إنَّ هذا الوعيد نزل في أبي جهل[5]

---

(١) سورة الفتح آية رقم ٢١.

(٢) سورة العلق آية رقم ١.

(٣) سورة العلق آية رقم ١٥، ١٦.

(٤) هي خديجة بنت خويلد بن أسد بن عبد العزي ولدت سنة ٦٨ ق هـ ٥٥٦ بمكة ونشأت بها كانت ذات مال كثير تتاجر به تزوج بها النبيّ ـ صلى الله عليه وسلم ـ قبل النبوة فولد له منها القاسم، وعبداللّه، ورقية، وأم كلثوم، وزينب، وفاطمة، وهي أول من أسلم من النساء، ساعدت النبيّ في الشدة وآزرته، توفيت عام ٣ ق هـ/٦٢٠ م.

راجع صفة الصفوة ٢: ٢ طبقات ابن سعد ٨: ٧ ـ ١١ الإصابة ت ٣٣٣.

(٥) وقال أيضاً بعض العلماء: نزلت هذه الآية في أبي جهل «عمرو بن هشام» قال ذلك الإمام الطبري في تفسيره ٣: ١٦٤ ـ ١٦٥، والقرطبي في تفسيره، ٢: ١٢٧ والخازن والبغوي في تفسيرهما ٧: ٢٢٥، والإمام ابن كثير في تفسيره، ٤: ٥٢٩ والشوكاني في تفسيره، ٥: ٤٥٨ وصاحب الدر المنثور ٦: ٣٦٩ وراجع تفسير الفخر الرازي ٨: ٤٦٧ وقاله الإمام الواحدي في أسباب النزول ٤٩٣.

وراجع في ترجمة أبي جهل دائرة المعارف الإسلامية ٤٤٣، وابن هشام ٢: ٣٣ وطبقات ابن سعد ٣: ١٩٤، ٣: ٥٥ وابن الأثير ١: ٢٣، ٢٥، ٢٧، ٣٨، واليعقوبي ٢: ٢٧ وراجع رجال أنزل اللّه فيهم قرآناً للمحقق ٤: ٢٣٤ ـ ٢٦٠.

ثمّ نزل أيضاً في قولهم حين مشوا إلى أبي طالب[1]، فسألوا النبيّ صلى الله عليه وسلم ، عن أشياء فدعاهم إلى قول: لا إله إلاَّ اللّه فتفرقوا، وقالوا: ﴿أَجَعَلَ الآلِهَةَ إِلَهاً وَاحِداً﴾[2] إلى قوله: ﴿جُنْدٌ مَا هُنَالِكَ مَهْزُومٌ مِنَ الأَحْزَابِ﴾[3] وذلك بمكة قبل الحرب، وقال: ﴿تَبَّتْ يَدَا أَبِي لَهَبٍ وَتَبَّ، مَا أَغْنَى عَنْهُ مَالُهُ وَمَا كَسَبَ، سَيَصْلَى نَاراً ذَاتَ لَهَبٍ، وَامْرَأَتُهُ حَمَّالَةَ الحَطَبِ، فِي جِيدِهَا حَبْلٌ مِن مَّسَدٍ﴾[4] نزل ذلك وهما حيان سليمان، وماتا على كفرهما وكان قوم يقولون مثل قول أبي لهب ويؤذون أذاه ممن علم أنَّه سيسلم، فلم ينـزل فيهم قـرآن، ولم يختم عليهم بعـذاب، وقـال في: ﴿لاَ أُقْسِمُ﴾[5] ﴿أَوْلَى لَكَ فَأَوْلَى﴾[6] نزلت في أبي جهل، فقـال أبو جهـل يهددني رب محمد وأنا أعز أهل البطحاء، وأكرم، فنزل في: ﴿حم، الدخان﴾[7] في هذا من قوله في هزئه بالزقوم[8] فقال: ﴿إِنَّ شَجَرَةَ الزَّقُّومِ﴾[9] إلى قوله: ﴿ذُقِّ أَنَّكَ أَنْتَ العَزِيزُ الكَرِيمُ﴾[10] بزعمك وهو يومئذ حي سليم ومن ذلك

---

(١) هو عبد مناف بن عبد المطلب بن هاشم بن قريش، أبو طالب، والد علي (رضي اللّه عنه) وعم النبي ـ صلى الله عليه وسلم ـ وكافله ومربيه كان من أبطال بني هاشم ولد عام ٨٥ ق هـ وتوفي عام ٣ ق هـ نشأ النبيّ في بيته، وسافر معه إلى الشام في صباه، ولما أظهر الدعوة إلى الإسلام، وقف أبو طالب بجانبه واستمر على ذلك حتى توفي أبو طالب راجع طبقات ابن سعد ١: ٧٥ وابن الأثير ٢: ٣٤ وشرح الشواهد ١٣٥ والخميس ١: ٢٩٩ وخزانة البغدادي ١: ٢٦١.

(٢) سورة ص آية رقم ٥.

(٣) سورة ص آية رقم ١١.

(٤) سورة المسد كاملة.

وقد اتفق رجال التفسير والحديث على أنَّ هذه السورة نزلت في أبي لهب قال ذلك الإمام ابن كثير في تفسيره وقاله الإمام القرطبي، وقاله الفخر الرازي، وقاله صاحب أسباب النزول الإمام الواحدي.

(٥) سورة القيامة آية رقم (١) وتكملة الآية (بيوم القيامة) وقد جاءت في المطبوعة محرفة حيث نسب الآية إلى سورة الإنسان.

(٦) سورة القيامة آية رقم ٣٤.

(٧) سورة الدخان آية رقم ١.

(٨) عبارة عن أطعمة كريهة في النار، ومنه استعير زقم فلان، وتزقم إذا ابتلع شيئاً كريهاً.

(٩) سورة الدخان آية رقم ٤٣.

(١٠) سورة الدخان آية من ٤٣ ـ ٤٩.

قوله: ﴿إِنَّا كَفَيْنَاكَ الْمُسْتَهْزِئِينَ﴾[١] نزلت في أربعة رجال معروفين: الوليد بن المغيرة المخزومي[٢]، والعاص بن وائل[٣] السهمي والأسود بن المطلب الأسدي والأسود بن عبد يغوث الزهري، وقال بعضهم في المستهزئين كانوا خمسة، وبعضهم يقول إنَّ كفار مكة هم المستهزئون واللّه أعلم، فأمات اللّه كل واحد منهم ميتة معروفة، وكفاهم رسول اللّه صلى الله عليه وسلم كما وعده، وصيرهم إلى النار، فلم يسلم منهم أحد، وفي الوليد بن المغيرة، أنـزل اللّه: ﴿ذَرْنِي وَمَنْ خَلَقْتُ وَحِيداً، وَجَعَلْتُ لَهُ مَالاً مَّمْدُوداً، وَبَنِينَ شُهُوداً وَمَهَّدتُ لَهُ تَمْهِيدَا، ثُمَّ يَطْمَعُ أَنْ أَزِيدَ﴾[٤] فلم يزده مالاً ولا ولداً بعد هذا، إلى قوله: ﴿سَأُصْلِيه سَقَرَ﴾[٥] نزل ذلك فيه وهو حي سليم، ثمّ مات كافراً، ومن ذلك قول العاص بن وائل السهمي إنَّ محمداً أبتر لا ذكر له، وإذا مات انقطع ذكره، فأنزل اللّه تعالى: ﴿انَّ شَانِئَكَ هُوَ الأَبْتَرْ﴾[٦]، وفيه

---

(١) سورة الحجر آية رقم ٩٥.

(٢) هو الوليد بن المغيرة بن عبداللّه بن عمرو بن مخزوم أبو عبد شمس: من قضاة العرب في الجاهلية، ومن زعماء قريش ومن زنادقتها يقال له: «العدل» لأنَّه كان عدل قريش كلها كانت قريش تكسو البيت جميعها والوليد يكسو وحده وكان ممن حرم الخمر في الجاهلية، وضرب ابنه هشاماً على شربها وأدرك الإسلام فعداه وقاوم دعوته مات بعد الهجرة بثلاثة أشهر ودفن بالحجون، وهو والد سيف اللّه خالد بن الوليد.

راجع الكامل لابن الأثير ٢: ٢٦ واليعقوبي ١: ٢١٥ ورغبة الأمل ٥: ٢٩ وراجع المجر ١٧٤، ٢٣٧، ٣٣٧.

(٣) العاص بن وائل السهمي: لم نعثر له على ترجمة وافية فيما رجعنا إليه من مراجع.

(٤) انفق العلماء ورجال التفسير على أنَّ المقصود بهذه الآيات الوليد بن المغيرة.

قاله صاحب الدر المنثور ٦: ٢٨٢ وصاحب المستدرك ٢: ٦، ٧ والإمام الطبري ٢٩: ٩٦، والقرطبي ١٩: ٧٢ والإمام البغوي ٧: ١٤٦ وابن كثير ٤: ٤٤٣ وصاحب أسباب النزول الإمام الواحدي.

(٥) سورة المدثر الآيات من ١١ إلى ٢٦ وقد سقطت من بين الآيات في المطبوعة (ومهدت له تمهيداً) الآية ١٤ من السورة وبعدها الآية ١٥.

(٦) سورة الكوثر آية رقم ٣.

ولقد قال ابن عباس، ومجاهد، وسعيد بن جبير، وقتادة نزلت في العاص بن وائل.

وقال محمد بن إسحاق عن يزيد بن رومان قال: كان العاص بن وائل إذا ذكر رسول اللّه ـ صلى الله عليه وسلم ـ يقول: دعوه فإنَّه رجل أبتر لا عقب له فإذا أهلك انقطع ذكره فأنزل اللّه هذه السورة. وقال شمر بن عطية نزلت في عقبة بن معيط.

راجع تفسير ابن كثير ٤: ٥٥٩ وتفسير ابن جرير ٣٠: ٣٢٨ ـ ٣٢٩.

أيضاً أنزل اللّه: ﴿**أَفَرَأَيْتَ الَّذِي كَفَرَ بِآيَاتِنَا وَقَالَ لأُوتَيَنَّ مَالاً وَوَلَداً**﴾[1] إلى قوله: ﴿**وَنَرِثُهُ مَا يَقُولُ ـ من المال والولد ـ وَيَأْتِينَا فَرْداً**﴾[2]، أنزل اللّه تعالى فيه ذلك، وهو حي سليم، فمات على كفره كما قال اللّه، وأنزل اللّه في الأخنس بن شريق الثقفي، حليف بني زهرة: ﴿**وَيْلٌ لِّكُلِّ هُمَزَةٍ لُّمَزَةٍ**﴾[3] إلى قوله: ﴿**لَيُنْبَذَنَّ فِي الحُطَمَةِ**﴾[4]، وفيه أيضاً ﴿**وَلاَ تُطِعْ كُلَّ حَلاَّفٍ مَّهِينٍ هَمَّازٍ مَّشَّاءٍ بِنَمِيم، مَّنَّاعٍ لِلخَيْرِ مُعْتَدٍ أَثِيمٍ، عُتُلٍ بَعْدَ ذَلِكَ زَنِيمٍ**﴾[5] وفي النضر بن الحارث[6] أخي بني عبد الدار ويقال أنَّه: لم ينزل في مشركي قريش ما نزل فيه، وكان شديد الرد على اللّه ورسوله، وقد كان ورد الحيرة ووجد بها أحاديث عن رستم، واسفنديار، والفرس، فاشتراها وقدم بها مكة، فكان النبيّ صلى الله عليه وسلم ، إذ قام من مقعده خلفه فيه النضر يحدثهم بتلك الأحاديث ويقول: حديث محمد عن عاد، وثمود، والأمم، وأنا أحدث أحسن من هذا، فأنزل اللّه في سورة لقمان: ﴿**وَمِنَ**

---

(١) سورة مريم آية رقم ٧٧.

(٢) سورة مريم آية رقم ٨٠.

(٣) سورة الهمزة آية رقم ١.

(٤) سورة الهمزة آية رقم ٤.

(٥) سورة القلم الآيات من ١٠ إلى ١٣ وقد جعلها في المطبوعة آية واحدة فقط رقم ١٣.

(٦) هو النضر بن الحارث بن علقمة بن كلدة بن عبد مناف من بني عبد الدار من قريش، صاحب لواء المشركين ببدر، كان من شجعان قريش ووجوهها ومن شياطينها (كما يقول ابن إسحاق) له اطلاع على كتب الفرس وغيرهم قرأ تاريخهم في الحيرة، وقيل: هو أول من غنّى على العود بألحان الفرس، وهو ابن خالة النبيّ ـ صلى الله عليه وسلم، ولما ظهر الإسلام استمر على عقيدة الجاهلية، وآذى رسول اللّه صلى الله عليه وسلم ـ كثيراً ـ شهد وقعه «بدر» مع مشركي قريش فأسره المسلمون وقتلوه بالأثيل (قرب المدينة) بعد انصرافهم من الوقعة وهو أبو «فتيلة» صاحبة الأبيات المشهورة التي منها:

ما كان ضرك لو مننت وربما ... منَّ الفتى وهو المغيظ المحنق

راجع الكامل لابن الأثير ٢: ٢٦ وزهر الآداب ١: ٣٣، ٣٤ ومعجم البلدان ١: ١١٢ ومطالع البدور ١: ٢٣٢ وجمهرة الأنساب ١١٧ والبيان والتبيين ٤: ٤٤،٤٣ ونهاية الأرب للنويري ١٦: ٢١٩ ٢٣٠، ٢٧١.

النَّاسِ مَنْ يَشْتَرِي لَهْوَ الحَدِيثِ لِيُضِلَّ عَنْ سَبِيلِ اللّهِ بِغَيْرِ عِلْمٍ، وَيَتَّخِذَهَا هُزُوًاً، أُوْلَئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ مُّهِينٌ، وَإِذَا تُتْلَى عَلَيه آيَاتُنَا وَلَّى مُسْتَكْبِراً كَأَنْ لَّمْ يَسْمَعْهَا، كَأَنَّ فِي أُذُنَيه وَقْراً، فَبَشِّرْهُ بِعَذَابٍ أَلِيمٍ﴾[1] وفي الحج أيضاً: ﴿وَمِنَ النَّاسِ مَنْ يُجَادِلُ فِي اللّهِ بِغَيْرِ عِلْمٍ، وَلاَ هُدًى وَلاَ كِتَابٍ مُنِيرٍ، ثَانِيَ عِطْفِهِ﴾[2] أي صاد بوجهه ﴿لِيُضِلَّ عَنْ سَبِيلِ اللّه لَهُ فِي الدُّنْيَا خِزْيٌ وَنُذِيقُهُ يَوْمَ القِيَامَةِ عَذَابَ الْحَرِيقِ﴾[3] الخزي في الدنيا أنَّه قتل ببدر، وفي الجاثية فيه ﴿وَيْلٌ لِكُلِّ أَفَّاكٍ أَثِيمٍ، يَسْمَعُ آيَاتِ اللّهِ تُتْلَى عَلَيْهِ ثُمَّ يُصِرُّ مُسْتَكْبِراً، كَأَن لَّمْ يَسْمَعْها، فَبَشِّرْهُ بِعَذَابٍ أَلِيمٍ، وَإِذَا عَلِمَ مِنْ آيَاتِنَا شَيْئاً اتَّخَذَها هُزُواً، أُوْلَئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ مُّهِينٌ، مِّنْ وَرائِهِم جَهَنَّمُ﴾[4]، نزل هذا كله فيه وهو حي سليم[5]، فالعذاب المهين الأسر والقتل ببدر، قال ابن إسحق[6] والعامة تزعم أنَّ النبيّ صلى الله عليه وسلم ضرب عنقه صبراً، وغير هؤلاء يذكر أنه

---

(١) سورة لقمان آية رقم ٦، ٧ وفي المطبوعة ذكر أنها آية رقم ٧ فقط وهذا خطأ.

(٢) سورة الحج آية رقم ٨، ٩ وتكملة الآية ﴿ليضل عن سبيل اللّه له في الدنيا خزي ونذيقه يوم القيامة عذاب الحريق﴾.

(٣) سورة الحج آية رقم ٩.

(٤) سورة الجاثية من الآيات ٧ إلى ١٠ وتكملة الآية العاشرة ﴿ولا يغني عنهم ما كسبوا شيئاً ولا ما اتخذوا من دون اللّه أولياء ولهم عذاب عظيم﴾.

(٥) وأيضاً نزل فيه قول اللّه تعالى: ﴿وإذا تتلى عليهم آياتنا قالوا قد سمعنا لو نشاء لقلنا مثل هذا إنَّ هذا إلاَّ أساطير الأولين.﴾ سورة الأنفال الآيات ٢١، ٣٢.

قال ذلك الإمام ابن كثير في التفسير ٢: ٣٠٤ والإمام القرطبي ٧: ٣٩٧ وصاحب الدر المنثور ٣: ١٨١ وصاحب سيرة ابن هشام ١: ٣٢٠ وصاحب أسباب النزول ١٣٥.

(٦) هو محمد بن إسحاق بن يسار المدني من أقدم مؤرخي العرب من أهل المدينة. له السيرة النبوية هذبها ابن هشام ومن الأصل أجزاء مخطوطة كتبت سنة ٥٠٦ هـ في خزانة القرويين بفاس وكتاب الخلفاء، وكتاب المبدأ، وكان قدريا، ومن حفاظ الحديث زار الإسكندرية سنة ١١٩ وسكن بغداد فمات بها ودفن بمقبرة الخيزران أم الرشيد عام ١٥١ هـ.

راجع تهذيب التهذيب ٩: ٣٨ وطبقات ابن سعد وإرشاد الأريب ٦: ٣٩٩ وتذكرة الحفاظ ١: ١٦٣ والوفيات ١: ٤٨٣ وميزان الاعتدال ٣: ٢١ وتاريخ بغداد ١: ٢١٤ ـ ٢٣٤.

أسر يوم بدر، وقد أثبته جراحه وأنَّ السيف ذهب بقحف[1] رأسه، فقال: لا أذوق لهم طعاماً ولا شراباً ما دمت في أيديهم، فمات وصار إلى النار، فأي ذلك كان فقد أذاقه اللّه الخزى في الدنيا، وصار إلى النار، وقال النضر بن الحارث أيضاً: إنَّ الملائكة بنات الرحمن فلما أنزل اللّه: ﴿**قُلْ إنْ كَانَ لِلرَّحْمَنِ وَلَدٌ فَأَنَا أَوَّلُ العَابِدينَ**﴾[2]، قال ألا ترون أنَّه صدقني فقال أمية بن خلف[3]، وكان أفصح منه: ما صدقك، ولكنه كذبك، فقال: ما كان للرحمن ولد، قال: فضحك النضر، وقال أيضاً: ﴿**اللَّهُمَّ إنْ كَانَ هَذَا هُوَ الحَقَّ مِنْ عِندِكَ، فَأَمْطِرْ عَلَيْنَا حِجَارَةً مِنَ السَّماءِ أَو أْتِنَا بِعَذَابٍ أَليم**﴾[4]، فأنزل اللّه: ﴿**وَمَا كَانَ اللّهُ لِيُعَذِّبَهُمْ وَأَنْتَ فِيهِمْ، وَمَا كَانَ اللَّهُ مُعَذِّبَهُمْ وَهُمْ يَسْتَغفِرُونَ**﴾[5] وعن الحسن أنَّه قال: لم يعذب اللّه أمة حتى يخرج اللّه نبيئها من بين أظهرها، ولم يعذب أمة وفيها من يتوب في علمه فقوله: ﴿وهم يستغفرون﴾ أي وهم يتوبون: وقال أيضاً: ﴿**وَعَدَ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا مِنكُمْ وَعَمِلوا الصَّالِحَاتِ لَيَسْتَخْلِفَنَّهُمْ فِي الأَرْضِ كَمَا اسْتَخْلَفَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ وَلَيُمَكِّنَنَّ لَهُمْ دِينَهُمُ الَّذِي ارْتَضَى لَهُمْ، وَلَيُبَدِلَنَّهُمْ مِّنْ بَعْدِ خَوْفِهِمْ أَمْناً، يَعْبِدُونَنِي لاَ يُشْرِكُونَ بِي شَيْئاً، وَمَن كَفَرَ بَعْدَ ذَلِكَ، فَأُولَئِكَ هُمُ الفَاسِقُونَ**﴾[6] فصدقت أخبار اللّه، وتمت على ما أخبر به، وظهر دين اللّه

---

(١) القحف: الجمجمة، أو ما انفلق وبان منها.

(٢) سورة الزخرف آية رقم ٨١.

(٣) هو أمية بن خلف بن وهب من بني لؤي، أحد جبابرة قريش في الجاهلية، ومن ساداتهم، أدرك الإسلام ولم يسلم، وهو الذي عذب بلالاً مؤذن الرسول ـ صلى الله عليه وسلم ـ حتى كانت غزوة بدر أسره عبد الرحمن بن عوف ـ رضي اللّه عنه ـ فرآه بلال فصاح بالناس ـ رأس الكفر أمية بن خلف لا نجوت إن نجا وقتله عام ٢ هـ.

راجع سيرة ابن هشام ٢: ٥٢ والكامل لابن الأثير ٢: ٤٨ وعيون الأثر ١: ٢٥٩ ورجال أنزل اللّه فيهم قرآناً ٤: ٣١١.

(٤) سورة الأنفال آية رقم ٣٢.

(٥) سورة الأنفال آية رقم ٣٣.

(٦) سورة النور آية رقم ٥٥.

على من خالفه من الأديان. واستخلف اللّه أهل دينه في الأرض، كما استخلف الذين من قبلهم، ومكن لهم دينهم الذي ارتضى لهم وبدلهم من بعد الخوف أمناً، كما وعده في كتابه فهذا وأشباهه من أخبار القرآن دلالة واضحة وحجة ظاهرة، وشهادة عادلة. مما لا يقدر مكذب أن يقدح فيه، ولا مشغب أن يحتال على صدق النبيّ صلى الله عليه وسلم ، وصحة نبوته، والحمد للّه رب العالمين.

ثمّ لرسول الله صلى الله عليه وسلم بعد ذلك أخبار ظاهرة أخبر بها قبل كونها، وأمور غائبة لا سبيل إلى علمها إلاّ بوحي من الله، فكان الأمر في جميعها على ما قال عليه السلام، فمن ذلك ما أخبر به صلّى الله عليه وسلّم، أنه أسرى به من المسجد الحرام إلى المسجد الأقصى[١]، وأنه مضى ورجع من ليلته وجعل رسول الله يصف لهم بيت المقدس، لا يغادر من صفته شيئاً، قال لهم: وآية ذلك أني مررت في طريقي بعير لبني فلان، فضَّل لهم بعير فدللتهم عليه، وأني مررت في طريقي بعير بني فلان، والقوم نيام، فوجدت لهم إناءً مملوءاً قد غطوه، فشربت ما فيه ورددت عليه غطاءه وهي الآن تطلع عليكم من ثنية كذا، يقدمها جمل أورق[٢] عليه غرارتان إحداهما سوداء والأخرى زرقاء، فابتدر المشركون الثنية[٣]، فوجدوا أمر البعير كما قال لهم رسول الله صلّى الله عليه وسلّم، وسألوا أهل البعير، عن أمر الإناء، فأخبروا أنهم غطوا الإناء مملوءاً، وأنهم وجدوه فارغاً، وعليه غطاؤه ثم جاءت البعير الأخرى

---

(١) قال تعالى: ﴿سبحان الذي أسرى بعبده ليلاً من المسجد الحرام إلى المسجد الأقصى الذي باركنا حوله لنريه من آياتنا إنه هو السميع البصير﴾.

(٢) جمل أورق أي لا زال في مقتبل العمر والفتوة وفي لونه سواد إلى بياض وقال أبو عبيد الأورق أطيب الإبل لحماً وأقلها شدّة على العمل والسير. وأورق الشجر أخرج ورقه قال الأصمعي: يقال (ورق) الشجر و(أورق) والألف أكثر، ورَّق أيضاً (توريقاً) والوارقة: الشجرة الخضراء الورق الحسنة. ويقال للحمامة ورقاء لأن في لونها بياض إلى سواد.

(٣) الثنية: واحدة (الثنايا) وهي أيضاً الطريق.

فسألوا أهلها عن البعير الناد[١] لهم فأخبروا به، كما أخبر رسول الله صلّى الله عليه وسلّم.[٢]

ومن ذلك أخباره بما يفتح الله على المسلمين من فارس والروم، وبأن كنوز كسرى ملك الفرس، وقيصر ستنفق في سبيل الله، ولذلك قال بعض المنافقين يوم الخندق: يعدنا محمد كنوز كسرى وقيصر، وأحدنا لا يأمن أن يذهب لحاجته[٣]، وفي ذلك قال الله: ﴿وَإِذْ يَقُولُ الْمُنَافِقُونَ وَالَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ مَّرَضٌ، مَّا وَعَدَنَا اللَّهُ وَرَسُولُهُ إِلاَّ غُرُوراً﴾[٤] فكان الأمر في جميع ذلك كما وعد رسول الله صلّى الله عليه وسلّم، ولذلك كتب عمر بن الخطاب رضي الله عنه إلى سعد[٥] بعد فتح المدائن وما والاها من بلاد الفرس، يذكره نعم الله عزّ وجلّ على أصحاب رسول الله صلّى الله عليه وسلّم، وما كانوا فيه من الجهل والفقر على عهد رسول الله صلّى الله عليه

---

(١) البعير الناد: أي البعيد الذي توغل بعيداً عن القافلة.

(٢) هذا جزء من حديث رواه أبو يعلى في مسنده عن محمد بن إسماعيل الأنصاري عن ضمرة بن ربيعة عن يحيى بن أبي عمرو الشيباني عن أبي صالح عن أم هانئ، ورواه الحافظ أبو القاسم الطبراني من حديث عبد الأعلى بن أبي المساور عن عكرمة عن أم هانئ ورواه ابن كثير في تفسيره كاملاً ٣:٢٢.

(٣) الذي تكلّم بهذا الكلام معتب بن قشير، وأوس بن قيظي، وغيرهما من المنافقين.

(٤) سورة الأحزاب آية رقم ١٢.

وقال ابن أبي حاتم: «حدّثنا أحمد بن عاصم الأنصاري، حدّثنا أبو عامر وحدّثنا أبي حدّثنا أبو عامر العقدي، حدّثنا الزبير ـ يعني ابن عبدالله مولى عثمان ـ رضي الله عنه عن ربيع بن عبد الرحمن بن أبي سعيد عن أبيه عن أبي سعيد ـ رضي الله عنه قال: قلنا يوم الخندق يا رسول الله ـ هل من شيء نقول فقد بلغت القلوب الحناجر..؟ قال ـ صلى الله عليه وسلم : نعم؛ قولوا اللّهم استر عوراتنا، وآمن روعاتنا، قال: فضرب وجوه أعدائه بالريح فهزمهم الريح». وكذا رواه الإمام أحمد بن حنبل عن أبي عامر العقدي.

(٥) هو سعد بن أبي وقاص مالك بن أهيب بن عبد مناف القرشي الزهري أبو إسحاق الصحابي الأمير، فاتح العراق، ومدائن كسرى، وأحد الستّة الذين عينهم عمر للخلافة، وأول مَن رمى بسهم في سبيل الله وأحد العشرة المبشرين بالجنة، أسلم وعمره ١٧ عاماً وشهد بدراً وفتح القادسية، ونزل أرض الكوفة، توفي عام ٥٥هـ له في كتب الحديث ٢٧١ حديثاً. راجع الرياض النضرة ٢:٢٩٢ ـ ٣٠١ وتاريخ الخميس ١:٤٩٩ والتهذيب ٣:٤٨٣ والبدء والتاريخ ٥:٨٤ وطبقات ابن سعد ٦:٦ والإصابة ت ٣١٨٧.

وسلّم، ثم يقول له: ومحمد رسول الله بين أظهرنا على تلك من حالنا، يقسم لنأخذن كنوز كسرى وقيصر، فنافق من قوله ذلك منافقون، فأبقاك الله حتى رأيت ذلك بعينك ووليته بنفسك، ورأيناه معك، وقال الله عزّ وجلّ: ﴿**يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لا تَتَّخِذُوا عَدُوِّي وَعَدُوَّكُمْ أَوْلِيَاءَ تُلْقُونَ إِلَيْهِمْ بِالْمَوَدَّةِ**﴾[1] نزلت[2] في حاطب بن أبي بلتعة[3] حليف بني أسد حين أراد رسول الله صلّى الله عليه وسلّم الخروج إلى مكة فكتب إليهم حاطب مع امرأة من أهل مكة فلحقها علي، والزبير، فوجدا الكتاب معها فأتيا به النبيّ صلّى الله عليه وسلّم، فسأل رسول الله حاطباً، فاعترف بما فعل من ذلك، وقال عزّ وجلّ: ﴿**فَتَرَى الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ مَّرَضٌ يُسَارِعُونَ فِيهِمْ يَقُولُونَ نَخْشَى أَنْ تُصِيبَنَا دَائِرَةٌ**﴾[4] نزلت في عبدالله بن أبي بن سلول[5] حين هم رسول الله بقتل قينقاع، وكانوا حلفاء الخزرج، فقال عبدالله: إني امرؤ أخاف الدوائر يعني أمر النبيّ عليه السلام، فأنزل الله في عبدالله بن أبي بن سلول ذلك.

---

(١) سورة الممتحنة آية رقم ١.

(٢) قال ذلك الإمام ابن كثير في التفسير ٣٤٤:٤ وصاحب الدر المنثور ٢٠٣:٦ ـ ٢٠٥ والإمام القرطبي ٥٠:١٨ ـ ٥٢ والإمام الطبري ٣٨:٢٨ ـ ٤٠ والخازن والبغوي ٦٢:٧ ـ ٦٣ والإمام الواحدي ص ٤٤٧.

(٣) هو حاطب بن أبي بلتعه اللخمي، صحابي: شهد الوقائع كلها مع رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ وكان من أشدّ الرماة، وكانت له تجارة واسعة، بعثه النبيّ ـ صلّى الله عليه وسلّم ـ بكتابه إلى المقوقس صاحب الإسكندرية، ومات في المدينة عام ٣٠ هـ وكان أحد فرسان قريش وشعرائها في الجاهلية. راجع الإصابة ١ : ٣٠٠ والأعلام ١٥٩:٢ والاستيعاب في معرفة الأصحاب ٢٥٦:٢.

(٤) سورة المائدة آية رقم ٥٢ وتكملة الآية ﴿فعسى الله أن يأتي بالفتح أو أمر من عنده فيصبحوا على ما أسروا في أنفسهم نادمين﴾.

(٥) هو عبدالله بن أبي بن مالك بن الحارث أبو الحباب المشهور بابن سلول وسلول جدته لأبيه، من خزاعة، رأس المنافقين في الإسلام من أهل المدينة، كان سيد الخزرج في آخر جاهليتهم، وأظهر الإسلام بعد وقعة بدر. وكان كلّما نزل بالمسلمين نازلة شمت بهم.وكلّما سمع بسيّئة نشرها، وله في ذلك أخبار، ولّما مات تقدّم النبيّ ـ صلى الله عليه وسلم ـ فصلّى عليه فنزل قول الله تعالى: ﴿ولا تصلِّ على أحد منهم مات أبداً﴾. وكان ذلك عام ٩هـ. راجع تاريخ الخميس ١٤٠:٢ وإمتاع الأسماع ١: ٩٩، ١٠٥، ١٢٠، ١٦٥، ٤٤٩، ٤٥٠ وطبقات ابن سعد القسم الثاني من الجزء الثالث ٩٠ وجمهرة الأنساب ٣٣٥.

وقال عزّ وجلّ: ﴿يَا أَيُّها الَّذِينَ آمَنُوا لاَ تَخُونُوا اللَّهَ وَالرَّسُولَ وَتَخُونُوا أَمَانَاتِكُمَ وَأَنْتُمْ تَعْلَمُونَ﴾[1] نزلت في أبي لبابة[2] حين أتى بني قريظة، وما تكلّم مع ذلك إلاّ إيماء، ومما يدل على نبوّته صلّى الله عليه وسلّم، أعلام ظهرت عليه، ومعجزات اتفقت له سوى ما ذكرناه منها أنه صلّى الله عليه وسلّم، أوتي بكف من تمر يوم الخندق، وكانت شدّة ومجاعة، فطعم منه أصحابه، وملأ من النـاس يأتـون ويذهبـون، والتمر يفيض من أطـراف الثوب، ومنهـا نزولـه والمسلمون عام الحديبية على ماء قليل حين غرز فيه سهماً، من كنانته، وفارت البئر حتى استوى ماؤها بشفير البئر، واغترف الناس منها اغترافاً، ومثل ذلك ما جرى له صلّى الله عليه وسلّم في غزوة تبوك وقد كانوا أيضاً عام الحديبية أصابهم جوع شديد حتى هموا بالظهر، فدعا رسول الله صلّى الله عليه وسلّم بالإنطاع[3]، فبسطت وألقى في الإنطاع باقي أزودتهم[4] فدعا فيه النبيّ صلى الله عليه وسلم وبارك عليه فأتى الناس بأوعيتهم فملأوها حتى إن منهم مَن أخذ ما لا يجد له محملاً.

ومنه كلام الذئب إيّاه، وكلام البعير، وكلام الذراع المسموم حين أتت به امرأة سلام بن مشكم، واسمها زينب بنت الحارث، من اليهود، وقد دعا صلّى الله عليه وسلّم غير مرة إلى طعام، فدعا جماعات كثيرة مما لا يحتملهم أضعاف

---

(١) سورة الأنفال آية رقم ٢٧.

(٢) قاله صاحب الإصابة ١٦٧:٤ وصاحب سيرة ابن هشام ٢٤٧:٣ وصاحب الروض الأنف ١٩٦:٢ وصاحب الدر المنثور ١٧٨:٣ وتفسير الطبري ٤٨١:١٣ وتفسير ابن كثير ٣٠٠:٢ وتفسير البغوي والخازن ٢٠:٣ والإمام الواحدي صاحب كتاب أسباب النزول ١٣٤.
وهو أبو لبابة بن عبد المنذر الأنصاري، وزوجه خنساء بنت خدام الأنصارية ـ وهي من الأوس وابنته لبابة وبها كان يكنى تزوجها زيد بن الخطاب ـ رضي الله عنه ـ ولقد أسلم مبكراً على يد مصعب بن عمير. راجع الاستيعاب في معرفة الأصحاب ١٨٢٦:٤ وسيرة ابن هشام ٤٩:٢ ورجال أنزل الله فيهم قرآنا ٢٩٩:١ ـ ٣٠٩.

(٣) النطع فيه أربع لغات (نَطْعٌ) كطلع و(نَطَعٌ) كتبع (ونِطْعٌ) كدرع و(نِطَعٌ) كضلع والجمع (نطوع) وأنطاع وتنطع في الكلام تعمق.

(٤) جمع زاد ويجمع الزاد على أزودة على غير قياس ومنه حديث أبي هريرة رضي الله عنه (ملأنا أزودتنا).

ذلك الطعام، فأكلوا منه جميعاً، وصدروا فكفاهم في أشياء مثل هذا كثير من الأمور المشهورة عنه صلّى الله عليه وسلّم، وقد علم الموافق والمخالف، والوافر والناقص، أن رسول الله صلّى الله عليه وسلّم كان من أكمل الناس رأياً، وأصحهم تدبيراً، والمؤمنون يجعلون ذلك من وصفه لباس نبوة خصه الله بها، والملحدون وأهل الملل الزائغة يجعلون ذلك ذريعة إلى وصفه بلطف الحيلة، وشدّة التمويه على الناس، وليس يجوز من إنسان عاقل كامل قصده التمويه[1]، كما زعموا أن يؤكد أخباره عن الغيوب فيما لا يأمن أن لا يتفق له الأمر فيه، كما يقول، فيكون ذلك سبب انتقاض أمره، أو يقول لهم الدليل على صحة قولي أن أحداً منكم لا يتهيَّأ له أن يعارضني على سورة من الكتاب الذي أتيت به، وهو يعلم، ولا يأمن أن ينتدب له بعض الناس فيفضحه، ويهتكه، وليس يحمل نفسه على مثل هذا إلاّ أجهل الناس وأقلهم معرفة، وذلك مخالف لصفة رسول الله صلّى الله عليه وسلّم عند كل عاقل، ولو حمل نفسه على ذلك لم تتفق له السلامة في جميع ما وصفنا وعددنا.

فهذا باب إذا فكر فيه العالم علم أن الأمر فيه على ما قلنا. ووجه آخر أن هذه العلامات التي نقلها جل أصحاب رسول الله صلّى الله عليه وسلّم، وكتبها من بعدهم العلماء في سيرهم، مما لا يجوز الاتفاق عليه، ولا على السكوت عن تكذيبها، لو كانت على ما زعم أهل التكذيب، فضلاً عن التصديق لها ولو جاز ذلك لجاز أن ينقل أحد من الناس عن أصحاب رسول الله صلّى الله عليه وسلّم أن يكون راوٍ منهم يروي أن من أعلام رسول الله فلق البحر، وانقلاب العصا حية، فلا ينكر ذلك عليه المسلمون، ولا يكذبونه لأن فيه تأكيداً للإسلام، وزيادة في أعلام النبيّ صلّى الله عليه وسلّم، وهذا وجه بيّن لمن تدبره، والحمد لله ربّ العالمين.

---

(١) موه الشيء (تمويهاً) طلاه بفضة أو ذهب وتحت ذلك نحاس أو حديد ومنه (التمويه) وهو التلبيس وتغيير الحقائق.

القول في نسخ[1] الشرائع والرد على اليهود في ذلك:

ولليهود في نسخ الشرائع مقالان بعد أطباقهم على أن حكم التوراة لا ينسخ أبداً، فقال بعضهم إن ذلك غير جائز في حكم العقول، ويزعم أن في إجازته إجازة البداء،[2] على الله، واستحداث العلم بأمر لم يكن عالماً بعاقبته، وقال البعض الآخر: إن النسخ لا يفسد من هذه الجهة، ولكن موسى عليه السلام قد وقف الناس على أن شريعة التوراة لا تنسخ، وأن السبت لا يجوز أن يحل أبداً.

ويقال للذين أبوا النسخ، ولم يجوزوه من جهة فساده في العقل، والوصف له تبارك وتعالى بما لا يجوز أن يوصف به، أخبرونا عن تحريم السبت،[3] هل هو تحريم لغيره من الأيام؟ فإن قالوا: لا، قيل لهم وكيف

---

(١) النسخ: إزالة شيء بشيء يتعقبه، كنسخ الشمس الظل، والظل الشمس، والشيب الشباب، فتارة يفهم منه الإزالة، وتارة يفهم منه الإثبات، وتارة يفهم منه الأمران. ونسخ الكتاب إزالة الحكم بحكم يتعقبه قال تعالى: ﴿ما ننسخ من آية أو ننسها نأتِ بخير منها﴾ سورة البقرة آية ١٠٦ قيل معناه ما نزل العمل بها أو نحذفها من قلوب العباد. وقيل معناه ما نوجده وننزله من قولهم نسخت الكتاب وقال تعالى: ﴿فينسخ الله ما يلقي الشيطان﴾ سورة الحج آية ٥٢ ونسخ الكتاب نقل صورته المجردة إلى كتاب آخر، وذلك لا يقتضي إزالة الصورة الأولى بل يقتضي إثبات مثلها في مادة أخرى. وقد يعبّر بالنسخ عن الاستنساخ قال تعالى: ﴿إنا كنا نستنسخ ما كنتم تعملون﴾ والله أعلم.

(٢) البداء: بدأ الشيء وأبدأه أنشأه واخترعه، والبداءة: بالهمزة وهو الصواب.

وبدا لي في الأمر: أي تغير رأيي فيه عما كان قاله التبريزي ونقله الزركشي عن صاحب «المحكم» عن سيبويه.

والبداء في وصف الباري تعالى محال لأن منشأه الجهل بعواقب الأمور. ولا يبدو له تعالى شيء كان عنه غائباً. وكان يقول به المختار بن أبي عبيد الثقفي ويجيءُ بدا بمعنى أراد كما في حديث الأقرع، والأعمى، والأبرص. بدا الله: أي أراد. والله أعلم. وراجع المقالات للأشعري ١:٣٩ والملل والنحل ١:٢٣٨. ويقول ابن حزم البداء: من صفات من يهم بالشيء ثم يبدو له غيره وهذه صفة المخلوقين لا صفة مَن لم يزل ولا يخفى عليه شيء في المستأنف. الفصل في الملل والأهواء والنحل ١:٢٥٩.

(٣) قال تعالى: ﴿ولقد علمتم الذين اعتدوا منكم في السبت﴾ البقرة آية ٦٥ وقال تعالى: ﴿فنردها على أدبارها أو نلعنهم كما لعنا أصحاب السبت﴾ سورة النساء آية ٤٧، وقال تعالى: ﴿وقلنا لهم لا تعدوا في السبت وأخذنا منهم ميثاقاً غليظاً﴾ سورة النساء آية ١٥٤.

جوزتم أن يحرّم في يوم ما يحلّ في غيره من الأيام، ولم تجوزوا أن يحرّم في شهر وفي دهر ما يحلّ في غيره من الشهور والدهور، في شريعة واحدة، على لسان نبي واحد؟ وكيف إذا كان ذلك في شرائع شتى، على ألسنة أنبياء شتى؟ وهل الذي أنكرتم علينا من تحريم شيء بعد تحليل، وتحليله بعد تحريم، إلاّ مثل هذا الذي قلتم في السبت دون غيره من الأيام سواء؟ وهذا مما لا يخفى عن كل ذي لب.

ويقال لهم: أوليس الله جل جلاله، قد خالف بين أحوال الناس وأحوال أزمانهم فأحيا شيئاً مدة ثم أماته، وجعل شيئاً مواتاً مدة، ثمّ أحياه، وجعل ليلاً ونهاراً وشتاء وصيفاً، يكون واحد منهما في زمان ثم ينقضي، ويجيء مكانه خلافه، ويكون الإنسان فقيراً وقتاً، وغنياً وقتاً، وصحيحاً مرة، وسقيماً مرة، في أشباه ذلك من صنوف الأشياء التي خالف الله بها بين أحوال الناس، وقدر كل شيء منها في زمان دون زمان؟ أفيجب بذلك أن يكون ما يوجد بهذا الاختلاف دليلاً على أن فاعله ذو بداوات، وأنه يريد شيئاً ثم يكرهه وأنه يستحدث علماً لشيء لم يكن به عالماً؟ فإن قالوا نعم ظهر جهلهم، ولزمهم مع ذلك أن لا ينكروا النسخ مع إجازة البداء فيه، وإن كان هذا كله لا يوجب البداء ولا يدل على خلاف العلم، ولا على أن ذلك ليس من فعل حكيم، فما الفصل بين هذا وبين اختلاف الشرائع[1] في أن لا يكون اختلافها دليلاً على البداء، أو على أنها ليست من فعل حكيم؟ هذا كلّه والتوراة التي في أيدي اليهود يقرأونها وهي تنطق بالنسخ، وتفصح به وذلك أن فيها الأخبار عن حدوث شريعة الختان[2] وشبهه، بعد أن لم يكن مشروعاً، وأن حكمه إنما

---

(١) الشرع: البيان والإظهار، والمراد بالشرع المذكور على لسان الفقهاء بيان الأحكام الشرعية، والشرع: كل فعل أو ترك مخصوص من نبي من الأنبياء صريحاً أو دلالة، فإطلاقه على الأصول الكلية مجاز وإن كان شائعاً، بخلاف الملة فإن إطلاقها على الفروع مجاز، وتطلق على الأصول حقيقة كالإيمان بالله، وملائكته، وكتبه، وغير ذلك، ولهذا لا تتبدل بالنسخ، ولا يختلف فيها الأنبياء ولا تطلق على آحاد الأصول.

(٢) الختن: كل مَن كان من قبل المرأة مثل الأب والأخ وهما (الأختان) وختنت الصبيّ من باب ضرب=

حدث بعد مولد إسحاق عليه السلام بأن يختتن المولود في اليوم الثامن من مولده، فختن إبراهيم ابنه إسحاق في اليوم الثامن من مولده، وختن نفسه في ذلك الوقت بعد أن صار شيخاً، وختن ابنه إسماعيل وهو غلام ابن بضع عشرة سنة، وختن مَن كان على مذهبه ودينه حينئذ من الناس، فصارت سنة الختان في اليوم الثامن من ولادة المولود، وهذا الذي ذكرناه منصوص عندهم في التوراة، وأيضاً فإن في التوراة عندهم الجمع بين الأختين قد كان حلالاً مطلقاً، وأن يعقوب جمع بين الأختين إلى أن حرّم الله ذلك بحكم التوراة.

وأيضاً فإنَّ في التوراة أنَّ إسرائيل جعل على نفسه لما ناله ضلع[1] في رجله من عرق النسا أن لا يأكل العروق، فصار ذلك سنة في بني إسرائيل، وقد كان إسرائيل قبل ذلك لا يجتنبها، وأيضاً فإنَّ في التوراة أنَّ الله أحل لنوح وبنيه من المآكل الأشياء كلها، إلاَّ المخنوق الذي دمه فيه، ثمّ جاءت شريعة موسى بتحريم كل ما لم يجتر، وكل ما لم يكن مشقوق الظلف. وكل هذا دليل على النسخ وعلى فساد قولهم في الامتناع من جوازه، وعلى أنَّه قد كان مباحاً لولد آدم صلى الله عليه وسلم من صلبه أن يتزوج الأخ منهم أخته، وذكر ذلك شائع في الأمم وظاهر على ألسنة الناس، ومعروف عند أهل الكتاب، والدليل عليه من التوراة حاضر يذكر، آدم وزوجته على سبيل الأخبار بأنَّهما أصلان للبشر، وأطباق أهل الكتاب على أنَّ الناس جميعاً أولاد آدم وحواء، ولا يكون ذلك كذلك إلاَّ وقد تزوج الأخ منهم أخته وبدون هذا يقع الفصل في هذا

= ونصر والاسم (الختان) و(الختانة) والختان: موضع القطع من الذكر ومنه قوله عليه السلام: «إذا التقى الختانان وجب الغسل». رواه الإمام مسلم في كتاب الحيض ٨٨ بسنده عن أبي موسى الأشعري بلفظ: «ومس الختان الختان فقد وجب الغسل». راجع صحيح الإمام مسلم والمفردات في غريب القرآن.

(١) الضِلع: بوزن العنب واحد الضلوع، والأضلاع وتسكين اللام جائز، والضالع: الجائر، والضَّلْع: بوزن الضَّرع: الميل والجنف وبابه قطع، قال رسول اللّه ـ صلى الله عليه وسلم : أعوذ بك من ضلع الدين، أي ثقل الدين. يقال ضلعك مع فلان أي ميلك معه وهواك وفي المثل: لا تنقشي الشوكة بالشوكة فإنَّ ضلعها معها.

الباب، فإن تركوا هذا القول وذهبوا إلى ما ذهب إليه قوم من اليهود أنّهم لا يمتنعون من القول بجواز النسخ[1] في الشرائع من جهة العقول ولكنهم يأبون ذلك لما في شريعة موسى عليه السلام لأنَّ فيها عهد إليهم موسى أنَّ أمرهم بالتمسك بشرائع التوراة، وتحريم السبت دائماً أبداً. يقال لهم في ذلك: من أين علمتم أنَّ موسى عهد إليكم، أنَّ حكم التوراة وتحريم السبت لا ينسخ أبداً؟ ونحن نطالبكم بالدليل على ما ادعيتموه من ذلك، فلم تأتونا إلاَّ بالدعوى بأنَّ موسى عهد إليكم، بل إنما جعلتم دعواكم هذه من أنَّ موسى عهد إليكم بما قلتم ذريعة إلى تكذيبكم بالمرسلين، وكراهية الرجوع إلى ما أتوا به من الشرائع صلّى اللّه عليهم، وهؤلاء النصارى يدعون أنَّ عيسى عليه السلام أخبرهم بأنَّ حكم التوراة منسوخ ببعثته عليه السلام وأهل ملة[2] الإسلام يقولون بأنَّ حكم التوراة منسوخ ببعثة محمد صلى الله عليه وسلم ، وهل تنفصلون من النصارى أو من أهل هذه الملة في دعواكم بفصل؟ فإن قالوا: الفصل بيننا وبينهم أنَّهم جامعونا على موسى، ولم نجامعهم على عيسى، ولا على محمد، قلنا وعلى أنَّهم جامعوكم على موسى أنَّه رسول اللّه، لم يجامعوكم على ما

---

(١) النسخ لغة: إزالة الشيء دون أن يقوم آخر مقامه، واصطلاحاً يختلف المراد منه عند عامة السلف عنه عند علماء الأصول، فهو عند أهل الأصول: رفع الحكم بجملته كرفع حكم آية الوصية بآية المواريث واختلف العلماء في تعيين المعنى الذي وضع له لفظ النسخ. فقال بعضهم إنَّه حقيقة في الإزالة مجاز في النقل، وهو رأي ابن سلامة، والحسن البصري، والرازي والبيضاوي.

وقال القفال: إنَّه مجاز في الإزالة حقيقة في النقل، وقيل مشترك بينهما وإلى ذلك ذهب الآمدي، والغزالي والباقلاني.

(٢) الملة: كالدين، وهو اسم لما شرع اللّه تعالى لعباده على لسان الأنبياء ليتوصلوا به إلى جوار الحق والفرق بينها وبين الدين أنَّ الملة لا تضاف إلاَّ إلى النبيّ عليه الصلاة والسلام الذي تسند إليه نحو ﴿فاتبعوا ملة إبراهيم﴾ سورة آل عمران آية ٩٥ ﴿واتبعت ملة آبائي﴾. سورة يوسف آية ٣٨.
ولا تكاد توجد مضافة إلى اللّه ولا إلى آحاد أمة النبيّ ـ صلى الله عليه وسلم. ولا تستعمل إلاَّ في جملة الشرائع دون آحادها، لا يقال ملة اللّه ولا يقال: ملتي وملة زيد كما يقال دين اللّه ودين زيد وأصل الملة من أمللت الكتاب قال تعالى: ﴿وليملل الذي عليه الحق.﴾ سورة البقرة آية ٢٨٢. وتقال الملة اعتباراً بالشيء الذي شرعه الله، والدين يقال اعتباراً بمن يقيمه إذا كان معناه الطاعة. والله أعلم.

أدعيتم عليه من أنَّه عهد إليكم بأنَّ حكم التوراة[1] لا ينسخ أبداً. فإن ادعوا أنَّ النقل جاءهم بذلك عن نقل لا يكذب مثله، قلنا: ومتى اتّصل لكم النقل بما أدعيتم من ذلك فيما بينكم وبين موسى عليه السلام مع ما لا تشكون فيه من غلبة (بختنصر)[2] على بيت المقدس، وتحريق أسفار التوراة، وسائر ما في أيدي بني إسرائيل من كتب التوراة ومن قتل جميع رجالهم، وسبي من سبي من صبيانهم، وحملهم إلى أقاليم بابل[3]، فكيف يصح مع هذا نقل ما نقل إليكم من ألفاظ التوراة وغير التوراة حتى تتيقنوا أنه لا زيادة فيه ولا نقصان؟ فإن قالوا: إنَّ العزيز كان ممن سباه بختنصر من صبيان بني إسرائيل فجدد اللّه عزّ وجلّ به التوراة بأن ألهمه إياها حتى كتبها على هيئتها بعد غلبة بختنصر، وخراب بيت المقدس قلنا: وأي جماعة دونت لكم ذلك عن العزير، وحفظت عنه، واستفاض منها؟ أوليس المحفوظ من أهل المعرفة بالتواريخ أنَّ

(١) التوراة: التاء فيه مقلوب وأصله من الورى وبناؤها عند الكوفيين ووْراة: تفْعِلة، وقال بعضهم: هي تفعل، نحو تتفل. وليس في كلامهم تفعل إسماً وعند البصريين ووْرى هي فوْعل نحو حوفل. والتوراة: معناها الضياء والنور. راجع معترك الأقران في إعجاز القرآن ٢: ٦ والمفردات في غريب القرآن.

(٢) بخت نصر: يذكر البيروني أنَّ الصيغة الفارسية لاسم بختنصر هي «بخت نرس» وقيل في تفسيره إنَّه كثير البكاء والأنين أما الصيغة العربية له فهي بختنصر.
وقد وردت قصته في الكتاب المقدس عند اليهود والنصارى وجعله بعض المؤرخين مرزباناً على العراق يحكم باسم ملك الفرس حيث كانت دار مملكته بلخ (المسعودي ـ مروج الذهب ١: ١١٧) وبعد أن فتح بيت المقدس سجن الملك منسى.
وجاء في الكتاب المقدس أنَّ الذي سجن هو صدقيا (الطبري ١: ٤٩١) ويقول المسعودي إنَّ عدة من سباهم بختنصر من بني إسرائيل ثمانية عشر ألفاً وأنَّه أخذ التوراة وطرحها في بئر ولما رجع بنو إسرائيل إلى بلادهم أخرجوا التوراة من البئر. (المصدر السابق).

(٣) بابل هي مدينة ببيلون القديمة على شاطئ الفرات، وهي على خط عرض ٤١، ٣٠، ٣٢ شمالاً وخط طول ٣٠، ٢٣ شرقي جرينوتش، وكان لهذه المدينة شأن عند المسلمين، وقيل إنَّ آدم نفسه بعد خروجه من الجنة، وكذلك قابيل وهابيل، كان مقامهم في بابل (ياقوت ١: ٤٥) ويقول ابن الفقيه ص ١٩٦ إنَّ أول مدينة بنيت في العالم هي حران والثانية بابل، وينسب برج بابل إلى النمرود ويسمى (المجدل) راجع البكري ١٣٦ وكانت مقام النمرود بن كنعان وهو أول من ملك الأرض، واستشار المنجمين، وشق القنوات (انظر ابن الفقيه ١٩٩ والاصطخري ص ٨٦٠/١٠١ والمسعودي كتاب التنبيه ٩٤ نقلاً عن التوراة وص ١٠٦/١٠٥ مروج الذهب).

إلهام اللّه العزيز التوراة إنما كان في آخر عمره وعند وفاته؟ وأنَّه لما كتبها اشتكى شكيته التي مات منها، ودفعها إلى تلميذ من تلاميذه، وأمره أن يقرأها على الناس بعد وفاته، فعن ذلك التلميذ أخذها الناس ودونوها، وزعموا أنَّ ذلك التلميذ هو الذي أفسد أشياء من التوراة وحرفها وزاد فيها ونقص منها، فما كان هذا سبيله، وهذا قول أهل الأخبار فيه فكيف يجوز لكم الثقة به والرجوع إليه. وبعد فإنَّ ألفاظ التوراة شاهدة بأنَّها من تأليف لسان إنسان بعد موسى عليه السلام[1]، يخبر بما كان من أمر موت موسى عليه السلام وعهده إلى يوشع بن نون[2] وحزن بني إسرائيل على موسى وبكائهم عليه بألفاظ تعبر عن ذلك كله بعد وقوعه فكيف يشكل على عاقل مع ذلك أنَّ ذلك ليس من كلام موسى ولا مما أنزل اللّه على موسى؟ على أنَّ التوراة التي توجد في أيدي العبرانيين[3] بينها وبين التوراة التي توجد في أيدي السامرة[4]

(١) راجع ما كتبه ابن حزم في كتابه الفصل في الملل والأهواء والنحل «كيف حرِّفت التوراة» الجزء ١: ٢٨٥ بتحقيقنا، وما كتبه ديورانت في قصة الحضارة ٢: ٣٦٧ ـ ٣٦٨، وتاريخ العالم للدكتور أحمد شلبي ص ٨٩.

(٢) هو يوشع بن نون من أنبياء بني إسرائيل، دعا بني إسرائيل وأخبرهم أنَّ اللّه قد أمره أن يقاتل الجبارين فقاتلهم يوم الجمعة قتالاً شديداً حتى غربت الشمس فدعا اللّه تعالى فردت عليهم فهزمهم. راجع الطبري ١: ٢٢٧ والملل والنحل ٢ ـ ١٠ انشر محمود توفيق سنة ١٩٤٨ م.

(٣) هم بنو إسرائيل وينقسم تاريخ الإسرائيليين إلى خمسة أدوار الأول: من عهد إبراهيم عليه السلام إلى خروجهم من مصر، الثاني: من خروجهم من مصر إلى تأسيسهم الملكية، الثالث: من تأسيسهم الملكية إلى أسر بابل، الرابع: من أسر بابل إلى خراب بيت المقدس بيد الملك أدريان، الخامس: من عهد تفرقهم في الأرض إلى اليوم.

وفي الدور الثاني من سنة ١٦٤٥ إلى ١٠٨٠ ق م اتجه الإسرائيليون تحت قيادة موسى إلى أرض كنعان التي سموها بالأرض الموعود بها فاجتازوا في طريقهم الخليج الغربي من البحر الأحمر ثمّ تاهوا في الصحراء أربعين عاماً فسموا بالعبرانيين. راجع دائرة معارف القرن العشرين ١: ٢٨٠ وما بعدها.

(٤) السامرة أو السامرية: وهم يقولون إنَّ مدينة القدس هي نابلس، وهي من بيت المقدس على ثمانية عشر ميلاً، ولا يعرفون حرمة بيت المقدس ولا يعظمونه، ولهم توراة غير التوراة التي بأيدي سائر اليهود، ويبطلون كل نبوة كانت في بني إسرائيل بعد موسى عليه السلام، وبعد «يوشع».

ويقول ابن حزم: والسامرة يزعمون أنَّ توراتهم هي المنزلة، ويقطعون أنَّ التوراة التي بأيدي اليهود محرفة مبدلة، وسائر اليهود يقولون إنَّ التي بأيدي السامرية محرفة مبدلة. الفصل في الملل والأهواء والنحل ١: ٢٠٢ والملل والنحل للشهرستاني ١: ٢١٨ ـ ٢١٩.

في التاريخ ألف سنة ونيف، وفي أيدي النصارى توراة أخرى فيها زيادة في تواريخ السنين على التوراة العبرانية ألف سنة وأربعمائة ونيف، وكيف يجوز مع تضاد هذا وتنافيه أن يكون ذلك من عند اللّه أو من عند أنبيائه الصادقين عليه؟.[1]

وبعد فاليهود جميعاً مجمعون بأنَّ موسى عليه السلام قد شهد بالنبوءة لمن يأتي بعده من الناس، وإن اختلفوا في صفته، وقد نطقت بذلك التوراة، وإذا كان الأمر كذلك فكيف يمتنع أن يكون حكم التـوراة، وتحريم السبت مشروطاً معلقاً بتوقيف الأنبياء بعد موسى عليه السلام، وإذا كان هذا هكذا لم يجز لأحد من اليهود أن يتطرق إلى إبطال نبوة النبيّ صلى الله عليه وسلم ، لأنَّه جاء بنسخ التوراة، وإجلال السبت، إذ كانت التوراة نفسها قد أجازت ذلك، وأطمعت فيه ببشارتها بنبي يأتي بعد موسى عليه السلام، ومع ذلك فإنَّ من تدبر التوراة علم أنَّ فيها البشارة لمحمد عليه السلام[2] والدلالة عليه بصفته ونعته في غير موضع وذلك أنَّ في السفر الخامس منها، فيما قاله اللّه لموسى في بني إسرائيل: إني سأقيم لهم نبيئاً من إخوتهم مثلك، وأجعل كلاماً في فمه، فيقول لهم كما أوصيه به وهذه صفة النبيّ صلى الله عليه وسلم لأنَّه من إخوة بني إسرائيل لا من أنفسهم، ولأنَّه مثل موسى في الأنبياء إذ كان صاحب

---

(١) راجع الفَصْل الذي كتبه ابن حزم في كتابه الفصل بعنوان (مناقضات ظاهرة وتكاذيب واضحة في الكتاب الذي تسميه اليهود التوراة، وفي سائر كتبهم، وفي الأناجيل الأربعة يتيقن بذلك تحريفها وتبديلها وأنَّها غير الذي أنزل اللّه عزّ وجلّ) ١: ٢٠١.

(٢) قال تعالى: ﴿ومبشراً برسولٍ يأتي من بعدي اسمه أحمد﴾ [سورة الصف آية رقم ٦] يعني أنَّ التوراة قد بشرت بعيسى، وأنَّ عيسى عليه السلام بشر بمحمد ـ صلّى اللّه عليه وسلم ـ فعيسى عليه السلام ـ وهو خاتم أنبياء بني إسرائيل، وقد أقام في ملإ بني إسرائيل مبشراً بمحمد وهو أحمد خاتم الأنبياء والمرسلين الذي لا رسالة بعده ولا نبوة، وقد أورد الإمام البخاري قال: حدثنا أبو اليمان، حدثنا شعيب عن الزهري، قال أخبرني محمد بن جبير بن مطعم عن أبيه قال سمعت رسول اللّه ـ صلّى اللّه عليه وسلم يقول: «إنَّ لي أسماء، أنا محمد، وأنا أحمد وأنا الماحي الذي يمحو اللّه به الكفر، وأنا الحاشر الذي يحشر الناس على قدمي، وأنا العاقب.» ورواه مسلم من حديث الزهري به نحوه.

شريعة وسنة، وسلطان، ولأنَّ تأويل قوله: أجعل كلاماً في فمه أنَّه لا يكتب بيده وإنما يؤدي ما أوحي إليه بلسانه ويحفظه في قلبه[١] وليس في زعم من زعم من اليهود أنَّ البشارة إنما هي ليوشع بن نون بشيء[٢]، لأنَّه قال من إخوتهم، ولم يقل من أنفسهم، ويوشع من[٣] بني إسرائيل والبشارة[٤] إنما هي لنبي من إخوة بني إسرائيل، وإسرائيل هو يعقوب بن إسحاق، وإخوتهم أولاد إسماعيل ولن يجوز أن تكون هذه البشارة لأحد من أنبياء بني إسرائيل، لا يوشع، ولا داود، ولا عيسى، ولا غيرهم من أنبيائهم ألبتة، ومع هذا إنَّ في التوراة أنَّ مثل موسى في بني إسرائيل لا يكون؛ وفي ترجمة أخرى: ولن يقوم في بني إسرائيل أحد مثل موسى فقد تبين بما وصفنا أنَّ النبيّ المبشر به في هذا الكلام، لا يجوز أن يكون يوشع، ولا أحداً من بني إسرائيل، وأنَّه محمد صلى الله عليه وسلم ، لأنَّه من ولد إسماعيل الذين هم أولاد إخوة ولد إسحاق، ولأنَّه مثل موسى في الشريعة والسنة، والسلطان، ومن التوراة أيضاً في السفر[٥] الخامس أنَّ موسى قال: (أتانا اللّه من سيناء، وأشرق من ساعير، واستعلن من جبال فاران)[٦] فهذه البشارة بنبوءة المسيح ومحمد عليهما السلام، لأنَّ ساعير

---

(١) قال تعالى: ﴿لا تحرك به لسانك لتعجل به إنَّ علينا جمعه وقرءانه فإذا قرأناه فاتبع قرآنه.﴾ سورة القيامة من آية ١٦ الى ١٨ وقال: ﴿هو الذي بعث في الأُميين رسولاً منهم﴾ سورة الجمعة آية رقم ٢.

(٢) سبق الترجمة له في كلمة وافية.

(٣) في (ب) بزيادة لفظ (رسول).

(٤) البشارة: اسم لخبر يغير بشارة الوجه مطلقاً ساراً كان أو محزناً إلاَّ أنَّه غلب استعمالها في الأول وصار اللفظ حقيقة له بحكم العرف حتى لا يفهم منه غيره.

وقال بعضهم: البشارة المطلقة في الخير ولا تكون في الشر إلاَّ بالتقييد.

(٥) السِفر: بالكسر الكتاب، والجمع أسفار قال اللهّ تعالى: ﴿كمثل الحمار يحمل أسفاراً﴾ سورة الجمعة آية ٥ والسفير: الرسول المصلح بين القوم، والجمع سفراء كفقيه وفقهاء وسفر بين القوم سفارة أي أصلح، وسفرت المرأة كشفت عن وجهها فهي «سافر».

(٦) الذي جاء عند ابن حزم في كتابه الفصل في الملل والأهواء هو: «جاء اللّه من سيناء، وأشرق من ساعير، واستعلن من جبال فاران».

يقول الدكتور الطالبي: ولقد تفضل الأب قنواتي: وأرشدني إلى النص الذي ورد في التوراة المترجم إلى الفرنسية: ثمّ ذكره. =

هو الموضع الذي جاء منه المسيح، وأظهر منه دعوته، وفاران مكة ونواحي الحجاز، وتأويل هذا الكلام إذا تأمله المتأمل، أنَّ وحي اللّه جلّ وعلا نزل على موسى بطور سيناء[1]، وأنَّه نزل على المسيح بساعير وناحيته، وأنَّه نزل على محمد بالحجاز، وناحية مكة مشهور بين العلماء أنَّ جبال فاران مكة ونواحيها، وفي كتب أشعياء من صفة النبيّ صلى الله عليه وسلم وصفة بلده، وسلطانه كثيرة واضحة بينة[2]، وفي بعضها تسميته باسمه أحمد وأنَّه يأتي بالعدل والقسط وبأمور جديدة وقتل الأعداء، فإن أردت أن تقف على ما قلناه من هذا فالتمس[3] كتب أشعياء فإنك ستجد فيها جميع ذلك إن شاء اللّه.

وكل هذا دليل على صحة أمر النبيّ صلّى اللّه عليه وسلم ووجوب قبول قوله فيما أتى به من إحلال السبت ونسخ شريعة اليهود، وربما اعتل قوم من اليهود في دفع نبوة النبيّ عليه السلام بأن يقولوا للمسلمين: أنتم موافقون

= وكلمة فاران كلمة عبرية ـ وهي جبال مكة بدلالة التوراة حيث إنَّ إبراهيم عليه السلام أسكن هاجر وإسماعيل فاران (المقدس البدء والتاريخ ٥: ٢٣).

ويطلق على الجبل الممتد بين الشام وبادية العرب، ولكنَّ الحجاز هي المخصوصة بهذا الاسم بدلالة التوراة في قصة إسماعيل الذي كان يتعلم الرمي في برية فاران (التكوين ٢١/٢٠ ـ ٢١).

وساعير: جبال فلسطين ـ راجع المقدس: البدء والتاريخ ٥: ٣٢ ـ ٣٣. [عمّار الطالبي].

(١) الطور بلدة بمصر، في شبه جزيرة سيناء، على خليج السويس بها جبل موسى، ومحجر صحي للحجاج تعدادها حوالى ٤٣٥٥ نسمة دائرة المعارف: الموسوعة الثقافية.

وطور سيناء: جبل مشهور في تواريخ اليهود، والنصارى والمسلمين، إذ أنزل اللّه فيه الشريعة على بني إسرائيل وتجلى لموسى الكليم ـ وهو في حقيقته سلاسل جبال أعظمها سلسلتان لكل منها عدة رؤوس موقعها في شبه جزيرة تعرف ببرية الطور تمتد مثلثة الزوايا بين خليج العقبة، وخليج السويس وعند ملتقاهما قنن كثيرة لكل قنة منها اسم مخصوص كجبل فاران المذكور في التوراة، وجبل كاترينا نسبة الى دير كان فيه للقديسة كاترينه وجبل موسى المعروف الآن بطورسينا وغير ذلك. راجع دائرة معارف البستاني ١١: ٣٥٤.

(٢) سقط من (ب) لفظ (بينه).

(٣) في (ب) بزيادة لفظ (ذلك في).

لنا على صحة نبوءة موسى، ونحن نخالفكم في نبوة محمد، فيجب أن نأخذ بما اتفقنا عليه، وندع ما نختلف فيه، فيكون ديننا صحيحاً لهذه العلة[1] ودينكم فاسداً، وهذا الاحتجاج فاش[2] في عوام اليهود وإن كان ذلك عند متكلميهم اعتلالاً ساقطاً واهياً لا معنى له عند جماعة المتكلمين، وأهل النظر، من قبل أنَّ المذاهب والديانات لا تصح بموافقة الموافقين عليها، ولا تفسد بمخالفتهم لها، وإنما تصح بالدلائل والحجج، فيقال لمن يعتل بذلك من اليهود: أخبرونا عمن أقر بنبوة إبراهيم وجحد نبوة موسى، واحتج عليكم بمثل هذا الاعتلال سواء أيكون هذا مصيباً في دفع نبوة موسى؟ ولو كان هذا حجة في دفع نبوة نبي من الأنبياء، لكان حجة لمن دفع الرسل، وأنكر أن يكون اللّه بعث رسولاً، فتقول البراهمة لنا ولكم ولسائر المقرين بالرسل: قد اجتمعنا نحن وأنتم على الصانع، واستعمال ما يجب في العقول، وانفردتم أنتم بادعاء الرسل، فيجب أن نأخذ بما اجتمعنا عليه من التمسك بما يجب في العقول، وندع ما اختلفنا فيه من ادعائكم الرسل، وهذا أوضح بطلاناً من أن يتكلم فيه بأكثر من هذا واللّه ولي التوفيق.

القول على النصارى[3]:

اعلم وفقنا اللّه وإياك، أنَّ النصارى الذين عقد لهم المسلمون الذمة،

---

(١) في (ب) السبب بدلاً من (العلة).

(٢) فشا الخبر ذاع وبابه سما، والفواشي: كل شيء منتشر من المال كالغنم والسائمة والإبل، وغيرها، وفي الحديث «ضموا فواشيكم حتى تذهب فحمة العشاء.»

(٣) النصارى: جمع، وأحدهم نصران كما واحد السكارى سكران، وواحد النشاوى نشوان، وكذلك جمع كل نعت كان واحده على فعلان، فإن جمعه على «فعال» إلاَّ أنَّ المستفيض من كلام العرب في واحد النصارى «نصراني» وقد حكى عنهم سماحاً «نصران» بطرح الياء ومنه قول الشاعر:

تـراه إذا زار الـعشي محـنَّـفـاً ... ويُـضْـحـى لـديـه وهـو نصران شـامِسُ

وسمع منهم في الأنثى نصرانة قال الشاعر:

فـكـلتـاهـا خـرَّت وأسـجـد رأسـهـا ... كـما سـجـدت نصرانـة لم تحـنـف

وقيل: إنَّهم سموا نصارى من أجل أنَّهم نزلوا أرضاً يقال لها «ناصرة». راجع تفسير الطبري ٢: ١٤٤ وتفسير القرطبي عند تفسير قوله تعالى: ﴿إنَّ الذين آمنوا والذين هادوا والنصارى﴾ ٦٢ ـ البقرة.

وأخذوا منهم الجزية يخالفوننا في ضربين: أحدهما أنَّهم جحدوا نبوءة نبينا محمد صلّى اللّه عليه وسلم وقد مضى الكلام في تثبيت نبوته صلّى اللّه عليه وسلم، والحجة في ذلك بالذي يغني عن تكراره على النصارى في هذا الموضع، والوجه الآخر أنَّهم قالوا في أمر معبودهم وفي المسيح بما لا يجوز القول به، وهم في ذلك على ثلاث فرق: الملكنية[1]، واليعقوبية، والنسطورية، فهذه الفرق المختلفة تتفق في أمر معبودها في موضعين: أحدهما في الأمر الذي أثبتوه في القدم، وذلك أنَّهم جميعاً مقرون بأنَّ ثلاثة أقانيم لم تزل: أب، وابن، وروح القدس، لا يختلفون في ذلك، ثمّ اختلفوا في غيره، فتقول اليعقوبية والنسطورية: إنها ثلاثة أقانيم لم يزل جوهرها واحداً، وليس الجوهر معنى غيرها، وتقول الملكنية: بل هو ثلاثة أقانيم لم تزل ذات جوهر واحد، ويزعمون أنَّ الجوهر هو معنى غير الأقانيم ولا يعدونه رابعاً معها. فهذا اختلافهم في الأمر الذي أثبتوه في القدم، ثمّ يختلفون في الموضع الآخر من صفة معبودهم، وهو اختلافهم في أمر المسيح، فتقول الملكنية: إنَّ المسيح أقنوم واحد وطبيعتان: طبيعة ناسوتية، وطبيعة لاهوتية[2] وتقول اليعقوبية[3]: المسيح أقنوم واحد، وطبيعة واحدة، حدثا عن

(١) الملكانية: طائفة مسيحية من الطقس البيزنطي منتشرة في سورية ومصر وفلسطين، ومنها جالية هامة في أمريكا وكنيستهم تسمى أيضاً كنيسة الروم، ويتكلم معظمهم العربية، ويرأسهم بطريرك يقيم في دمشق والقاهرة، سمُّوا الملكيين لأنَّهم أيدوا القرار الذي اتخذه مجمع خلقدونية عام ٤٥١ م ضد بدعة «أوطيخا» المونوفيزية القائلة بطبيعة واحدة للمسيح فلقبهم مخالفوهم ازدراء لهم بالملكيين لوقوفهم في صف «مرقيانوس» الذي كان يعاضد المجمع، ومنهم كاثوليك يعترفون برياسة بابا روما، ويسمون الروم الكاثوليك. راجع الموسوعة العربية الميسرة ص ١٧٤٢ وكتاب الفصل في الملل والاهواء والنحل ١: ١١٠ - ١١١ والملل والنحل للشهرستاني ١: ٢٢٢.

(٢) يضيف ابن حزم قولهم: «إنَّ عيسى عليه السلام، إله تام كله وإنسان تام كله، ليس أحدهما غير الآخر، وأنَّ الإنسان منه هو الذي صلب وقتل، وأنَّ الاله منه لم ينله شيء من ذلك، وأنَّ مريم ولدت الإله الإنسان، وأنَّهما معاً شيء واحد ابن اللّه. قاتلهم اللّه أنى يؤفكون، وكبرت كلمة تخرج من أفواههم إن يقولون إلاَّ كذباً.» الفصل ١: ١١١.

(٣) اليعقوبية: فرقة مسيحية تنسب إلى يعقوب، وهي إحدى فرق ثلاث اختلفت حول طبيعة المسيح: عاش اليعاقبة في مصر، والنوبة والحبشة يدور مذهبهم على القول بأنَّ المسيح هو اللّه والإنسان اتحدا في طبيعة واحدة هي المسيح، واشتغل كثير منهم في ظل الإسلام بنقل الفلسفة اليونانية وكتبها إلى

أقنوم أنسي، وطبيعة إنسية، وأقنوم لاهوتي، وطبيعة لاهوتية، اتحدا فصارا أقنوماً واحداً، وطبيعة واحدة. وقالت النسطورية[1]: المسيح أقنومان وطبيعتان أقنوم لاهوتي وطبيعة لاهوتية، وأقنوم ناسوتي، وطبيعة ناسوتية، وأنَّ كل واحد منهما في الاتحاد قائم بذاته حافظ لجوهره، وإنَّ هذه الفرق تزعم أنَّ الابن كلمة الأب الأزلي، وأنَّ الأب إنما يعلم الأشياء بكلمته، وأنَّ روح القدس هو الحياة التي من أجلها وجب أن يكون الأب حياً، فهذا جملة ما يتفقون فيه ويختلفون ونحن سائلوهم جميعاً مسألة واحدة: أخبرونا عن هذه الأقانيم الثلاثة أكل واحد منها غير الآخر، أم كل واحد منها هو الآخر؟ فإن قالوا: كل واحد منها هو الآخر، قيل لهم: فلم جعلتموها ثلاثة، ولم تقولوا فيها بينها بالمغايرة؟ وهل العدد نفسه إلاَّ المغّايرة؟ أو هل المغايرة معناها إلاَّ العدد؟ فقولكم: ثلاثة يثبت المغايرة، وقولكم كل واحد من الأقانيم هو الآخر ينفي المغايرة، فقد أثبتم بكلامكم ما نفيتم، ونفيتم ما أثبتم، وإن قالوا: إنَّ كل واحد من الأقانيم غير الآخر، قيل لهم: فهل تبينون كل واحد منها عما سواه بصفة أو لا تبينونه من

= السريانية ثمّ إلى العربية، ولقوا من الخلفاء المسلمين كل تشجيع وتقدير فكان لذلك أثره في تاريخ الحياة العقلية الإسلامية، ولاسيما من الناحيتين الكلامية والفلسفية. المصدر السابق ١١١، ١١٢ والموسوعة العربية الميسرة.

(١) النسطورية: تنسب إلى (نسطور) الذي كان بطريرك القسطنطينية عام ٤٣١ م ويقال (نسطور الحكيم) وقد تصرف في الأناجيل وأضاف إليها. يقول (نسطور) شارحاً مذهبه:
إنَّ مريم لم تلد إلهاً لأنَّ ما يولد في الجسد ليس إلاَّ جسداً ولأنَّ المخلوق لا يلد الخالق فمريم ولدت إنساناً ولكن كان إلهاً للاهوت وعلى هذا لا تسمى (مريم) والدة إله بل والدة (المسيح) الإنسان وقد جاء اللاهوت لعيسى بعد ولادته، أي أنَّ عيسى اتحد بعد الولادة بالإقنوم الثاني اتحاداً مجازياً فمنحه اللّه المحبة ووهبه النعمة وقد اتخذت الكنائس موقفاً معارضاً من آراء (نسطور) وعلى الرغم من طرده من منصبه فإنَّ مذهبه لم يمت بل انتشر في الشرق وهو منتشر في شمال العراق والجزيرة.
ويقول (نسطور): إنَّ اللّه واحد ذو أقانيم (الوجود والعلم والحياة) وهي ليست زائدة على الذات ولا هي هو، واتحدت الكلمة بجسد (عيسى) لا على طريق الامتزاج (كما قالت الملكانية) ولا على طريق الظهورية (كما قالت اليعقوبية) ولكنَّ كإشراق الشمس في كوة أو على بلور، أو كظهور النقش في الخاتم. راجع الملل والنحل ٢: ٦٤ ودائرة معارف القرن العشرين ١٠: ١٨٣ والمدخل إلى دراسة الأديان والمذاهب ١: ٢٣٤.

غيره بصفة؟ فإن قالوا: لا نبين كل واحد من الأقانيم عن صاحبه بصفة، عاد عليهم الكلام الأول بأنَّ الأقانيم الثلاثة واحد من الأقانيم عن صاحبه بصفة، عاد عليهم الكلام الأول بأنَّ الأقانيم الثلاثة واحد وإنما عبروا عنها بلفظ الثلاثة وهي في الحقيقة واحد، ولا فائدة ها هنا في ذكر الثلاثة، وإن قالوا: كل واحد منها موصوف بصفة غير صفة صاحبه أثبتوا فيها الأعراض والتغاير، وأبطلوا عنها أن تكون قديمة، ويدخل عليهم جميعاً ما أدخلناه على الدهرية وأشياعهم من إثبات حدوث جميع ما يوصف بالأعراض والتغاير، ويقال لهم: أخبرونا عن المسيح أليس هو ابن اللّه؟ تعالى اللّه عن ذلك فإن قالوا: نعم، قيل لهم: فأخبرونا عن الروح التي هي فيه من اللاهوت[1] أهي الابن؟ فإذا قالوا: نعم، قيل لهم: فهي بعض اللّه، فإن زعموا أنَّها بعض اللّه، قيل لهم: فإذا كانت الأبعاض كلها قديمة فما معنى قولكم: إنَّه ابن لبعض، وهما قديمان جميعاً؟ وما جعل هذا البعض أولى بأن يكون ابناً للبعض الآخر من أن يكون ذلك البعض ابنه؟ فإن زعموا أنَّ ذلك أولى لأنَّه أقل من هذا قيل لهم: فكل بعض الشيء هو أقل من البعض الآخر فهو ابن له، فإذا كان ذلك كذلك عدد عليهم جميع ما في العالم، فجعل كل بعض أقل من بعض ابناً للبعض الأكثر وهذا مما لا يعقله أحد في قصّة ولا يجده في صحيح معنى، فإن قالوا: إنَّ الكل في ذلك البدن قيل لهم: فأي شيء منه الابن وأي شيء منه روح القدس[2]، والكل هو الأب، والكل هو الابن، والكل هو روح القدس؟ فإن

(١) عند «أوجست كونت» الحالة اللاهوتية، هي الحالة الأولى من حالات العقل، وفيها يبحث عن كنه الكائنات وأصلها ومصيرها وقد تدرج في ذلك ثلاث درجات.

كانت الأولى: الفيتشية وفيها يضيف إلى الكائنات الطبيعية حياة روحية شبيهة بحياة الإنسان.

وكانت الدرجة الثانية: تعدد الآلهة، وهي أكثر الدرجات تمييزاً للحالة اللاهوتية يسلب فيها عن الكائنات الطبيعية ما خلع عليها من حياة ويضيف أفعالها إلى موجودات غير متطورة تؤلف عالماً علوياً.

وكانت الدرجة الثالثة: التوحيد: أي الاعتراف بإله واحد فرد صمد. انظر علم اللاهوت والمعجم الفلسفي: مراد وهبه ٢٦٤.

(٢) هو أحد الأقانيم الثلاثة المؤلفة للّه تعالى في اعتقاد بعض النصارى قالت دائرة معارف القرن

قالوا: نعم، قيل: فالأب هو الابن، والأب هو روح القدس فإن يكن ذلك كذلك فالأب ابن لنفسه، والابن أب لنفسه، لأنَّ هذا كله من واحد وهذا المحال من الكلام الذي قد بان اختلاطه، وإن هم جزأوا فجعلوا جزءاً مما في البدن ابناً وجعلوا جزءاً روح القدس. وجعلوا جزءاً آخر أباً، قيل لهم في ذلك كما قيل لهم في الكلام الأول قبل هذا، وهو أن يقال: ما جعل البعض أولى أن يكون ابناً من البعض الآخر، وأن يكون أباً من البعض الآخر؟ ولا نعلم في ذلك حيلة ولا جواباً ثمّ يقال لهم: أخبرونا عن معنى الأب أهو معنى الابن وروح القدس؟ وعن معنى الابن أهو معنى الأب وروح القدس؟ وعن معنى روح القدس أهو معنى الأب والابن؟ أو معنى كل واحد منهما غير معنى الآخر؟ فإن قالوا: معنى كل واحد منها هو معنى الآخر قيل لهم: فلم سميتم الأب أباً دون أن تسموه ابناً، أو روح القدس؟ أو لم سميتم الابن ابناً دون

= العشرين الفرنسية: جاء لفظ روح اللّه ونفحة اللّه في التوراة ولم يقصد بها إلاَّ أصل القدرة الإلهية. أو طريقة تأثير تلك القدرة. فجاء في التوراة:

«إنَّ الأرض في مبدأ تكوينها حين كانت خالية خاوية مجللة بالظلمات كان روح اللّه يتحرك على مياهها فلما سوى اللّه الإنسان من الطين ونفح فيه من روحه فاستوى بشراً سوياً ثمّ سحب روحه منه فعاد طيناً كما كان أولاً، ولكنَّ اللّه أعاد له روحه ثانية ومن نفحة اللّه أو روحه نشأت جميع الكائنات الأرضية».

وقد جاء في الأناجيل: ذكر الأب والابن والروح القدس ولكن لا يوجد فيها إشارة إلى التثليث ولا إلى ما يشير إليه العلم اللاهوتي اليوم فالإله الذي كان يتكلم عنه عيسى عليه السلام وحواريه هو اللّه الواحد رب الأنبياء الذي تجب له العبادة وحده وكان عيسى عليه السلام يدعو هذا الإله «الآب» ولا يدعو رباً سواه ثمّ قالت دائرة المعارف الفرنسية: الكلام على الروح القدس ظل مدة طويلة كثير التخالف ومرتبكاً فقال: هرمس: الجزء الإلهي في عيسى هو الروح القدس، يعني الابن المخلوق، قبل أن يخلق شيء في العالم.

وكان جوستان وتيوفيل: «يعتبران الروح القدس تارة كشكل خاص لمظهر الكلمة وتارة كصفة من صفات اللّه ولكنهما لم يعتبراها قط شخصاً إلهياً».

وقال اثيناغور (١١٠ ـ ١٨٠) بأنَّ روح القدس هو قوة من اللّه تخرج منه وتعود إليه كشعاع الشمس.

ولما اجتمع مجمع (نيسيه) سنة ٣٢٥ وحدد وحدة أزلية الآب والابن ترك للناس الحرية في الاختلاف على الروح القدس. [عمّار الطالبى].

أن تسموه أباً، أو روح القدس؟ أو لم سميتم الروح القدس روح القدس، دون أن تسموه أباً أو ابناً؟ وكل معنى واحد منها هو معنى الآخر فإن قالوا: معنى كل واحد منها غير معنى الآخر، كررنا عليهم المسألة الأولى من اتفاق الصفات، واختلافها حتى يخرجوا إلى بطلان قدم الأب والابن وروح القدس جميعاً. فذلك الذي أردناه منهم، ويقال لهم: أخبرونا عن الأقنوم[1] اللاهوتي، والطبيعة اللاهوتية، واتحادهما وصيرورتها إلى الإنسان أعن سبيل النقلة من القديم كان ذلك أم على سبيل غير النقلة؟ فإن قالوا: عن سبيل النقلة، أثبتوا مكانين، لأنَّ النقلة لا تكون إلاَّ عن مكان إلى مكان، فإن قالوا: على غير سبيل النقلة ولن يجدوا ذلك المعنى، لأنَّ التحويل من شيء لا يجيء إلاَّ على سبيل النقلة في الأماكن، فإن قالوا: إنما قلنا إنَّ في المسيح من الروح اللاهوتي ومن الطبيعة اللاهوتية، لما يجري على يديه من اختراع الأجسام وأحداث الأجرام وتصيير الموتى أحياء فعلمنا أنَّ ذلك من الأفعال التي لا تحتملها طبيعة الإنسان، ولا روح الإنسان، قيل لهم: فإن كنتم إنما قلتم ما قلتم من ذلك لهذه العلة، فينبغي لكم أن تقولوا في جميع من ظهر على يديه مثل هذه الأشياء، بأنَّ فيه من الروح اللاهوتي والطبيعة اللاهوتية، فهذا موسى عليه السلام تحدث على يديه العجائب العظيمة، والأمور الجليلة، فينبغي لكم أن تقولوا في موسى بمثل الذي قلتموه في المسيح، وأنتم تقولون إنَّ عيسى أحيا أربعة أنفس، وتقرون أنَّ حزقائيل أحيا ألوفاً في وقت واحد، فما جعل المسيح أولى بما قلتم من حزقائيل؟ وقلتم إنَّ المسيح أشبع جماعة كثيرة من طعام يسير، وكانت أرغفة قليلة، ثمّ حمل منها بعد ما شبع الجماعة زنبيل، وأنتم تقرون أنَّ الياه أحدث في إناء دقيقاً ولم يكن فيه، وأحدث في إناء زيتاً ولم يكن فيه زيت، وهذا أعجب من إحداث طعام من طعام، وكان له أصل، وهذا الذي أحدث الياه بزعمكم من غير أصل كان، فافرقوا في ذلك بين المسيح وبين الياه، وما

---

(١) الأقنوم: واحد الأقانيم ويرى بعض رجال الكنيسة أنَّ الأقانيم ثلاثة: الآب، والابن، وروح القدس.

جعل المسيح أولى بالذي قلتم فيه من الياه؟ فإن زعمتم أنَّ المسيح صير ماء خمراً فقد تقرون أنَّ المسيح ملأ عدة من الآنية ماء لامرأة، ثمّ صيرها زيتاً فهذا أعجب من ذلك، لأنَّ الخمر أقرب شبهاً بالماء من الزيت به، وإن قلتم إنَّ المسيح مشى على الماء فأنتم تقرون ان يوشع[١]ابن نون وان الياه واليسع قد مشوا على الماء ، فما جعل المسيح أولى بما قلتم فيه منهم؟ وإن قلتم: إنَّ المسيح استحق ذلك واستوجبه بأنَّه رفع إلى السماء فأنتم تقرون بأنَّ الياه قد ارتفع إلى السماء بمشهد من جماعة كثيرة، ويقال لهم ألستم تقرون أنَّ المسيح قد قتل وصلب[٢] واستخفت به اليهود واستهزأوا به، وهو إنما أظهر العجائب من أحياء الموتى وابراء الأكمه، والأبرص ليعظم ويصدق ويوصف بالصفات التي تصفونه أنتم بها، فلم أمكن نفسه من اليهود؟ يستخفون به ويستهزئون به، ثمّ قتلوه بزعمكم وصلبوه، فكيف حتى أعقب فعل العجائب العظيمة، بالأفاعيل التي تدعو إلى التصغير والاستخفاف به؟ فهذا كله ومثله يدل على فساد قولكم في المسيح صلّى اللّه عليه وسلّم، ويدل على نبي من أنبياء اللّه تعالى، ورسول من رسله صلّى اللّه عليه وسلّم وعليهم جميعاً، لا أكثر من ذلك ولا أقل، تعالى اللّه عن جميع ما يقول المبطلون علواً كبيراً.

الأصل الرابع من أصول الملحدين وهم المشبهة[٣]:

وذلك أن جميع من شبه الله بخلقه، ووصفه بغير صفته على اختلاف

---

(١) هو يوشع ابن نون من أنبياء بني إسرائيل بعثه اللّه نبياً فدعا بني إسرائيل وأخبرهم أنّه نبي، وأنَّ اللّه قد أمره أن يقاتل الجبارين فقاتلهم يوم الجمعة قتالاً شديداً حتى أمسوا وغربت الشمس، ودعا اللّه تعالى فردت عليه الشمس فهزم الجبارين (الطبري ١: ٢٢٧ نقلاً عن هامش الملل والنحل ٢: ١٠ نشر مكتبة الحسين التجارية ١٩٤٨ م).

(٢) قال تعالى: ﴿وقولهم إنا قتلنا المسيح عيسى ابن مريم رسول اللّه وما قتلوه وما صلبوه ولكن شبه لهم وإنَّ الذين اختلفوا فيه لفي شك منه ما لهم به من علم إلاَّ اتباع الظن وما قتلوه يقيناً، بل رفعه اللّه إليه وكان اللّه عزيزاً حكيماً﴾ سورة النساء آية ١٥٧ ـ ١٥٨.

(٣) التشبيه: هو الغلو بل هو أبرز مظاهر الغلو، وهو تشبيه بعض الأئمة والأشخاص بذات الله تعالى،

أقاويلهم وتفاوت مذاهبهم، يرجعون في جملتهم إلى فصول ثلاثة:

فـالفصل الأول من ذلـك هو القـول بالتشبيـه على محض التشبيـه، والوصف لله جلّ جلاله بالتجسيم على حقيقـة التجسيم، وهؤلاء هم الذين يثبتون معبودهم على ما يعقلونه من أنفسهم، ويحصرونه بأوهامهم، وعلى ما يشاهدون بأبصارهم، وزعموا أن معبودهم جسم كالأجسام: لحم ودم، عريض طويل محدود في مكان دون مكان في جميع صفات الأجسام، حتى إن منهم مَن يحصره في صورة إنسان سبعة أشبار، كائناً ما كان ذلك الشبر،[1] تعالى الله عمّا يقولون علواً كبيراً.

الفصل الثاني:

قول مَن يقول منهم بمجرد التجسيم دون أن يثبتوا معـاني الأجسام، ويزعمون أنه جسم لا كالأجسام، ونور لا كالأنوار، وأبوا أن يكون لحماً ودماً، ولا عريضاً ولا طويلاً، فاقتصروا بالتسمية بالجسم على معنى الجسم زعموا.

الفصل الثالث:

مقالة الغالطين في تأويل متشابه كتاب الله عزّ وجلّ، المحرفين لكلامه،

= وأمّا التقصير فهو تشبيه الإله سبحانه بواحد من الخلق.

ولقد نشأ مبدأ التشبيه من مذاهب الحلولية، والتناسخية، ومن مذاهب اليهود والنصارى، فقد شبهت (اليهود) الخالق بالخلق وسرت هذه الشبهات في أذهان الغلاة. وقد اعتمد الغلاة التشبيه لهدم مبدأ الألوهية، لأن التشبيه يجعل المشبه والمشبه به على مستوى واحد، وعلى مستويات متقاربة. راجع الغلو والفرق الغالية ١٣٦ والملل والنحل ١:١٩٧ والمدخل إلى دراسة الأديان والمذاهب ١:٦٦.

(١) القائلون بذلك هم الهشامية أتباع هشام بن الحكم الرافض وذكر أبو الهذيل العلاف في بعض كتبه أنه لقي هشام بن الحكم في مكة عند جبل أبي قبيس فسأله: أيها أكبر معبوده أم هذا الجبل...؟
قال: فأشار إلى أن الجبل يوفى عليه تعالى وأن الجبل أعظم منه وحكى أن الراوندي في بعض كتبه عن هشام أنه قال: بين الله وبين الأجسام المحسوسة تشابه من بعض الوجوه ولولا ذلك ما دلت عليه: قاتلهم الله أنى يؤفكون». راجع الفرق بين الفرق للبغدادي.

المتعلقين بالحديث عن رسول الله صلّى الله عليه وسلّم، وهؤلاء مع ما هم فيه من التشبيه فإنهم حائدون عن التسمية بالجسم بـزعمهم، وهذا الصنف من المشبهة على أنهم يستنكفون عن عبارة التجسيم، فإن قلوبهم مع ذلك طاغية إلى التصريح بغاية التشبيه، وأهواؤهم مائلة إلى التـبريح بنهـايته، وحتى إن عوامهم يبوحون بأفحش التشبيه وأقبحه أحياناً، وأن محدثيهم ليفصحون به أوقاتاً، ومتى تورع أحد من علمائهم في شيء من مذاهبهم، أو نوظروا، كادت المناظرة تضطرهم إلى ما ذكرت لك من ذلك، وتلجئهم إليه، إلاّ أن يشم أحد من علمائهم برائحة علم الكلام فيقتصر دون غاية ما ينتهي إليه عوامهم وهذا الصنف هم الذين يسمون الحشوية[1]، وأصحاب الحديث، وكل هذه الفرق مع اختلافهم فإنهم مجموعون على أن الله يرى يوم القيامة بالأبصار، وأنه حال على العرش تعالى الله عمّا يقولون علواً كبيراً، وهذه الفصول التي ذكرناها تتضمن جميع مذاهب المشبهة، وأقاويلهم المختلفة على كثرتها في معبودهم إن شاء الله ونحن ذاكرون ما احتجوا به من كتاب الله عزّ وجلّ، وما تعلقوا به من حديث رسول الله صلّى الله عليه وسلّم، ثم نتبع ذلك بـالرد عليهم في باطلهم وما أساءوا فيه الثناء على ربهم، والنظر لأنفسهم، ونذكـر جميع مـا غلطوا فيه من تأويل الآي التي انتحلوها من كتاب الله عزّ وجلّ، وأحاديث رسول الله صلّى الله عليه وسلّم، حتى نأتي على ذلك الأول فالأول، ولا قوة إلاّ بالله.

وكان مما احتجت به المشبهة من كتاب الله عزّ وجلّ أن قالوا: إن الله وصف نفسه في كتابه على لسان نبيّه محمد صلّى الله عليه وسلّم، وهو أعرف بصفته منكم فقال: ﴿الرَّحَمَنُ عَلَى الْعَرْشِ اسْتَـوَى﴾[2] وقال: ﴿خَلَقَ

(١) الحشوية: فرقة عقائدية من فرق المعتزلة ـ سموا كذلك نسبة إلى الحشو، ويقصد به أسافل الناس، كما يقصد به الزائد من الكلام أي اللغو، ذلك أن الحشوية أو أهل الحشو أخذوا بظواهر القرآن دون تبصّر حتى وقعوا في الاعتقاد بالتجسيم. راجع القاموس الإسلامي ٢:١٠٢.

(٢) سورة طه آية رقم ٥.

السَّمَاوَاتِ والأَرْضَ، وَمَا بَيْنَهُمَا فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ اسْتَوَى عَلَى الْعَرْشِ﴾[1] والعرش معروف أنه جسم عن ابن شهاب «أن رسول الله صلّى الله عليه وسلّم سأل جبريل أن يتراءى له في صورته قال: إنّك لا تطيق ذلك، قال: إني أحب أن تفعل، فخرج رسول الله صلّى الله عليه وسلّم إلى المصلى في ليلة مقمرة، فأتاه جبريل عليه السلام في صورته فغشي على رسول الله صلّى الله عليه وسلّم حين رآه، حتى أفاق وجبريل مسنده فقال: سبحان الله سبحان الله، ما كنت أرى أن شيئاً من الخلق هكذا، فقال جبريل فكيف لو رأيت إسرافيل أن له اثني عشر جناحاً، جناح منها بالمشرق وجناح بالمغرب وأن العرش على كاهله وأنه ليتضاءل أحياناً لعظمة الله، حتى يعود مثل الوضع حتى لا يحمل عرشه إلاّ عظمته»[2] قالوا: وذكر ابن عيينة[3] عن عمرو[4] عن عطاء[5]،

---

(١) سورة الفرقان آية رقم ٥٩.

(٢) هذا الأثر مرسل ـ وابن شهاب من صغار التابعين ومن أوعية الحفظ والإتقان. قال أبو الزناد كنا نكتب الحلال والحرام وكان ابن شهاب يكتب كلّما سمع، فلمّا احتيج إليه علمت أنه أعلم الناس، ولكن قال أحمد بن سنان كان يحيى بن سعيد لا يرى إرسال الزهري وقتادة شيئاً ويقول هو بمنزلة الريح، ويقول: هؤلاء قوم حفاظ كانوا إذا سمعوا الشيء علقوه. وقال الذهلي: لست أدفع رواية معمر عن الزهري. وقد ثبت من طرق أن الرسول ـ صلّى الله عليه وسلّم ـ رأى جبريل بصورته مرتين، وإذ تعارض حديثان قدم أصحهما سنداً والله أعلم.

(٣) هو سفيان بن عيينة بن أبي عمران ميمون الهلالي أبو محمد الكوفي سكن مكة، قيل إن أباه هو المكي أبا عمران، روى عن عبد الملك بن عمير وأبي إسحاق السبعي وزياد بن علاقة، والأسود بن قيس وآخرين وعنه الأعمش، وابن جريج، وشعبة، والثوري وآخرين. قال الشافعي: لولا مالك وسفيان لذهب علم الحجاز. مات سنة ١٩٨هـ.

(٤) هو عمرو بن دينار الجمحي بالولاء، أبو محمد الأثرم: فقيه كان مفتي أهل مكة، فارسي الأصل مولده بصنعاء عام ٤٦هـ ووفاته بمكة عام ١٢٦ هـ قال شعبة: ما رأيت أثبت في الحديث منه وقال النسائي: ثقة، واتهمه أهل المدينة بالتشيع، والتحامل على ابن الزبير، ونفى الذهبي ذلك قال ابن المديني: له خمسمائة حديث. راجع تاريخ الذهبي ١١٤:٥ وتهذيب التهذيب ٣٠:٨ وطبقات فقهاء اليمن لابن سمرة وفيه. مات سنة ١٢٧.

(٥) هو عطاء بن أسلم بن أبي رباح بن صفوان: تابعي من أجلاء الفقهاء، كان عبداً أسود ولد في جند (باليمن) عام٢٧هـ ونشأ بمكة فكان مفتي أهلها ومحدثهم توفي بها عام ١١٤هـ. راجع تذكرة الحفاظ ٩٢:١ وتهذيب التهذيب ١٩٩:٧ وصفة الصفوة ١١٩:٢ وميزان الاعتدال ١٩٧:٢.

وابن جدعان[1] عن سعيد بن المسيب[2] قال: قال رسول الله صلّى الله عليه وسلّم: أنا أول مَن تنشق عنه الأرض فأجد موسى صلّى الله عليه وسلّم متعلقاً بالعرش ـ زاد أحدهما ـ ولا أدري لعلّه جوزي بالصعقة التي أصابتهم»[3] فقالوا: إنّما مثل ذلك على قوله: ﴿أَهَكَذَا عَرْشُكِ قَالَتْ كَأَنَّهُ هُوَ﴾[4] وقال: ﴿وَلَهَا عَرْشٌ عَظِيمٌ﴾[5] قالوا: وليس بين قوله: ﴿وَرَفَعَ أَبَوَيْهِ عَلَى الْعَرْشِ﴾[6] وبين قوله ﴿اسْتَوَى عَلَى الْعَرْشِ﴾[7] فرق وقالوا: بل علمنا بالقياس أن يكونا سواء حتى يفرق بينهما كتاب الله، أو خبر، أو يكون في مخرجه دلالة، قالوا: وقد أجمعوا على أن الحملة الثمانية ملائكة، ثم جاءت الأخبار بعد ذلك، تخبر عن اختلاف صورهم، قالوا: ويؤكد ما قلناه من هذا قوله: ﴿الَّذِينَ يَحْمِلُونَ الْعَرْشَ وَمَنْ حَوْلَه﴾[8] دلالة على أن العرش

---

(١) هو علي بن زيد بن أبي مليكة زهير بن عبدالله بن جدعان أبو الحسن القرشي التميمي، فقيه ضرير، من حفّاظ الحديث الأئمة وليس بالثقة القوي من أهل البصرة. قال الذهبي: أحد أوعية العلم في زمانه توفي عام ١٢٩هـ. راجع خلاصة تهذيب الكمال ٢٣٢ وتاريخ الإسلام للذهبي ٥:٢٨٣.

(٢) سبق الترجمة له في كلمة وافية قريباً من هذا.

(٣) الحديث رواه الإمام البخاري في كتاب الأنبياء ٣١ باب وفاة موسى عليه السلام ٣٤٠٨ بسنده عن أبي هريرة ـ رضي الله عنه قال: أستب رجل من المسلمين ورجل من اليهود فقال المسلم: والذي اصطفى محمداً صلّى الله عليه وسلّم على العالمين ـ في قسم يقسم به ـ فقال اليهودي: والذي اصطفى موسى على العالمين ـ فرفع المسلم عند ذاك يده فلطم اليهودي فذهب اليهودي إلى النبي ـ صلّى الله عليه وسلّم ـ فأخبره الذي كان من أمره وأمر المسلم، فقال: لا تخيروني على موسى، فإن الناس يصعقون فأكون أول مَن يفيق فإذا موسى باطش بجانب العرش فلا أدري أكان فيمن صعق فأفاق قبلي أو كان ممن استثنى الله.» ورواه أيضاً في باب الخصومات ألا كتاب التوحيد ٣١ ورواه الإمام مسلم في كتاب الفضائل ١٦٠، ١٦٢ بسنده عن أبي هريرة، وعن أبي سعيد الخدري قال: قال رسول الله ـ صلّى الله عليه وسلّم ـ وذكره. ورواه الإمام أحمد في المسند ٢:٢٦٤ ـ ٣:٤١. وأورده البيهقي في كتاب الأسماء والصفات ص ٣٩٤ ـ ٣٩٥.

(٤) سورة النمل آية رقم ٤٢.

(٥) سورة النمل آية رقم ٢٣.

(٦) سورة يوسف آية رقم ١٠٠.

(٧) سورة الأعراف آية رقم ٥٤ وسورة يونس آية رقم ٣ وسورة الرعد آية رقم ٢ وسورة الفرقان آية ٥٩ وسورة السجدة آية رقم ٤ وسورة الحديد آية رقم ٤.

(٨) سورة غافر آية رقم ٧.

جسم يطاف به وبدن يدار حوله، وكذلك قوله: ﴿وَتَرَى الْمَلائِكَةَ حَافِينَ مِنْ حَوْلِ الْعَرْشِ﴾[١]، قالوا ومما يؤكد قولنا، قول النبيّ صلّى الله عليه وسلّم، لسعد بن معاذ حيث حكم في بني قريظة: قد حكمت بحكم الله من فوق سبع سموات[٢] ولو كان الله على ما قلتم في كل مكان لما قال: لقد حكمت بحكم الله من فوق سبع سموات، وقال: اهتزّ العرش لموت سعد[٣] والاهتزاز لا يكون إلاّ للأجسام، ومما احتجت به أيضاً قوله عزّ وجلّ: ﴿ثُمَّ دَنَا فَتَدَلَّى فَكَانَ قَابَ قَوْسَيْنِ أَوْ أَدْنَى فَأَوْحَى إلى عَبْدِهِ مَا أَوْحَى مَا كَذَبَ الْفُؤادُ مَا رَأى، أَفَتُمَارُونَه عَلَى مَا يَرَى، وَلَقَدْ رَآهُ نَزْلَةً أُخْرَى عِنْدَ سِدْرَةِ الْمُنْتَهى، عِنْدَهَا جَنَّةُ المأوى، إِذْ يَغْشَى السِّدْرَةَ مَا يَغْشَى، مَا زَاغَ الْبَصَرُ وَمَا طَغَى﴾[٤] وقال: ﴿وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَاضِرَةٌ إِلَى رَبِّهَا نَاظِرَةٌ﴾[٥] وقال: ﴿لِلَّذِينَ أَحْسَنُوا الْحُسْنَى وَزِيَادَةٌ﴾[٦]، فالحسنى الجنة والزيادة الرؤية، ويؤكد ما قلنا في الرؤية قول النبيّ صلّى الله عليه وسلّم: إنكم سترون ربّكم لا تضامون في رؤيته، كما لا تضامون في القمر ليلة

---

(١) سورة الزمر آية رقم ٧٥.

(٢) الحديث رواه الإمام مسلم في كتاب الجهاد والسير ٢١ باب إخراج اليهود والنصارى من جزيرة العرب ٦٤ (١٧٦٨) بسنده عن أبي سعيد الخدري، ورواه البخاري في كتاب الجهاد ١٦٨ والمغازي ٣٠ والمناقب ١٢ وأحمد بن حنبل في المسند ٣:٢٢، ٦:١٤٢ (حلبي).

(٣) الحديث رواه الإمام البخاري في صحيحه عن أبي موسى، وأخرجه الإمام مسلم عن أبي سفيان عن جابر ـ رضي الله عنه، ومن حديث أبي الزبير عن جابر، ومن حديث قتادة عن أنس ـ رضي الله عنه، وأورده البيهقي في الأسماء والصفات ـ وقد جاء في الحديث أن الملائكة تستبشر بروح المؤمن، ورواه أحمد في مسنده عن أنس وعن جابر، والترمذي وابن ماجه عن جابر، وأخرجه النسائي بلفظ: «تحرك عرش الرحمن». عن طريق محمد بن عمرو عن ابن الهادي وغيره عن معاذ بن رفاعة وقال الذهبي إن رواية قتادة عن أنس حديث صحيح والإسناد إلى عائشة إسناد حسن، واعتبره الذهبي متواتراً والله أعلم.

(٤) سورة النجم الآيات من ٨ ـ ١٧.

(٥) سورة القيامة آية ٢٢ ـ ٢٣.

(٦) سورة يونس آية رقم ٢٦.

البدر[1]، وقال في الفجار: ﴿إِنَّهُمْ عَنْ رَبِّهِمْ يَوْمَئِذٍ لَمَحْجُوبونَ﴾[2] وقال: ﴿وَمَا كَانَ لِبَشَرٍ أَنْ يُكَلِمَهُ اللَّهُ إِلاَّ وَحْياً أَوْ مِنْ وَرَاءِ حِجَابٍ﴾[3] وذكروا صفة الحجب وصنوفها، ومما احتجت به أيضاً قول الله عزّ وجلّ: ﴿وَجَاءَ رَبُّكَ وَالمَلَكُ صَفّاً صَفّاً﴾[4] ولا يجوز أن يجيء إلى مكان هو فيه، ولو جاز أن يجيء إلى مكان هو فيه، جاز أن يخرج منه وهو فيه، قالوا فإذا أخبر الله أنه في السموات، وفي الأرض، وقلتم إن الدنيا كلّها لا تخلو منه، وأنه فيها، فإذا كان الأمر كذلك، وكانت الدنيا محدودة، كان الذي يكون في بعضها أو في كلّها محدوداً، إذا كان لم يجازوها، ولو جاوزها لخرج لا إلى مكان، ولا يجوز أن يخرج منها إلاّ إلى مكان. قالوا: وقد أخبر أنه في السموات وفي الأرض والله لا يخاطب عباده إلاّ بما يعقلون، قالوا: وقد قال الله عزّ وجلّ لموسى عليه السلام ـ ولسنا نعدو ما قال ـ: ﴿وَلِتُصْنَعَ عَلَى عَيْنِي﴾[5] فقلنا: إن له عيناً كما قال، قالوا: وقد قال الله: ﴿وَيَبْقَى وَجْهُ رَبِّكَ ذُو الجَلاَلِ وَالإِكْرَامِ﴾[6] وقال: ﴿إِنَّمَا نُطْعِمُكُمْ لِوَجْهِ اللَّهِ﴾[7] وقال: ﴿يُرِيدُونَ وَجْهَ اللَّهِ﴾[8] فعلمنا بهذا أن له عيناً ووجهاً كما قال، قالوا: وقد

---

(1) الحديث رواه ابن ماجه في المقدمة ١٣ باب فيما أنكرت الجهمية ١٧٧ بسنده عن جرير بن عبدالله عن رسول الله ـ صلّى الله وفيه زيادة «فإن استطعتم أن لا تغلبوا على صلاة قبل طلوع الشمس وقبل غروبها فافعلوا» ثم قرأ: ﴿وسبِّح بحمد ربّك قبل طلوع الشمس وقبل الغروب﴾ [سورة ق الآية ٣٩].
ورواه البخاري في المواقيت ١٦، ٢٦ والتوحيد ٢٤ ورواه الإمام مسلم في كتاب الإيمان ٣٠٢ بسنده عن أبي سعيد الخدري ٨١ باب معرفة طريق الرؤية وأبو داود في السنّة ١٩ والترمذي في الجنة ١٥، ١٧، ٢٠ وأحمد بن حنبل في المسند ٣:١٦، ٤:١٢ (حلبي).

(2) سورة المطففين آية رقم ٥ وقد جاءت الآية محرفة في المطبوعات حيث قال «عند» بدلاً من «عن».

(3) سورة الشورى آية رقم ٥١.

(4) سورة الفجر آية رقم ٢٢.

(5) سورة طه آية رقم ٣٩.

(6) سورة الرحمن آية رقم ٢٧.

(7) سورة الإنسان آية رقم ٩.

(8) سورة الروم آية رقم ٣٨ وتكملة الآية ﴿وأولئك هم المفلحون﴾.

قال الله لموسى عليه السلام: ﴿وَاصْطَنَعْتُكَ لِنَفْسِي﴾[1] وقال عيسى عليه السلام لربه: ﴿تَعْلَمُ مَا فِي نَفْسِي وَلاَ أَعْلَمُ مَا فِي نَفْسِكَ﴾[2] قالوا: والدليل على أن له يداً قوله: ﴿بَلْ يَدَاهُ مَبْسُوطَتَانْ﴾[3] وقوله: ﴿مَا مَنَعَكَ أَنْ تَسْجُدَ لِمَا خَلَقْتُ بِيَدِي﴾[4] واعلنوا أيضاً بقوله: ﴿وَالأَرْضُ جَمِيعاً قَبْضَتُهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَالسَّمَوَاتُ مَطْوِيَّاتٌ بِيَمِينِهِ﴾[5] فقالوا: قد أخبرنا أن له يميناً، وإنّما خاطبنا بما نعقل، وعلى ما نعرف من اليمين والقبضة، قالوا: وقد قال الله عزّ وجلّ حكاية عن قول الكافر: ﴿يَا حَسْرَتَي عَلَى مَا فَرَّطتُ فِي جَنْبِ اللَّهِ﴾،[6] قالوا: فهذه الأخبار كلّها في كتاب الله عزّ وجلّ، يخبر به عن نفسه وصفته، ولن نعدو ما قال الله، وهو أعرف بصفته منكم، ويؤكد جميع ما تلونا من هذه الآي ، الحديث المروي: إنَّ الله خلق آدم على صورته،[7] فهذا الذي يتعلق به أهل التشبيه ويتطرقون به إلى تشبيههم من آي القرآن، ومن الحديث قد ذكرناه.

ونحن مبيّنون ما غلطوا فيه، ومفسرون ما ذهبوا به عن فصول الصواب، بعد أن نجيب بجملة كافية، تأتي على ما ذكروا من هذا كله، وسطروه إن شاء الله، ولا قوة إلاّ بالله.

فنقول للقوم: أخبرونا عن جميع ما خاطب الله به عباده في كتابه مما دلهم به على صفته، وعلى فعله، وغير ذلك من أخباره، وأخبار رسوله صلّى الله عليه وسلّم، أيحمل جميع ذلك على ظاهره دون سائغه، وعلى معقوله دون

(١) سورة طه آية رقم ٤١.

(٢) سورة المائدة آية رقم ١١٦.

(٣) سورة المائدة آية رقم ٦٤.

(٤) سورة ص آية رقم ٧٥.

(٥) سورة الزمر آية رقم ٦٧.

(٦) سورة الزمر آية رقم ٥٦.

(٧) الحديث رواه الإمام مسلم في كتاب البر والصلة والآداب ٣٢ باب النهي عن ضرب الوجه ١١٦ - بسنده عن أبي هريرة، أن رسول الله - صلّى الله عليه وسلّم قال: وذكره، ولفظه: «إذا قاتل أحدكم أخاه فليتجنب الوجه، فإن الله خلق آدم على صورته». ورواه الإمام البخاري في كتاب الاستئذان، ورواه أحمد بن حنبل في المسند ٢:٢٤٤، ٢٥١، ٣١٥، ٣٢٣، ٤٣٤ (حلبي).

مفهومه، وعلى حقيقته دون مجازه أو يحمل على ما يسوغ في حكمة الله تعالى وعدله، وعلى ما يليق به في صفته، دون ما لا يليق به وعلى ما تستعمله أهل اللغة والناس بينهم في خطابهم، مما تقتضيه دلالة القياس، دون عبارة اللفظ؟
فإن هم قالوا: إن جميع ذلك يحمل على المعقول دون المفهوم وعلى الظاهر دون السائغ ولو أن ذلك الظاهر والمعقول يخرج إلى غاية الفساد من القول، ونهاية المتناقض من الكلام، قيل لهم: أليس قد قال الله عزّ وجلّ: ﴿إِنَّ شَرَّ الدَّوابِ عِنْدَ اللَّهِ الصُّمُ الْبُكْمُ الَّذِينَ لاَ يَعْقِلُونَ﴾[1]، وقال: ﴿صُمٌّ بُكْمٌ عُمْيٌ فَهُمْ لاَ يَعْقِلُونَ﴾[2] وقال: ﴿صُمٌّ بُكْمٌ عُمْيٌ فَهُمْ لاَ يَرْجِعُونَ﴾[3] وقال: ﴿وَجَعَلْنَا مِنْ بَيْنِ أَيْدِيهِمْ سَدّاً وَمِنْ خَلْفِهِمْ سَدّاً فَأَغْشَيْنَاهُمْ فَهُمْ لاَ يُبْصِرُونَ﴾[4]، وقال: ﴿أَفَأَنْتَ تُسْمِعُ الصُّمَّ أَوْ تَهْدِي الْعُمْيَ﴾[5] وقال: ﴿مَا كَانُوا يَسْتَطِيعُونَ السَّمْعَ وَمَا كَانُوا يُبْصِرُونَ﴾[6]، أتحملون هذا كله على الظاهر دون السائغ من الكلام، وعلى المعقول من الخطاب دون المفهوم؟
فإن قالوا: نعم، قلنا فهم إذن صم لا أسماع لهم يسمعون بها ما يخاطبون به، وعمي لا أنظار لهم يبصرون بها ما يدلون عليه، ولا عقول لهم يعقلون بها ما يكلفون به، وبكم لا ألسنة لهم فينطقون بما يلزمهم، فينبغي على هذا المعنى أن يكون الله عزّ وجلّ خاطب مَن لا يسمع ولا يبصر، وذمه بأنه لا يسمع ولا يبصر، وكلف مَن لا يفهم التكليف، ولا يحتمله، ولا يعقله، فهذا فعل العابث السفيه ومن القول الذي لا يقول به أحد من الناس، عالم ولا جاهل، تعالى الله عن ذلك، مع أن الله عزّ وجلّ قد قال أيضاً: ﴿وَجَعَلْنَا لَهُمْ سَمْعاً وأَبْصَاراً وَأَفْئِدَةً فَمَا أَغْنَى سَمْعُهُمْ وَلاَ أَبْصَارُهُم وَلاَ أَفْئِدَتُهُمْ مِنْ

(١) سورة الأنفال آية رقم ٢٢.
(٢) سورة البقرة آية رقم ١٧١.
(٣) سورة البقرة آية رقم ١٨.
(٤) سورة يس آية رقم ٩.
(٥) سورة الزخرف آية رقم ٤٠.
(٦) سورة هود آية رقم ٢٠.

شَيْءٍ﴾[١]، فأي هذين الخبرين أولى بأن تأخذوا، وتحملوا عليه مراد مثل هذا الكلام؟ فإن رجعوا وقالوا: إن العرب قد تسمي المتعامي أعمى، والمتصامي أصمّ، ويقولون لمن عمل، عمل مَن لا يعقل لا يعقل، وإنما هذا الكلام محمول على كلام، وذلك أن المتعامي إذا تعامى صار في الجهل كالأعمى فلمّا أشبهه من وجه سمي باسمه، قلنا: قد صدقتم ولكن ما الأصل المستعمل في تسميتهم بالعمى؟ فإن قالوا: هو الذي لا نظر له قلنا: فلم زعمتم أن لهذا الذي سماه الله أعمى ناظراً وأخذتم بالمجاز والتشبيه وتركتم الأصل الذي هو هذا الاسم مطلق له؟ قالوا: إنما قلنا ذلك من أجل أن الأول، لا يجوز على الله، والثاني جائز عليه، والله لا يتكلّم بكلام إلاّ ولذلك الكلام وجه، قالوا: فإذا نظرنا في كلام الله وهو عندنا عدل غير جائز وهو يقول: **﴿صُمٌّ بُكْمٌ عُمْيٌ فَهُمْ لاَ يَعْقِلُونَ﴾**[٢]، علمنا أنهم لو كانوا منقوصين غير وافرين كانوا قد كلفوا ما لا تحتمله خلقتهم، والمكلف لعباده ما لا تحمله خلقتهم والمخاطب لهم بما لا تفي به حواسهم جائر ظالم، قالوا: فإذا كان الله لا يليق به ذلك علمنا أنهم كانوا وافرين غير عاجزين ولا منقوصين، وإذا كانوا كذلك صار الواجب[٣] أن يحكم بالمفهوم دون المعقول، وبالسائغ دون الظاهر فقلنا هم صم بكم عمي لا يعقلون ما على أنهم تعاموا وتصاموا وعملوا عمل مَن لا يعقل، فإذا قالوا ذلك، قلنا لهم: فإنّا لم نعد هذا المذهب في جميع ما سألتمونا عنه من الآي التي تلوتموها علينا، والأحاديث التي رويتموها لنا، فقد حملنا جميع ذلك على المفهوم[٤] من الكلام دون المعقول، وعلى السائغ في صفة الله تعالى، واللائق

---

(١) سورة الأحقاف آية رقم ٢٦.

(٢) سورة البقرة آية رقم ١٧١.

(٣) الواجب الشرعي: ما أثم تاركه، والواجب المطلق: هو ما لا يتوقف وجوبه على وجود مقدّمة وجوده من حيث هو كذلك كالصوم مثلاً فإنه واجب مطلقاً بالقياس إلى النيّة. والواجب المقيّد: ما يتوقف وجوده على وجود مقدّمة وجوده من حيث هو كذلك فهو كالصوم مثلاً فإنه مقيّد بالقياس إلى البلوغ.

(٤) المفهوم هو الصورة الذهنية سواء وضع بإزائها الألفاظ أو لا، كما أن المعنى هو الصورة الذهنية من حيث وضع بإزائها الألفاظ.

به، والجائز في لغة العرب مما تقتضيه دلالة القياس دون عبارة اللفظ، ويؤكده ما سواه من نص القرآن، الذي لا يعتريه تحريف التأويل، ولا يعارضه منحول التفسير ولو حملت جميع هذه الآيات التي تلوتموها، والأحاديث التي رويتموها، على أظهر ظاهرها، لخرجت إلى أفحش الفحش من الكلام، وأقبح القبيح من المقال فيما لا يقول به أحد من الناس ولا يجوزه مشبه ولا غير مشبه، فاذا تناظرت الأخبار، وتقاومت المعاني، رجع بها إلى أسوغها في صفة الله تعالى، وأليقها به في عدله عزّ وجلّ، وحكمته، وأولاها بمخاطبة العرب، فيما بينها في كلامها، ويحمل جميع ذلك على ما تقتضيه دلالة القياس التي لا يكذب مثلها، ولا يتناقض معناها إذ لا يكون في أخباره جل جلاله تكاذب، ولا في كلامه عز اسمه تناقض، وهكذا الجواب لهم، والكلام عليهم في جميع ما يتعلقون به من هذه المعاني، فحين نبهتكم على ذلك عرفتم عامته، إن شاء الله، فهذه المعارضة أصل لكل هذا الكلام الذي يدور بيننا، وبين هؤلاء القوم، في تأويل جميع ما ذكروه، وما لم يذكروا مما هو مشبه لما ذكروا، فينبغي أن يكون محفوظاً، ويتخذ أصلاً وإماماً، وإن نظرت فيه وجدته كما وصفت لك، إن شاء الله.

مسألة الاستواء:

رجع الكلام إلى الاعتلال بالاستواء وما يدور به، فأول ذلك أن قول القائل: «كذا وكذا على كذا وكذا» يتجه على وجوه كثيرة، فمنها قوله تعالى:

= وقيل هو ما دلّ عليه اللفظ لا في محل النطق، والمفهوم الكلي - هو أمر واحد في نفسه متكثر بحسب ما صدق عليه، فقد اجتمع فيه الوحدة والكثرة من جهتين ويسمى واحداً نوعياً إن كان نوعاً لجزئياته كالإنسان، وجنسياً وفصلياً على قياس النوعي وأفراده كثيرة من حيث ذواتها واحدة من حيث جزئيات المفهوم الواحد في نفسه، وتسمى واحداً بالنوع أو بالجنس أو بالفصل.

والمفهوم عند بعض أصحاب الشافعي قسمان، مفهوم المخالفة ويسمى بدليل الخطاب - وهو أن يثبت الحكم في المسكوت عنه على خلاف ما ثبت في المنطوق.

ومفهوم المخالفة: هو أن يكون المسكوت موافقاً للمنطوق في الحكم كالجزاء فوق المثقال في قوله تعالى: ﴿فمَن يعمل مثقال ذرة خيراً يره﴾ سورة الزلزلة آية ٧ وهو تنبيه بالأدنى على أنه في غيره أولى.

﴿فَإِذَا اسْتَوَيْتَ أَنْتَ وَمَنْ مَّعَكَ عَلَى الْفُلْكِ﴾[1] وهذا على معنى الالتزاق والفوق، ووجه آخر كقوله: ﴿وَعَلَى الْوَارِثِ مِثْلُ ذَلِكَ﴾[2] وهذا مثل قولهم: على دين وعليه ندر، ووجه آخر كقوله: ﴿سَلاَمٌ عَلَيْكُم بِمَا صَبَرْتُمْ﴾[3] أي وأنتم في سلام وسلامة وهذا كقول الشاعر:

سلام الله يا مطر عليها وليس عليك يا مطر السلام[4]

ووجه آخر كقوله تعالى: ﴿عَلَيْكُمْ أَنْفُسَكُمْ﴾[5]، وهذا كقول الشاعر:

عليكم دياري فاهدموها فإنها تراث كريم لا يراعي العواقبا[6]

على الإغراء، لا على غير ذلك، وهو مثل قول القائل: عليك الجادة، عليك الطريق الأعظم، ووجه آخر وهو كقوله تعالى: ﴿أَوْ كَالَّذِي مَرَّ عَلَى قَرْيَةٍ وَهِيَ خَاوِيَةٌ عَلَى عُرُوشِهَا﴾[7]، وإنما يريد أنه مرّ بحيالها ولم يرد أنه مرّ من فوقها وعلى مثل ذلك قول الشاعر:

مررنا على قيسية عامرية لها بشر صافي الأديم هجان

ووجه آخر وهو خارج من هذا كله أجمع، وهو قول الله: ﴿وَعَلَى اللَّهِ قَصْدُ السَّبِيلِ﴾[8] وقد يقول الدليل لأصحابه: ليست عليكم هداية الطريق،

---

(١) سورة المؤمنون آية رقم ٢٨.

(٢) سورة البقرة آية رقم ٢٣٣.

(٣) سورة الرعد آية رقم ٢٤.

(٤) هذا البيت من كلام الأحوص الأنصاري، وكان يهوى امرأة ويشبب بها ولا يفصح عنها، فتزوجها رجل اسمه مطر فغلب الوجد والعشق على الأحوص فقال هذا الشعر، وهذا البيت من شواهد ابن عقيل رقم ٢٠٣ وشاهد ابن عقيل فيه قوله «يا مطر» حيث نون المنادى المفرد العلم، وأبقاه على الضم حين اضطر لإقامة الوزن.

(٥) سورة المائدة آية رقم ١٠٥.

(٦) لا يقصد الشاعر مطلقاً أن دياره جاثمة عليهم ولا هي فوقهم، وإنما يقصد أن دياره ماثلة أمامهم وهي تكاد أن تكون بين أيديهم، فإن أرادوا الإبقاء عليها فعلوا وإن أرادوا الثانية كانت بين أيديهم.

(٧) سورة البقرة آية رقم ٢٥٩.

(٨) سورة النحل آية رقم ٩.

إنما هي عليّ دونكم. ووجه آخر وهو قول الله: ﴿وَاللَّهُ غَالِبٌ عَلَى أَمْرِهِ﴾[1]، وهو كقوله: ﴿الرَّحْمَنُ عَلَى العَرْشِ اسْتَوَى﴾[2] وكقوله: ﴿وَهُوَ القَاهِرُ فَوْقَ عِبَادِهِ﴾[3] قال الشاعر:

قد استوى بشر على العراق   من غير سيف ودم مهراق[4]

وهذه الكلمات الثلاثة متساوية السبك، متقاربة المعنى/، فإذا تأمل ذلك متأمل وجده كما قلناه، وذلك أنَّ قوله: (الرحمن)، مثل قوله: (اللّه)، ومثل قوله: (وهو)، وكذلك قوله: (على) مكان قوله (على)، ومكان قوله: (فوق)، وكذلك قوله: (استوى)، مكان قوله: (غالب) ومكان قوله: (القاهر)، وكذلك قوله: (العرش)، مكان قوله: (أمره) ومكان قوله: (عباده)، فهذه الكلم الثلاث متشابهة في العبارة، والإشارة، فلا تجوزن أيدك اللّه بالذي فسرنا منها صفحاً توفق إن شاء اللّه.

وبعد فإذا كان ـ على ـ يتصرف بهذه الوجوه كلها فلم حملتم قوله: (على العرش)، على معنى الالتزاق، والفوق دون هذا الذي ذكرنا وعددنا؟ وأما الذي ذكروه في تثبيت العرش على المعقول، وما احتجوا به على ذلك فإنَّ الذين زعموا من المتكلمين أنَّ قوله: (عرش[5])، إنما هو مثل ومجاز من مجازات العرب، وليس في السماء شيء يقال له عرش، وإنما هو عندهم على معنى قوله:

---

(١) سورة يوسف آية رقم ٢١.

(٢) سورة طه آية رقم ٥.

(٣) سورة الأنعام آية رقم ١٨.

(٤) قد ذكر الإمام القرطبي هذا البيت في تفسيره عند قوله تعالى: ﴿ثمّ استوى على العرش﴾ دون أن ينسبه لقائله وذكر أقوال علماء الكلام فقال: والأكثر من المتقدمين والمتأخرين أنه إذا وجب تنزيه الباري سبحانه عن الجهة والتحيّز فمن ضرورة ذلك ولواحقه اللازمة عليه عند عامة المسلمين المتقدمين وقادتهم من المتأخرين تنزيه الله تعالى عن الجهة، فليس بجهة فوق عندهم لأنه يلزم من ذلك متى اختصّ بجهة أن يكون في مكان أو حيز ويلزم على المكان والحيز الحركة والسكون للمتحيّز والتغيّر والحدوث. راجع تفسير القرطبي ٢١٩:٧.

(٥) روى أنَّ عمر بن الخطاب ـ رضي اللّه عنه ـ رُؤِيَ في المنام فقيل ما فعل بك ربك..؟ فقال: «لولا أن تداركني برحمته لثل عرشي.»

(لقد كاد يهد عرشي لولا أن تداركني منه برحمة) وعلى مجرى قول العرب: قد ثل عرش بني فلان، وقد شالت نعامتهم[1]، وعلى قول الشاعر:

رفعت بني حواء إذ مال عرشهم ... وذلك مني في صريم مصلل

وعلى قول الشماخ:

ولما رأيت الأمر عرش هوية ... تسليت حاجات النفوس بشمرا

وقالوا: في الكرسي[2] مثل ذلك وأنشدوا:

كراسي بالأحداث بيض وجوههم ... كأنهم في الساجيات الكواكب

قد فروا من شيء، وليس في ذلك الشيء الذي فروا منه شيء، ينقض عليهم من قولهم شيئاً. فقلنا في هذا إنَّه لما كان أسفل الأشياء الثرى، وما تحت الثرى وكان أعلى الأشياء السماء السابعة، ثمّ الكرسي، ثمّ العرش، وكان اللّه قد جعل للأعلى في القلوب من التعظيم والقدر والشرف ما لم يجعل للأسفل، كما عظم بعض الشهور وبعض الأيام، وبعض الليالي، وبعض الساعات، وبعض البقاع وكان قد جعل للعرش ما لم يجعل للكرسي، وجعل

---

(١) يقال: شالت نعامته، إذا خفَّ وغضب، ثمّ سكن وشالت نعامتهم: إذا تفرقت كلمتهم، أو ذهب عزهم، أو ماتوا، والنعامة: الجماعة، والشول: بقية الماء في الدلو أو السقاء.

(٢) الكرسي: في تعارف العامة: اسم لما يقعد عليه قال: «وألقينا على كرسيه جسداً ثمّ أناب سورة صّ آية ٣٤» وهو في الأصل منسوب إلى الكُرس أي المتلبد أي المجتمع، ومنه الكراسة للمتكرس من الأوراق وكرست البناء فتكرَّس، قال العجاج:

يا صاح هل تعرف رسماً مكرساً ... قال: نعم أعرفه، وأبلسا

والكرْس أصل الشيء يقال هو قديم الكرْس، وكل مجتمع من الشيء كرس، والكروس المتركبُ بعض أجزاء رأسه إلى بعض لكبره وقوله تعالى: ﴿وسع كرسيه السموات والأرض.﴾ سورة البقرة آية ٢٥٥ وقد رُوي عن ابن عباس أنَّ الكرسي العلم. وقيل: كرسيه ملكه، وقال بعضهم: هو اسم الفلك المحيط بالأفلاك قال: «ويشهد لذلك ما رُوي: ما السموات السبع في الكرسي إلاَّ كحلقة ملقاة بأرض فلاة.» راجع تفسير القرطبي عند تفسير هذه الآية، وتفسير الطبري أيضاً. والمفردات في غريب القرآن.

للكرسي ما لم يجعل للسماء السابعة فذكر العرش والكرسي والسماء بما لم يذكر به شيئاً من سائر خلقه، وذكر مرة العرش والكرسي والسماء في جملة الخلق، وأنَّه عال على جميعها بالقدرة وبالسلطان والقوة حيث قال: ﴿وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾[1] وقال: ﴿وَكَانَ اللَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيراً﴾[2]، وحيث قال: ﴿إِنَّ رَبِّي عَلَى كُلِّ شَيْءٍ حَفِيظٌ﴾[3] وقال: ﴿وَهُوَ القَاهِرُ فَوْقَ عِبَادِهِ﴾[4] وقال: ﴿وَكَانَ اللَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ مُقْتَدِراً﴾[5] والعرش شيء، وهو عال عليه بالقدرة، وظاهر عليه بالسلطان، وخصه بالذكر إذ كان مخصوصاً بالنباهة، وأنَّه فوق جميع الخلق، فذكره مرة بالجملة، ومرة بالأبانة، وقال: ﴿وَسَعَ كُرْسِيُّهُ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضَ، وَلاَ يَؤُودُهُ حِفْظُهُمَا وَهُوَ العَلِيُّ العَظِيمُ﴾[6]، فأخبر أنَّه عال عليه، وحافظه، ومقيم له، ومانع له من الزوال، وقوله عرشه، (كرسيه) كقولك بيته، ولو كان متى ذكر كرسياً وعرشاً وجب الجلوس عليهما، كان متى ذكر بيته فقد وجب أنَّه ينزله ويسكنه، وليس بين بيته وعرشه وكرسيه وسمائه فرق، ولو كنا إذا قلنا سماؤه فقد جعلناه فيها، كنا إذا قلنا أرضه فقد جعلناه فيها، قال اللّه: ﴿مَنْ كَانَ عَدُواً لِلَّهِ وَمَلاَئِكَتِهِ وَرُسُلِهِ وَجِبْرِيلَ وَمِيكَائِيلَ، فَإِنَّ اللَّهَ عَدُوٌّ لِلْكَافِرِينَ﴾[7]، فأدخلهما في جملة الملائكة ثمّ أبانهما إذ كانا بائنين من بين سائر الملائكة، وقال: ﴿فِيهِمَا فَاكِهَةٌ وَنَخْلٌ وَرُمَّانٌ﴾[8] وكذلك سبيل القول في العرش وفي الكرسي

(١) سورة المائدة آية رقم ١٢٠.

(٢) سورة الأحزاب آية رقم ٢٧.

(٣) سورة هود آية رقم ٥٧ وقد جاءت هذه الآية محرفة في المطبوعة، وقد أشار إليها المحقق في الهامش - ولكن آيات القرآن يجب أن تصحح ويشار إلى ذلك في الهامش.

(٤) سورة الانعام آية رقم ١٨.

(٥) سورة الكهف آية رقم ٤٥.

(٦) سورة البقرة آية رقم ٢٥٥.

(٧) سورة البقرة آية رقم ٩٨.

(٨) سورة الرحمن آية رقم ٦٨.

والسماء دون الأرض والحوت والثرى وما تحت الثرى، ومتى ما ذكر أنَّه عال على العرش، وظهر عليه، فقد أخبر أنَّه عال على كل شيء، فمرة يذكر العرش، ومرة يذكر الكرسي دون العرش، ومرة يذكر السماء دون الأرض، ومرة يذكر السماء والأرض جميعاً، ومرة يقول: ﴿وَهُوَ اللَّهُ فِي السَّمَوَاتِ وَفِي الأَرْضِ﴾[1] ومرة: ﴿وَهُوَ الَّذِي فِي السَّمَاءِ إِلَهٌ وَفِي الأَرْضِ إِلَـهٌ﴾[2]، ومرة يقول: ﴿أَأَمِنْتُم مَّن فِي السَّمَـاءِ أَنْ يَخْسِفَ بِكُمُ الأَرْضَ﴾[3]، وترك ذكر الأرض، فلو كان إذاً ذكر السماء دون الأرض كان ذلك دليلاً على أنَّه ليس في الأرض، كان في ذكره أنَّه على العرش دليل على أنَّه ليس في السماء، وقد قال: ﴿أَمْ أَمِنْتُم مَّنْ فِي السَّمَاءِ﴾[4] فمرة يذكر معاظم الأمور، وجلائل الخلق وكبار الأجسام وأعالي الأجرام، ومرة يذكر كل شخص حيث كان وأينما كان بقوله: ﴿مَا يَكُونُ مِنْ نَجْوَى ثَلاَثَةٍ إِلاَ هُوَ رَابِعُهُمْ وَلاَ خَمْسَةٍ إِلاَّ هُوَ سَادِسُهُم، وَلاَ أَدْنَى مِنْ ذَلِكَ، وَلاَ أَكْثَرَ إِلاَّ هُوَ مَعَهُمْ أَيْنَمَا كَانُوا﴾[5] وقال: ﴿وَنَحْنُ أَقْرَبُ إِلَيْهِ مِنْ حَبْلِ الْوَرِيدِ﴾[6]، ﴿وَنَحْنُ أَقْرَبُ إِلَيْهِ مِنْكُمْ وَلَكِنْ لاَّ تُبْصِرُون﴾[7]، فيقال للقوم على ماذا تحملون ما ذكرنا من أخبار اللّه تعالى عن كونه في هذه الأشياء كلها، أعلى ما يعقل من كون الجسم في المكان؟ فإذا قالوا: نعم، قيل لهم: فكيف وقد قال اللّه: ﴿عَلَى الْعَرْشِ﴾[8] ﴿وَفِي السَّمَاءِ﴾[9] ﴿وَفِي

---

(١) سورة الأنعام آية رقم ٣.

(٢) سورة الزخرف آية رقم ٨٤.

(٣) سورة الملك آية رقم ١٦.

(٤) سورة الملك آية رقم ١٧.

(٥) سورة المجادلة آية رقم ٧.

(٦) سورة ق آية رقم ١٦.

(٧) سورة الواقعة آية رقم ٨٥.

(٨) ﴿الرحمن على العرش استوى﴾. سورة طه آية رقم ٥

(٩) ﴿وفي السماء رزقكم وما توعدون﴾ ﴿وهو الذي في السماء إله وفي الأرض إله.﴾ سورة الزخرف آية رقم ٨٤.

الأَرْضِ ﴾[1] ﴿وَفِي المشْرِق﴾، عند نجوى الثلاثة ﴿وفي المغرب﴾ عند نجوى الخمسة، وفي ﴿القطر الآخر﴾ عند أدنى من ذلك وفي ﴿الآخر﴾ عند أكثر، وقد قال عزّ وجلّ: ﴿إِلاَّ هُوَ مَعَهُمْ أَيْنَمَا كَانُوا﴾[2] فإن قالوا: على معنى القدرة، أو على معنى العلم أو على غير ذلك من التأويل، قلنا: قد صرتم إلى المجازات وتركتم المعقولات، مما عليه ظاهر الكلام، فلم أبيتم ذلك علينا حين زعمنا أنَّ تأويل قوله: ﴿الرَّحْمَنُ عَلَى الْعَرْشِ اسْتَوَى﴾[3] ليس هو على كون الملك على سريره؟ بل هو على معنى العلم والحفظ والقدرة، والإحاطة والظهور بالسلطان والقدرة، وهذا أيدك اللّه من الأصل الذي وصينا بحفظه أولاً.

وإما تأويل قوله: ﴿اسْتَوَى عَلَى الْعَرْشِ ﴾[4]، فقد زعم أصحاب التفسير عن عبداللّه بن عباس، وهو صاحب التأويل، والناس عليه عيال، أنَّ تأويل (استوى): استولى، وأنشدوا:

قد استوى بشر على العراق ... من غير سيف ودم مهراق[5]

قال اللّه عزّ وجلّ: ﴿وَلَمَّا بَلَغَ أَشُدَّه آتَيْنَاهُ حُكْماً وَعِلْماً﴾[6] وقال الشاعر يرثي ابنه:

حين استوى وعلا الشباب به ... وبدا منير الوجه كالبدر

وأما قوله عزّ وجلّ: ﴿ثُمَّ اسْتَوى﴾[7] فإن ـ ثمّ ـ قد يكون على

---

(١) قال تعالى: ﴿وهو اللّه في السموات وفي الأرض يعلم سركم وجهركم ويعلم ما تكسبون﴾ الأنعام آية رقم ٣.

(٢) سورة المجادلة آية رقم ٧.

(٣) سورة طه آية رقم ٥.

(٤) سورة الأعراف آية رقم ٥٤.

(٥) سبق تخريج هذا البيت.

(٦) سورة يوسف آية رقم ٢٢.

(٧) سورة الأعراف آية رقم ٥٤.

الاستئناف وعلى غير الاستئناف، وإنما أراد بقوله: ﴿ثُمَّ اسْتَوى عَلَى الْعَرْشِ﴾ أي هو مع خلقه السموات والأرض قد استوى على العرش، ولم يرد أنَّ ذلك شيء بعد شيء وقد قال: ﴿أَوْ إِطْعَامٌ فِي يَوْمٍ ذِي مَسْغَبَةٍ يَتِيماً ذَا مَقْرَبَةٍ أَوْ مِسْكِيناً ذَا مَتْرَبَةٍ ثُمَّ كَانَ مِنَ الَّذِينَ آمَنُوا﴾[1]، ولم يرد أنَّه فعل ما فعل ثمّ كان بعد فعله من الذين آمنوا، وقال عزّ وجلّ: ﴿ثُمَّ لَنَحْنُ أَعْلَمُ بِالَّذِينَ هُمْ أَوْلَى بِهَا صِلِيّاً﴾[2] فلو أراد بذلك الاستئناف لكان يجب أن يكون اللّه تعالى مستأنفاً لعلم ما قد علم من ذلك، وأما قوله: ﴿ثُمَّ اسْتَوى إِلَى السَّماءِ وَهِيَ دُخَانٌ﴾[3]، فكيف ينهيأ الاستواء على الدخان إذا كان ذلك على ما يتوهمه المشبهة من الحلول؟ وكذلك قوله: ﴿عَلَى الْعَرْشِ اسْتَوى﴾[4]، ولو كان ذلك على ما يتوهمونه من الاستواء بعد الاعوجاج[5]، لكان ينبغي أن يكون اللّه جلّ جلاله، في أول ما جلس على العرش لم يكن متمكناً، فهو إذن يعجز عن حسن الجلسة، حتى يريد أن يتأتى له، ويمكن نفسه، وما يخلو المتوهم بهذا أو القائل به، من أن يكون غبياً منقوصاً، أو معانداً عابثاً تعالى اللّه عن جميع ما قالوا علواً كبيراً.

القول في المجيء:

فإن قالوا: ما معنى قوله: ﴿وَجَاءَ رَبُّكَ وَالْمَلَكُ صَفّاً صَفّاً﴾[6]؟ قلنا

---

(١) سورة البلد آية رقم ١٤، ١٥، ١٦، ١٧ وقد جاء في المطبوعة أنّها آية ١٨ وهو خطأ.

(٢) سورة مريم آية رقم ٧٠.

(٣) سورة فصلت آية رقم ١١.

(٤) سورة طه آية رقم ٥ وقد جاءت في المطبوعة على أنّها سورة الأعراف ٥٤ وهذا خطأ.

(٥) يقول الإمام ابن كثير: نسلك في هذا المقام مذهب مالك، والأوزاعي، والثوري، والليث بن سعد، والشافعي، وأحمد، وإسحاق بن راهويه، وغيرهم من أئمة المسلمين قديماً وحديثاً وهو امرارها كما جاءت من غير تكييف ولا تشبيه ولا تعطيل، والظاهر المتبادر إلى أذهان المشبهين منفي عن اللّه فإنّ اللّه لا يشبهه شيء من خلقه، وليس كمثله شيء وهو السميع البصير، بل الأمر كما قال الأئمة منهم نعيم بن حماد الخزاعي شيخ البخاري قال: من شبه اللّه بخلقه كفر.

(٦) سورة الفجر آية رقم ٢٢.

لهم: وقد قال أيضاً: ﴿وَلَقَدْ جِئْنَاهُمْ بِكِتَابٍ فَصَّلْنَاهُ عَلَى عِلْمٍ﴾[1]، أتقولون: إنه جاء إليهم في الأرض وهو في السماء بزعمكم؟ وقال: ﴿فَأَتَى اللَّهُ بُنْيَانَهُمْ مِنَ القَوَاعِدِ﴾[2] أفتقولون: إنه ظهر لهم من تحت الأرض؟ وقال: ﴿ذَهَبَ اللَّهُ بِنُورِهِمْ﴾[3] أفتقولون ذهب به من الأرض إلى السماء أو ما تقولون في أمثال هذا من أخبار الله تعالى عن نفسه بالإتيان، والذهاب، وهو كثير؟ فإن قلتم إنما جاءهم الكتاب من عند الله ولم يأتهم الله بنفسه، وقلتم إن معنى قوله: ﴿فَأَتَى اللَّهُ بُنْيَانَهُمْ مِنَ الْقَوَاعِدِ﴾[4] أي: أبطل مكرهم بالنبيّ صلى الله عليه وسلم وكيدهم له، ﴿ذَهَبَ اللَّهُ بِنُورِهِمْ﴾[5] أي أذهب نورهم قلنا لهم: قد صرتم إلى المجازات وتركتم قطع الشهادات، فكذلك قولنا في قوله: ﴿وَجَاءَ رَبُّكَ وَالْمَلَكُ صَفّاً صَفّاً﴾[6] أي جاء أمره وثوابه وعقابه[7]، وقد يقول الرجل: لعبده لا جاء الله بك ولا ذهب بك، وليس يريد أن لله في نفسه ذهاباً ومجيئاً فعلى هذا المعنى قال الله: ﴿وقال ربّك﴾ وقد نقول: الآخرة آتية وجائية، والدنيا ذاهبة وفانية وماضية وإنما نعني أنها فانية، ليس أنها تخرج من مكان إلى مكان، وكذلك إذا قلنا الآخرة جائية، وليس نريد أنها تخرج من مكان إلى مكان، وقد قال: ﴿وَجِيءَ يَوْمَئِذٍ بِجَهَنَّمَ﴾[8]

(١) سورة الأعراف آية رقم ٥٢.

(٢) سورة النحل آية رقم ٢٦.

(٣) سورة البقرة آية رقم ١٧.

(٤) سورة النحل آية رقم ٢٦.

(٥) سورة البقرة آية رقم ١٧ قد جاءت في المطبوعة محرفة حيث قال «وذهب» بزيادة (الواو).

(٦) سورة الفجر آية رقم ٢٣.

(٧) ساق الفخر الرازي في هذا المعنى فصلاً مشبعاً في قوله تعالى: ﴿يأتيهم الله﴾ وقوله ﴿وجاء ربّك﴾ أخبار عن حال القيامة ثم ذكر هذه الواقعة بعينها في سورة النحل فقال: هل ينظرون إلاّ أن تأتيهم الملائكة أو يأتي أمر ربّك. فصار هذا المحكم مفسراً لذلك المتشابه لأن كل هذه الآيات لما وردت في واقعة واحدة لم يبعد حمل بعضها على بعض وقال تعالى ﴿وقضي الأمر﴾ ولا شك أن الألف واللام للمعهود السابق فلا بد وأن يكون قد جرى ذكر أمر قبل ذلك حتى تكون الألف واللام إشارة إليه وما ذاك إلاّ الذي أضمرناه من أن قوله ﴿يأتيهم الله﴾ أي يأتيهم أمر الله.

(٨) سورة الفجر آية رقم ٢٣.

ليس يريد أن جهنم تحمل وترفع من مكان إلى مكان، وإنما يريد أنها حاضرة موجودة، وهذا بحمد الله واضح، وكذلك روي في التفسير عن الكلبي[1] عن أبي صالح، عن ابن عباس رضي الله عنهما في قوله: ﴿وَجَاءَ رَبُّكَ﴾[2] أي جاء أمر ربّك وقضاؤه وكذلك في قوله: ﴿أَنْ يَأْتِيَهُمُ اللَّهُ﴾[3] أي أن يأتيهم أمره وقضاؤه،[4] فيفصل بينهم وهو قول الحسن ومجاهد. قال الحسن يعني بأمره وقضائه، وكذلك قال أبو صالح صاحب التفسير، وجاء أمر ربك أي قضاؤه، فإن قالوا: ما معنى قوله: ﴿وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَاضِرَةٌ إِلَى رِبِّهَا نَاظِرَةٌ﴾[5] وقوله: ﴿تَحِيَّتُهُمْ يَوْمَ يَلْقَوْنَهُ سَلاَمٌ﴾[6]؟ قلنا: فقد قال أيضاً: ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى رَبِّكَ كَيْفَ مَدَّ الظِّلَ﴾[7] فهو إذن يرى عند امتداد جميع الظل فإن قالوا: إنما أراد ألم تر إلى امتداد الظل كيف مده الله، قيل لهم: من أين جاز لكم أن تحملوه على المجاز دون المعقول؟ فإن قالوا: من قبل أن الله تعالى لا يوصف بالظهور عند جميع الظلال، قيل لهم: نعد هذا الجواب في جميع ما سألتم عنه

---

(١) هو محمد بن السائب بن بشر بن عمرو بن الحارث الكلبي، أبو النضر، نسابة، راوية، عالم بالتفسير والأخبار، وأيام العرب، من أهل الكوفة مولده ووفاته بها عام ١٤٦هـ ـ صنف كتاباً في التفسير ـ وهو ضعيف الحديث. قال النسائي: حدث عنه ثقات الناس، ورضوه في التفسير، وأمّا الحديث ففيه مناكير وقيل: كان سبئياً ـ وهو أبو هشام صاحب كتاب الأصنام. راجع تهذيب التهذيب ١٧٨:٩ ووفيات الأعيان ٤٩٣:١، وميزان الاعتدال ٦١:٣.

(٢) سورة الفجر آية رقم ٢٢.

(٣) سورة البقرة آية رقم ٢١٠.

(٤) يقول الإمام الطبري عند تفسيره لهذه الآية: وقال آخرون معنى قوله: ﴿هل ينظرون إلاّ أن يأتيهم الله﴾ يعني به: هل ينظرون إلاّ أن يأتيهم أمر الله كما يقال: قد خشينا أن يأتينا بنو أمية يراد به: حكمهم.
وقال آخرون: بل معنى ذلك: هل ينظرون إلاّ أن يأتيهم ثوابه وحسابه وعذابه، كما قال عزّ وجلّ: ﴿بل مكر الليل والنهار﴾ سورة سبأ ٣٣ وكما يقال: قطع الوالي اللص أو ضربه وإنما قطعه أعوانه، والله أعلم.

(٥) سورة القيامة آية رقم ٢٣.

(٦) سورة الأحزاب آية رقم ٤٤.

(٧) سورة الفرقان آية رقم ٤٥.

من هذا ومثله فنقول: في قوله: ﴿مَنْ كَانَ يَرْجُو لِقَاءَ رَبِّـهِ﴾[1] و﴿يَوْمَ يَلْقَوْنَهُ﴾[2] و﴿هم بِلِقاءِ رَبِّهِمْ كَافِرُونَ﴾[3] إنما هو على معنى يلقون ما وعد لهم من الثواب والعقاب، ولو كان ذلك على ما يتوهمونه من أن المؤمنين يلقونه ويرونه دون الكافرين، لما قال: ﴿بَلْ هُمْ بِلِقَاءِ رَبِّهِمْ كَافِرُونَ﴾[4] وأنتم تزعمون أن الكافرين لا يلقونه وقوله: ﴿وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَاضِـرَةٌ إِلَى رَبِّهَـا نَاظِـرَةٌ﴾[5] فقد قـال أهل التفسـير: إن النظر هـا هنا عـلى معنى الانتظار،[6] جُوَيْبِرٌ[7] عن الضحاك[8] عن ابن عباس أنه رأى رجلاً يدعو ربه شاخصاً بصره إلى السماء، رافعاً يده فوق رأسه، فنهاه ابن عباس عن ذلك، فقال: إنك لن تراه، ولن تناله، فقال الرجل: ولا في الآخرة؟ فقال: ولا في الآخرة، فقال الرجل: فما وجه قول الله عزّ وجلّ: ﴿وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَاضِرَةٌ إِلَى رَبِّهَا نَاظِرَةٌ﴾[9] فقال ابن عبـاس: ألست تقرأ قـوله: ﴿لاَ تُـدْرِكُه الأَبْصَارَ وَهُوَ يُدْرِكُ الأَبْصَارَ﴾[10] ثم قـال ابن عباس:[11] إن أوليـاء الله

---

(١) سورة الكهف آية رقم ١١٠ وسورة العنكبوت آية رقم ١٥.

(٢) سورة الأحزاب آية رقم ٤٤ وتكملة الآية ﴿سلام وأعد لهم أجراً كريماً﴾.

(٣) سورة السجدة آية رقم ١٠ وقد جاءت الآية في المطبوعة بدون (بل).

(٤) سورة السجدة آية رقم ١٠.

(٥) سورة القيامة آية رقم ٢٣.

(٦) قال الطبري: حدّثنا أبو كريب قال: ثنا عمر بن عبيد، عن منصور عن مجاهد ﴿وجوه يومئذ ناضرة إلى ربها ناظرة﴾ قال تنتظر الثواب.

وعن مجاهد إنه سئل: إن ناساً يقولون إنه يُرى. قال: يَرى ولا يراه شيء.

(٧) هو أبو القاسم بن سعيد الأزدي ويقول الدكتور الطالبي راجع فهرس الجامع الصحيح، مسند الربيع ابن حبيب ص ٢٨ ويقول أيضاً: ويبدو أنه من أهل القرن الثاني للهجرة لأخذه عن الضحاك. وفي (د) جوير، وصوابه جويبر. راجع مسند الربيع ١٧:٣.

(٨) هو الضحاك بن مزاجم البلخي الخراساني، أبو القاسم كان معلماً للصبيان، ويقال كان يطوف على أكثر من ٣٠٠٠ صبي على حماره ويعد من المفسرين، وله مؤلف فيه، وثقه الإمام أحمد وابن معين توفي بخراسان سنة ١٠٥هـ ٧٢٣م. راجع العبر ١٢٤:١ والمحبر ٤٧٥ وميزان الاعتدال ٤٧١:١.

(٩) سورة القيامة آية رقم ٢٣.

(١٠) سورة الأنعام آية رقم ١٠٣.

(١١) هو عبدالله بن عباس بن عبد المطلب القرشي الهاشمي أبو العباس، حبر الأمة، الصحابي الجليل، ولد =

تنضر وجوههم يوم القيامة، أي تشرق، ثم ينظرون إلى ربهم متى يأذن لهم في دخول الجنة، بعد الفراغ من الحساب وقال: ﴿وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ بَاسِرَةٌ﴾[1] يعني كالحة، ﴿تَظُنُّ أَنْ يُفْعَلَ بِهَا فَاقِرَةٌ﴾[2] قال: يتوقعون العذاب بعد العذاب، وكذلك قوله: ﴿إلى ربّها ناظرة﴾ ينتظر أهل الجنة الثواب بعد الثواب والكرامة بعد الكرامة، وروي مثل ذلك عن علي بن أبي طالب[3] في قوله: ﴿وجوه يومئذ ناضرة إلى ربها ناظرة﴾، قال: تنضر وجوههم إلى ربها، ناظرة، قال: تنتظر متى يأذن لهم ربهم في دخول الجنة ولا يعني الرؤية لأن الأبصار لا تدركه كما قال: ﴿لاَ تُدْرِكُهُ الأَبْصَارُ وَهُوَ يُدْرِكُ الأَبْصَارَ وَهُوَ اللَّطِيفُ الْخَبِيرُ﴾[4] وروي مثل ذلك عن محمد بن المنكدر،)[5] وقال محمد: ما رأيت أحداً له عقل يقول: إن الله يراه أحد من خلقه، وتلا هذه الآية: ﴿وَقَالَ الَّذِينَ لاَ يَرْجُونَ لِقَاءَنَا لَوْلاَ أُنْزِلَ عَلَيْنَا المَلاَئِكَةُ أَوْ نَرَى رَبَّنَا،

= بمكة عام ٣ ق.هـ ونشأ في بدء عصر النبوة فلازم رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ وروى عنه الأحاديث الصحيحة، وشهد مع علي الجمل وصفين، وكف بصره في آخر عمره فسكن الطائف، وتوفي بها له في الصحيحين وغيرهما ١٦٦٠ حديثاً قال ابن مسعود: نعم ترجمان القرآن ابن عباس ينسب إليه كتاب في تفسير القرآن. راجع الإصابة ت ٤٧٧٢ وصفة الصفوة ٣١٤:١ وحلية ٣١٤:١ وتاريخ الخميس ١٦٧:١.

(١) سورة القيامة آية رقم ٢٤.

(٢) سورة القيامة آية رقم ٢٥.

(٣) هو علي بن أبي طالب بن عبد المطلب الهاشمي القرشي أبو الحسن أمير المؤمنين ورابع الخلفاء الراشدين، وأحد العشرة المبشرين بالجنة، وابن عم الرسول ـ صلى الله عليه وسلم ـ أول الناس إسلاماً بعد خديجة، ولد بمكة عام ٢٣ ق هـ وربي في حجر النبي ـ صلى الله عليه وسلم ـ ولم يفارقه ـ وكان اللواء بيده في كثير من المشاهد قتل عام ٤٠هـ. راجع صفة الصفوة ١١٨:١ واليعقوبي ١٥٤:٢ وشرح نهج البلاغة ٥٧٩:٢.

(٤) سورة الأنعام آية رقم ١٠٣.

(٥) هو محمد بن المنكدر بن عبدالله بن الهدير، بن عبد العزى القرشي التيمي (من بني تيم بن مرة) المدني، زاهد من رجال الحديث من أهل المدينة، أدرك بعض الصحابة، وروى عنهم له نحو مئتي حديث قال ابن عيينة: ابن المنكدر من معادن الصدق توفي بعد عام ١٣٠هـ. راجع تاريخ الإسلام للذهبي ١٥٥:٥ ١٥٨، وتهذيب التهذيب ٤٧٣:٩ وخلاصة تهذيب الكمال ٣٠٨.

لَقَدْ اسْتَكْبَرُوا فِي أَنْفُسِهِمْ، وَعَتَوْا عُتُواً كَبِيراً﴾[1] ثم قال: ﴿يَوْمَ يَرَوْنَ المَلاَئِكَة﴾[2].

ومثل هذا روي عن مالك بن أنس[3] المدني وتلا مالك هذه الآية: ﴿وَقال الذين لا يرجون لقاءنا﴾[4] إلى قوله: ﴿وَعَتَوْا عُتُواً كَبِيراً﴾[5]، فقال؛ أشركوا شركاً عظيماً وقال علي بن أبي طالب وعبدالله بن عباس، وعائشة أم المؤمنين، ومجاهد، وإبراهيم النخعي[6] والحسن بن أبي الحسن البصري، ومكحول الدمشقي[7] وعطاء بن يسار،[8]

---

(١) سورة الفرقان آية رقم ٢١.

(٢) سورة الفرقان آية رقم ٢٢.

(٣) هو مالك بن أنس بن مالك الأصبحي الحميري، أبو عبدالله، إمام دار الهجرة، وأحد الأئمة الأربعة عند أهل السنّة وإليه تنسب المالكية، مولده عام ٩٣هـ ووفاته ١٧٩هـ بالمدينة. كان صلباً في دينه بعيداً عن الأمراء والملوك، وشى به إلى جعفر عم المنصور العباسي فضربه سياطاً انخلعت لها كتفه.. صنف الموطأ، وله رسالة في الوعظ ورسالة في الرد على القدرية، وكتاب في تفسير غريب القرآن. راجع الديباج المذهب ١٧ ـ ٣٠ والوفيات ١:٤٣٩ وتهذيب التهذيب ١٠ ـ ٥ وصفة الصفوة ٢:٩٩.

(٤) جاء في المطبوعة أنها آية ١٢١ من سورة الفرقان وهو خطأ صوابه ٢١.

(٥) جاء في المطبوعة أنها آية ١٢٢ من سورة الفرقان وهو خطأ صوابه ٢٢.

(٦) هو إبراهيم بن يزيد بن قيس بن الأسود أبو عمران النخعي من مذجح من أكابر التابعين صلاحاً وصدقاً، ورواية وحفظاً للحديث، من أهل الكوفة مات مختفياً من الحجاج. قال فيه الصلاح الصفدي: فقيه العراق، كان إماماً مجتهداً له مذهب، ولما بلغ الشعبي موته قال: والله ما ترك بعده مثله. راجع طبقات ابن سعد ٦:١٨٨، ١٩٩ وتهذيب التهذيب وحلية ٤:٢١٩ وطبقات القراء ١:٢٩.

(٧) هو مكحول بن أبي مسلم شهراب بن شاذل، أبو عبدالله، الهذلي بالولاء، فقيه الشام في عصره، من حفاظ الحديث، أصله من فارس ومولده بكابل سبي وصار مولى لامرأة بمصر، من هذيل فنسب إليها واعتق وتفقه، ورحل في طلب الحديث إلى العراق والمدينة وطاف كثيراً من البلدان واستقر في دمشق وتوفي بها عام ١١٢هـ قال الزهري: لم يكن في زمنه أبصر منه بالفتيا. راجع تذكرة الحفاظ ١:١٠١ وحسن المحاضرة ١١٩ وتهذيب التهذيب ١٠ ـ ٢٨٩ والجرح والتعديل ٤ القسم ١:٤٠٧.

(٨) هو عطاء بن يسار الهلالي أبو محمد المدني القاص، مولى ميمونة زوج النبي ـ صلى الله عليه وسلم ـ وهو أخو سليمان وعبد الملك، وعبدالله بن يسار روى عن معاذ بن جبل، وفي سماعه منه نظر، وعن أبي ذر وأبي الدرداء وعبادة بن الصامت، وزيد بن ثابت، ومعاوية بن الحكم السلمي وأبي أيوب وغيرهم. روى عنه أبو سلمة بن عبد الرحمن ـ وهو من أقرانه ومحمد بن عمر بن عطاء وغيرهم قال البخاري وابن سعد سمع من ابن مسعود وقال ابن معين وأبو زرعة والنسائي ثقة. مات سنة ثلاث ومائة وقال غيره سنة ٩٤ وقيل توفي بالإسكندرية. راجع تهذيب التهذيب ٧:٢١٧ ـ ٢١٨.

وسعيد بن المسيب[1]، وسعيد بن جبير[2] والضحاك بن مزاحم وأبو صالح صاحب التفسير، وعكرمة[3]، ومحمد بن كعب القرظي[4] وابن شهاب الزهري:[5] إن الله لا يراه أحد من خلقه وأمّا تأويل المشبهة لقول الله تعالى: ﴿لِلَّذِينَ أَحْسَنُوا الْحُسْنَى وَزِيَادَةٌ﴾[6] فقالوا إن الحسنى هي الجنة، ولا نجد

---

(١) هو سعيد بن المسيب بن حزن بن أبي وهب المخزومي القرشي أبو محمد سيد التابعين، وأحد الفقهاء السبعة بالمدينة جمع بين الحديث والفقه والزهد والورع وكان يعيش من التجارة بالزيت لا يأخذ عطاء وكان أحفظ الناس لأحكام عمر بن الخطاب وأقضيته حتى سمي راوية عمر. توفي بالمدينة عام ٩٤هـ. راجع طبقات بن سعد ٨٨:٥ والوفيات ٢٠٦:١ وصفة الصفوة ٤٤:٢ وحلية ٢٦١:٢.

(٢) سعيد بن جبير الأسدي بالولاء، الكوفي أبو عبدالله تابعي، كان أعلمهم على الإطلاق، وهو حبشي الأصل من موالي بني والبة بن الحارث بن أسد أخذ العلم عن عبدالله بن عباس وابن عمر. قبض عليه خالد القسري وأرسله إلى الحجاج فقتله فقال أحمد بن حنبل قتل الحجاج سعيداً وما على وجه الأرض مفتقر إلى علمه وكان ذلك عام ٩٥ هـ. راجع وفيات الأعيان ٢٠٤:١ وطبقات ابن سعد ١٧٨:٦ وتهذيب التهذيب ١١:٤ وحلية الأولياء ٢٧٢:٤.

(٣) هو عكرمة بن عبد الله البربري المدني أبو عبدالله، مولى عبدالله بن عباس تابعي، كان من أعلم الناس بالتفسير والمغازي طاف البلدان، وروى عنه زهاء ثلاثمائة رجل منهم أكثر من سبعين تابعياً وذهب إلى نجدة الحروري فأقام عنده ستة أشهر ثمّ كان يحدث برأي نجدة، وخرج إلى بلاد المغرب فأخذ عنه أهلها رأي الصفرية، وعاد إلى المدينة فطلبه أميرها فتغيّب عنه حتى مات ١٠٥هـ. راجع تهذيب التهذيب ٢٦٣:٧ وحلية الأولياء ٣٢٦:٣ وميزان الاعتدال ٢٠٨:٢ وابن خلكان ٣١٩:١.

(٤) هو محمد بن كعب بن سليم بن أسد القرظي أبو حمزة وقيل أبو عبدالله المدني من حلفاء الأوس وكان أبوه من سبي قريظة، سكن الكوفة ثم المدينة، روى عن العباس بن عبد المطلب، وعلي وابن مسعود وعمرو بن العاص روى عنه أخوه عثمان والحكم بن عتبة ويزيد بن أبي زياد وغيرهم، قال ابن سعد: ثقة كثير الحديث ورعاً وقال العجلي: مدني تابعي ثقة مات سنة ١١٨هـ. راجع تهذيب التهذيب ٤٢١:٩ ـ ٤٢٢.

(٥) هو محمد بن مسلم بن عبدالله بن شهاب الزهري، أول من دوّن الحديث وأحد كبار الحفاظ والفقهاء تابعي، من أهل المدينة، كان يحفظ ألفين ومئتي حديث نصفها مسند وعن أبي الزناد كان يطوف مع الزهري ومعه الألواح والصحف ويكتب كل ما يسمع نزل الشام واستقرّ بها. قال ابن الجوزي مات بشغب آخر حد الحجاز وأول حد فلسطين عام ١٢٤هـ. راجع تذكرة الحفاظ ١٠٢:١ ووفيات الأعيان ٤٥١:١ وتهذيب التهذيب ٤٤٥:٩ وتاريخ الإسلام للذهبي ١٣٦:٥.

(٦) سورة يونس آية رقم ٢٦ وقد قيل: إن الزيادة أن تضاعف الحسنة عشر حسنات إلى أكثر من ذلك، وروي عن ابن عباس، وروي عن علي بن أبي طالب ـ رضي الله عنه: الزيادة غرفة من لؤلؤة واحدة لها أربعة آلاف باب، وقال مجاهد: «الحسنى حسنة مثل حسنة والزيادة: مغفرة من الله ورضوان». راجع تفسير القرطبي ٣٣١:٨.

ما يزيدهم بعد الجنة إلاّ أن يريهم اللّه إيّاه، فهذا من التأويل باستكراه شديد، وتعسف قبيح، غير أن القوم متى سمعوا بذكر شيء قريب من الذي تميل إليه أهواؤهم، أو بعيد منهم ذهبوا به إلى ما تهوى أنفسهم من تشبيههم، وقال ابن عباس، والحسن البصري:[1] الحسنى بالحسنة والزيادة التسع، قال الله: ﴿مَنْ جَاءَ بِالْحَسَنَةِ فَلَهُ عَشْرُ أَمْثَالِهَا﴾[2]، ﴿فَلَهُ خَيْرٌ مِنْهَا﴾[3] وقال مجاهد: الحسنى بالحسنى، والزيادة مغفرة الله ورضوانه، وقال الشعبي:[4] الزيادة دخول الجنة، وقال محمد بن كعب: الزيادة التي يزيدهم الله من الثواب والكرامة، وقال عبد الرحمن بن أبي ليلى:[5] أحسنوا وحدوا اللّه، والحسنى الجنة، والزيادة ما يزيدهم اللّه من فضله ورحمته، وقال أبو حازم المدني: الزيادة نعم الله التي أنعم بها عليهم، أعطاهم إيّاها، لم يحاسبهم عليها، ولم يصنع بهم ما صنع بالآخرين، وقال علي بن أبي طالب: الزيادة لؤلؤة لها أربعة أبواب، ومعناهم كلهم واحد لأن ذلك كله ثواب، وللمشبهة تأويل آخر وهو أشد استكراهاً من هذا التأويل، وأشد تعسفاً وذلك أن المشبهة سمعت الله يقول: ﴿يَوْمَ يُكْشَفُ

---

(١) هو الحسن بن يسار البصري أبو سعيد تابعي كان إمام أهل البصرة، وحبر الأمة في زمنه، وهو أحد العلماء الفقهاء الفصحاء النسّاك ولد بالمدينة عام ٢١هـ واستكتبه الربيع بن زياد والي خراسان في عهد معاوية وسكن البصرة، وعظمت هيبته في القلوب فكان يدخل على الولاة فيأمرهم وينهاهم له كتاب «فضائل مكة» توفي بالبصرة عام ١١٠هـ.

(٢) سورة الأنعام آية رقم ١٦٠.

(٣) سورة النحل آية رقم ٨٩ وتكملة الآية ﴿وهم من فزع يومئذ آمنون﴾.

(٤) هو عامر بن شراحبيل بن عبد ذي كبار الشعبي الحميري أبو عمرو راوية من التابعين يضرب المثل بحفظه ولد ونشأ ومات فجأة بالكوفة عام ١٠٣هـ كان ضئيلاً نحيفاً ولد لسبعة أشهر عام ١٩هـ - وهو من رجال الحديث الثقات استقضاه عمر بن عبد العزيز وكان فقيهاً شاعراً. راجع تهذيب التهذيب ٦٥:٥ والوفيات ٢٤٤:١ وحلية الأولياء ٣١٠:٤ وتهذيب ابن عساكر ١٣٨:٧ وتاريخ بغداد ٢٢٧:١٢.

(٥) هو عبد الرحمن بن أبي ليلى أبو عيسى الكوفي ولد بالكوفة عام ٢١هـ والتقى بالصحابة وأخذ عن عثمان وعلي وغيرهما والتقى بعمر بن الخطاب رضي الله عنه. شهد وقعة الجمل وكان صاحب راية علي سمع من مجاهد ويقال إنه غرق مع ابن الأشعث سنة ٨٣هـ.

عَنْ سَاقٍ﴾[1] فقالوا: هي ساق الله تعالى الله عمّا يقولون علواً كبيراً، قالوا: ويصدق هذا التأويل الحديث: أن جهنم تشكو الخلاء حتى يضع الجبار فيها قدمه[2] قلنا للقوم: قد وجدنا لهذه الكلمة مواضع كثيرة، فهل تفسرون الجميع بهذا من معقول اللفظ، دون مفهومه أو لا؟ وليس يجب في هذا الكلام إلاّ أن يكون الساق أبداً في اللغة إلاّ على معنى ساق الإنسان، ولكن احسبوا الأمر على هذا الكلام لا يحتمل إلاّ ساق بدن من الأبدان، ما الدليل على أنه لم يعن إلاّ ساق الله عز وجلّ، دون ساق أحد من جميع الخلق؟ وقد يقول الرجل لصاحبه: والله لأتجردن لك، وليس يريد من ثيابه، وإنما يريد الجد والاجتهاد، وقد تقول العرب: قد قامت الحرب بنا على ساق، وليس تريد أن لها رجلاً وساقاً وقد قال الشاعر:

وقـــام الشر مـــنـــه عـــلى ســـاق

---

(١) سورة القلم آية رقم ٤٢ قال جمهور العلماء: يكشف عن شدّة وأنشدوا: «وقامت الحرب على ساق» وقال آخر: «وإن شمرت عن ساقها الحرب شمرا».
قال ابن قتيبة: وأصل هذا أن الرجل إذا وقع في أمر عظيم يحتاج إلى معناة الجد فيه شمر عن ساقه فاستعيرت الساق في موضع الشدّة، وهذا قول الفرّاء، وأبي عبيدة، وتغلب وكثير من اللغويين.

(٢) الحديث رواه الإمام البخاري في كتاب التفسير ١ باب وتقول هل من مزيد. ٤٨٤٩ ـ بسنده عن أبي هريرة رفعه ـ وأكثر ما كان يوقفه أبو سفيان ـ يقال لجهنم هل امتلأت..؟ وتقول هل من مزيد..؟ فيضع الرب تبارك وتعالى قدمه عليها فتقول: قط قط ورواه الترمذي في التفسير ٥١ باب ومن سورة «ق» ٣٢٧٢ بسنده عن أنس بن مالك أن نبيّ الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ قال: وذكره قال الترمذي: هذا حديث حسن صحيح غريب من هذا الوجه وفيه عن أبي هريرة.
يقول جار الله الزمخشري في كتابه (الفائق في غريب الحديث) وضع القدم على الشيء مثل للردع والقمع فكأنه قال: يأتيها أمر الله فيكفها عن طلب المزيد فترتدع. هـ.
قلت: والواجب علينا أن نعتقد أن ذات الله عزّ وجلّ لا تتبعض ولا يحويها مكان، ولا توصف بالتغيير ولا بالانتقال. وقد حكى أبو عبيد الهروي عن الحسن البصري أنه قال: القدم هم الذين قدمهم الله لها من شرار خلقه، وأثبتهم لها.
وقال أبو منصور الأزهري: القدم الذين تقدّم القوم بتخليدهم في النار يقال لَمن قدم قدم ولما هدم هدم، ويؤيد هذا قوله وأمّا الجنة فينشئ لها خلقاً.
ووجه ثان: أن كل قادم عليها يسمى قدماً فالقدم جمع قادم، ومَن يرويه بلفظ الرجل، فإنه يقال: رجل من جراد فيكون المراد يدخلها جماعة يشبهون في كثرتهم الجراد فيسرعون التهافت فيها.

وقال آخر:

أخو الحرب إن عضّت به الحرب عضّهـا   وإن شمّرت عن ساقها الحرب شمّـرا[1]

وقال آخر:

وذاقت كمـوج البحـر تعبـو عبـابهـا   وقـامت عـلى سـاق وحـان التـلاحق

وإنما ذكرنا تأويل المشبهة لهذه الآية، لأنّه يشبه تأويل أصحاب الرؤية للآية التي ذكر اللّه فيها الزيادة، عن عاصم بن كليب قال رأيت سعيد بن جبير غضب غضباً شديداً لم أره غضب مثله قط، فقال: أتقولون قولاً عظيماً، يعني التشبيه الذي ذكروا، قال سعيد: إنما يعني يوم يكشف عن الأمر الشديد[2]، ثمّ قال سعيد في حديث ابن كليب: لو علمت من يقول هذا التشبيه لفعلت وفعلت، فإن قالوا: قد قال اللّه عزّ وجلّ لموسى صلّى اللّه عليه وسلّم: ﴿وَلِتُصْنَعَ عَلَى عَيْنِي﴾[3] فوجب علينا أن نجعل له عيناً، كما قال، قلنا: فقد قال لنوح صلّى اللّه عليه وسلم: ﴿وَاصْنَعِ الْفُلْكَ بِأَعْيُنِنَا﴾[4] وقال: ﴿تَجْرِي بِأَعْيُنِنَا﴾[5]، فقالوا: إنَّ له عيوناً، ويجب عليكم إذا قضيتم

---

(١) راجع ديوان حاتم المطبوع في بيروت، وحاتم هو بن عبدالله بن سعد بن الحشرج الطائي القحطاني أبو عدي، فارس، شاعر جواد جاهلي، يضرب المثل بجوده، كان من أهل نجد وزار الشام فتزوّج ماوية بنت حجر الغسانية، ومات في عوارض (جبل في بلاد طي) قال ياقوت: وقبر حاتم عليه شعر كثير ضاع معظمه. وله ديوان صغير توفي عام ٤٦ ق.هـ. راجع تهذيب ابن عساكر ٣:٤٢٠ وتاريخ الخميس ١:٢٥٥.

(٢) يؤيد ذلك ما يرويه الطبري عند تفسيره لهذه الآية قال: قال جماعة من الصحابة والتابعين من أهل التأويل: يبدو عن أمر شديد.

وقال: حدثنا ابن حميد قال: «ثنا مهران عن سفيان عن المغيرة عن إبراهيم عن ابن عباس يوم يكشف عن ساق» قال: عن أمر عظيم.

(٣) سورة طه آية رقم ٣٩.

(٤) سورة هود آية رقم ٣٧.

(٥) سورة القمر آية رقم ١٤. يقول الزمخشري: «بأعيننا) في موضع الحال بمعنى أصنعها محفوظاً برعايتنا ويقول الرازي في أساس التقديس عند الكلام على العين لا بدّ من المصير إلى التأويل وذلك هو أن يحمل هذه الألفاظ على شدة العناية والحراسة، والوجه في حسن هذا المجاز أنَّ من عظمت عنايته بشيء وميله إليه ورغبته فيه كان كثير النظر إليه فجعل لفظ العين التي هي آلة لذلك النظر كناية عن شدة العناية».

بظاهر اللفظ على المعاني، ولم تصرفوه إلى ما يجوز، أن تقولوا: لا ندري لعل له ثلاثة أعين، أو ثلاثين عيناً، لأنَّ قوله أعين يحتمل ذلك وغيره، وأنتم إذا جعلتم له عيناً فإنما تذهبون إلى ما تعرفون من صورة آدم صلّى اللّه عليه وسلّم وذلك على قولكم: إنَّ اللّه خلق آدم على صورته[1] فإذا جعلتم له عيوناً، فلا أنتم بقول إخوانكم من أصحاب الضياء الخالص قلتم، ولا على الراوية بأنَّه (خلق آدم على صورته) قلتم: وإذا جعلنا الشيء عيناً ووجهاً وجب علينا أن نجعل له رأساً وقفاً، وغير ذلك، ولو كان الأمر أيضاً في قوله: ﴿وَيَبْقَى وَجْهُ رَبِّكَ﴾[2] على تأويلهم لوجب أن يهلك من معبودهم كل شيء سوى الوجه، وقالوا: الدليل على أنَّ له يداً قوله تعالى لإبليس لعنه اللّه: ﴿مَا مَنَعَكَ أَنْ تَسْجُدَ لِمَا خَلَقْتُ بِيَدِيَّ﴾[3] وقوله: ﴿بَلْ يَدَاهُ مَبْسُوطَتَانِ﴾[4] قلنا: وقد قال اللّه: ﴿أَوَ لَمْ يَرَوَا أَنَّا خَلَقْنَا لَهُمْ مِمَّا عَمِلَتْ أَيْدِينَا أَنْعَاماً﴾[5]، فإن كنتم جعلتم له يدين على ظاهر هذا الكلام، اجعلوا له الأيدي الكثيرة على كلامه، إذا كان قوله: ـ يد ـ لا يحتمل النعمة ولا غير النعمة، مما يجري على اللّه ويحسن في صفته جلّ جلاله، وليس له وجه عندكم إلاَّ يد مركبة في ساعد، وقد تكون اليد جارحة، وقد تكون اليد نعمة، وتكون قوة إذا كانت اليد يبطش بها، وقد يقول الرجل: أمرك بيدي على معنى الحكم على الشيء، وليس يريد الجارحة، وقال علي بن أبي طالب: (لِمَا خَلَقْتُ بِيَدَيَّ) أي لما

(١) سبق تخريج هذا الأثر قريباً من هذا.

(٢) سورة الرحمن آية رقم ٢٧.

(٣) سورة ص آية رقم ٧٥.

(٤) سورة المائدة آية رقم ٦٤.

(٥) سورة يس آية رقم ٧١، اليد في اللغة بمعنى النعمة والإحسان، ومعنى قول اليهود ـ (يد اللّه مغلولة) أي محبوسة عن النفقة، واليد القوة: يقولون: «له بهذا الأمر يد، وقوله بل يداه مبسوطتان.» أي نعمته وقدرته، وقوله: «لما خلقت بيدي.» أي بقدرتي ونعمتي وقال الحسن «يد اللّه فوق أيديهم» أي منته وإحسانه.

خلقت أنا، وكذلك قال: (مِمَّا عَمِلَتْ أَيْدِينَا) يقول عملنا، وقال الضحاك مثل ذلك، وقال الحسن: (لِمَا خَلَقْتُ بِيَدَيَّ) أي بأمري واعتلوا أيضاً بقوله: ﴿وَالسَّمَوَاتُ مَطْوِيَّاتٌ بِيَمِينِهِ﴾ ﴿وَالأَرْضُ جَمِيعَاً قَبْضَتُه﴾[1] فقالوا: قد أخبرنا أنَّ له يميناً، وإنما خاطبنا بما نعقل، وعلى ما نعرف قلنا فإن كان ذلك كذلك فلسنا نعرف أحداً له يمين إلاَّ له يسار، وقد يكون الرجل أيمن إذا كان أكثر عمله بيمينه، وقد يكون أعسر إذا كان عمله بيساره، وقد يكون أعسر أيسر إذا كان عمله بهما جميعاً سواء، فعلى أي هذه تعزمون من صفات معبودكم[2] ولا صفة إلاَّ ما ذكرنا؟ وليس من صفات الإنسان أكمل من أن يكون أعسر أيسر وقد ينبغي أن تقولوا أعسر أيسر كما قال الشاعر:

كلا يدي عمرو الغداة يمين

ولو كنا متى سمعنا بيمين لم يكن بدّ من أن يكون اليمين يداً جارحة كأنَّ إذا قال الشاعر:

فلما تغشى كل شهر ظلامه ... وألقى يداً في كافر الشمس مغرب

وقال آخر يصف ظليماً ونعامة:

فتذكرا ثقلاً وثيداً بعدما ... ألقت ذكاء يمينها في كافر[3]

(١) سورة الزمر آية رقم ٦٧.

(٢) معبودهم الذي يصورنه بصورة الإنسان، وكل هذه الأفكار دخيلة على المسلمين جاءت إليهم من اتصالهم بفلسفة اليونان وفلسفة الفرس. وخزعبلات اليهود، وكل هذه الأشياء تعتقد بتجسيم الإله. ألم يقل اليهود لموسى عليه السلام: «أرنا الله جهرة.» ألم يتخذوا العجل إلهاً لهم..؟
وكذلك فلسفة اليونان وفلسفة الفرس لا تؤمنان إلاَّ بالتجسيم وعلى المسلمين أن يتخلصوا من هذه الأشياء ويهتدوا بهدي الوحي الذي جاءهم من عند الله.

(٣) جاءت في المطبوعة: رثيداً بدلاً من (وثيداً) وهو تحريف والمعروف أنَّ الشمس هي كوكب من الكواكب التي خلقها الله سبحانه وتعالى: وهي مخلوق عجيب ملتهب وليست لها أيادي ولا أقدام، ولكنَّ الشاعر أنزلها منزلة الإنسان الذي له يدان ورجلان على طريقة المجاز لا الحقيقة، وأي فهم غير هذا الفهم يحمل في طياته التعنت والمكابرة. والله أعلم.

وجب أن يجعل للشمس يدين يساراً ويميناً، فإذا جعلنا لشيء يساراً ويميناً وجب أن نجعل له رأساً ووجهاً وغير ذلك، وقال اللّه جلّ جلاله: ﴿وَالْمُحْصَنَاتُ مِنَ النِّسَاءِ إِلاَّ مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُكُمْ﴾[1] وقد علمنا أنَّ اللّه لم يعن يميناً ولا شمالاً، ولو كان الكلام يوجب أن نأخذ بظاهره، وندع باطنه، لكانت الآية خاصة في كل من له يمين دون الأقطع من أصل المنكب، وكذا قال اللّه لنبيه صلّى اللّه عليه وسلّم: ﴿وَلاَ تَجْعَلْ يَدَكَ مَغْلُولَةً إِلَى عُنُقِكَ وَلاَ تَبْسُطْهَا كُلَّ الْبَسْطِ﴾[2]، ولم يرد اللّه بذكره هذا اليد المركبة في بدنه، وإنما نهاه عن البخل، والسرف جميعاً، لأنَّ هذا النهي قد وقع على الأعسم[3] وعلى الأجذم[4]، وعلى من لا يد له إذا كان ذا جدة، وعلى هذا المعنى قالت اليهود: ﴿يد اللّه مغلولة غلت أيديهم ولعنوا بما قالوا﴾[5] وليس أنَّ اليهود من دينها ومن اعتقادها أنَّ للّه يداً كأيدينا وأنَّها مغلولة إلى عنقه على مثال الغل الذي نعرف، وقال الشاعر يهجو رجلاً:

بسط اليدين بما في رجل صاحبه ... جعد اليدين بما في رجله قطط

فالعرب تذكر اليد، والكف والذراع والباع، وهي تريد غير ذلك، قال الشاعر:

له نار تهب كل ريح ... إذا الظلماء جللت القناعا
وما إن كان أكثرهم سواما ... ولكن كان أرحبهم ذراعا

---

(١) سورة النساء آية رقم ٢٤.

(٢) سورة الإسراء آية رقم ٢٩.

(٣) العسم: يبس في المرفق والرسغ، تعوج منه اليد والقدم ويطلق على انتشار رسغ اليد من الإنسان. راجع لسان العرب.

(٤) جذم الرجل صار(أجذم) وهو المقطوع اليد وبابه طرب وفي الحديث من تعلم القرآن ثمّ نسيه لقي اللّه وهو أجذم، والجمع (جذمى) مثل حمقى، والجذام: داء وقد جُذم الرجل بضم الجيم فهو مجذوم ولا يقال أجذم.

(٥) سورة المائدة آية رقم ٦٤.

وليس يريد الذراع، وإنما يريد سعة الصدر، والاحتمال، وقال الله: ﴿إِلاَّ أَنْ يَعْفُونَ أَوْ يَعْفُو الَّذِي بِيَدِهِ عُقْدَةُ النِّكَاحِ﴾[1] وقالوا أيضاً: قد قال الله تعالى لموسى صلّى الله عليه وسلّم: ﴿وَاصْطَنَعْتُكَ لِنَفْسِي﴾[2]، وقد قال عيسى أيضاً لربه: ﴿تَعْلَمُ مَا فِي نَفْسِيَ وَلاَ أَعْلَمُ مَا فِي نَفْسِكَ﴾[3] قلنا قد يقول الرجل لصاحبه: أتيتك بنفسي، وهو ليس يريد النفس والروح، بل يريد أني لم أكل المجيء إليك إلى غيري، ولم أرض لك برسولي ولا كتابي، قال الله تبارك وتعالى ﴿لَقَدْ جَاءَكُمْ رَسُولٌ مِنَ أَنْفُسِكُمْ﴾[4] وقال في مكان آخر: ﴿كَمَا أَرْسَلْنَا فِيكُمْ رَسُولاً مِنْكُم﴾[5]، فكان قوله: (منكم)، (ومن أنفسكم) سواء، وقالوا أيضاً وقد قال الله حكاية عن قول الكافر: ﴿يَا حَسْرَتَي عَلَى مَا فَرَّطَتُ فِي جَنْبِ اللَّهِ﴾[6] قلنا: قد يقول الرجل لصاحبه: هذا يسير في جنب رضاك. وقد قال الشاعر:

وفي جنبي مــا أوليـتني منـــك نعـمـــة ... تـقـــل لـــك العـتبـى وأن لم تـكـلم

والمعنى في قوله: (فرطت في جنب الله) عند أهل التفسير، أي في أمر الله وأصل الكلمة على المقارنة، فمتى ما قارنت شيئاً بشيء، وكان أحدهما بجنب الآخر صغيراً، قيل: هذا صغير في جنب ذلك، والجواب في كل ما سألوا عنه من أي القرآن، وحديث النبيّ عليه السلام كالجواب في الذي ذكرنا، فإن

---

(١) سورة البقرة آية رقم ٢٣٧.

(٢) سورة طه آية رقم ٤١.

(٣) سورة المائدة آية رقم ١١٦.

(٤) سورة التوبة آية رقم ١٢٨.

(٥) سورة البقرة آية رقم ١٥١.

(٦) سورة الزمر آية رقم ٥٦.

ويقولون فرط في جنبه وفي جانبه يريدون في حقه قال سابق البربري:

أمــا تــتــقــين الله في جــنـــب وامــق ... لــه كــبـــد حــرى عـــايـــك تــقــطــع

قال السيد محمود الألوسي في تفسيره (روح المعاني) لا يمكن إبقاء الكلام على حقيقته لتنزهه عزّ وجلّ عن الجنب بالمعنى الحقيقي، وكلّهم مجمعون على التنزيه وسبحان من ليس كمثله شيء وهو السميع البصير. وقال العلاّمة القاسمي: أي في جانب أمره ونهيه.

سألوا عن قوله: ﴿كَلاَّ إِنَّهُمْ عَنْ رَبِّهِمْ يَوْمَئِذٍ لَمَحْجُوبُونَ﴾[1] قيل لهم: فقد قال الضحاك عن علي بن أبي طالب رضي اللّه عنه، وابن عباس في ذلك أنَّه لم يزل يحجبهم عن رحمته وثوابه، ولا ينظر إليهم برحمته، وروي عن مجاهد مثله وعن علي بن أبي طالب أنَّه مر بقصاب ورجل يستزيده، فقال له القصاب: لا والذي احتجب بسبع سموات لا أزيدك، فعلاه عليّ بالدرة، وفي الروايات فنخسه عليّ بيده اليمنى في جنبه الأيسر فقال: ويحك إنَّ اللّه لا يحجبه شيء عن شيء، فقال القصاب: أفأكفر عن يميني يا أمير المؤمنين؟ فقال: لا إنما حلفت بغير اللّه، وقوله: ﴿مَا كَذَبَ الْفُؤَادُ مَا رَأى أَفتُمارُونَه عَلَى مَا يَرَى، وَلَقَدْ رَآهُ نَزْلَةً أُخْرَى عِنْدَ سِدْرَةِ الْمُنْتَهى، عِنْدَهَا جَنَّةُ الْمَأْوَى، إِذْ يَغْشَى السِّدْرَةَ مَا يَغْشَى، مَا زَاغَ الْبَصَرُ وَمَا طَغَى﴾[2]، جبير عن الضحاك عن ابن عباس رضي اللّه عنها أنَّه قال: رأى رسول اللّه صلّى اللّه عليه وسلّم جبريل على صورته مرتين فتلا هذه الآية، وروى جبير عن الضحاك عن ابن عباس في قوله: ﴿إذ يغشى السدرة ما يغشى﴾، قال يغشاها جلال اللّه وعظمته، قال: ﴿لقد رأى من آيات ربه الكبرى﴾ فجبريل من أكبر آيات اللّه تعالى، ولقد قالت عائشة مثل ذلك، وقالت من زعم إنَّ محمداً رأى ربه فقد أعظم على اللّه الفرية[3]، وقوله: ﴿وَقَدِمْنَا إِلَى مَا عَمِلُوا مِنْ عَمَلٍ﴾[4]، يقول الحسن، ومجاهد: وعدنا إلى ما عملوا من

---

(1) سورة المطففين آية رقم ١٥.

(2) سورة النجم الآيات من ١١ إلى ١٧.

(3) روى الطبري بسنده عن مسروق عن عائشة ـ رضي الله عنها قالت له: يا أبا عائشة، مَن زعم أن محمداً رأى ربّه فقد أعظم الفرية على الله، والله يقول: ﴿لا تدركه الأبصار وهو يدرك الأبصار وهو اللطيف الخبير﴾ وقال: ﴿وما كان لبشر أن يكلمه الله إلاّ وحياً أو من وراء حجاب﴾.
قال: وكنت متكئاً فجلست وقلت: يا أم المؤمنين انتظري ولا تعجلي ألم يقل الله تعالى: ﴿ولقد رآه نزلة أخرى﴾ وقال: ﴿ولقد رآه بالأفق المبين﴾.
فقالت: أنا أول من سألت رسول الله ـ صلّى الله عليه وسلّم عن ذلك فقال: «لم أرَ جبريل على صورته إلاّ هاتين المرتين منهبطاً من السماء ساداً عظم خلقه ما بين السماء والأرض».

(4) سورة الفرقان آية رقم ٢٣.

عمل، سئل ابن عباس عن قول اللّه: ﴿اللَّهُ نُورُ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ﴾[1] فقال: اللّه عدل السموات والأرض، وهو هادي من في السموات والأرض، ألا ترى إلى قوله: ﴿مَثَلُ نُورِهِ كَمِشْكَاةٍ﴾[2] وليس للّه مثل، وكذلك قال الحسن وقتادة وعمر بن محمد وأبو مسلم المكي ومجاهد معناه: اللّه عدل السموات والأرض، وهو هادي من فيهما فإن قالوا: ما معنى قول الحواريين[3] لعيسى: ﴿هَلْ يَسْتَطِيعُ رَبُّكَ أَنْ يُنَزِّلَ عَلَيْنَا مَائِدَةً مِنَ السَّمَاءِ﴾[4]؟ قالوا: وهذا يدل على أنّه في السماء دون الأرض، قلنا: وقد قالت بنو إسرائيل لموسى: ﴿فَادْعُ لَنَا رَبَّكَ يُخْرِجْ لَنَا مِمَّا تُنْبِتُ الأَرْضُ مِنْ بَقْلِهَا وَقِثَّائِهَا﴾[5] وقال أيضاً: ﴿وَأَنْزَلَ لَكُمْ مِنَ الأَنْعَامِ ثَمَانِيَةَ أَزْوَاجٍ﴾[6] وقال: ﴿وَأَنْزَلْنَا الْحَدِيدَ فِيهِ بَأْسٌ شَدِيدٌ﴾[7] ولم يرد ها هنا إنزالاً من السماء وأما مسألة الحواريين لعيسى إنما يريدون بذلك أنَّ نزول المائدة من السماء أدل للخلق، وأوضح في الإجابة، وأعظم في الآية، مما لا يقدر الخلق على أن يدعوه، لا ساحر، ولا كاهن، ولو كان متى ذكر السماء، أنَّه فيها دون الأرض، لكان إذا ذكر الأرض، يدل على أنّه في الأرض دون السماء، وقد

---

(١) الخبر عند الربيع بن حبيب في مسنده، باب ٢٦ في قوله «الله نور السموات والأرض» ٨٦٨ قال جابر بن زيد سئل ابن عباس ـ رضي الله عنه عن قول الله: ﴿الله نور السموات والأرض﴾ قال ابن عباس، والحسن، وقتادة، وعمرو بن محمد، وأبو مسلم المكي ومجاهد، وذكره.

(٢) سورة النور آية رقم ٣٥.

(٣) الحور: قيل ظهور قليل من البياض في العين من بين السواد، وأحورت عينه وذلك نهاية الحسن من العين وقيل حورت الشيء بيضته، والحواريون أنصار عيسى ـ صلّى الله عليه وسلّم ـ قيل: كانوا قصارين وقيل: كانوا صيادين وقال بعض العلماء إنما سموا حواريين لأنهم كانوا يطهرون نفوس الناس بإفادتهم الدين والعلم. قال: وإنما كانوا صيادين لاصطيادهم نفوس الناس من الحيرة وقودهم إلى الحق قال ـ صلّى الله عليه وسلّم ـ «لكل نبي حواري وحواري الزبير» فتشبيه لهم في النصرة حيث قال: «من أنصاري إلى الله؟ قال الحواريون نحن أنصار الله».

(٤) سورة المائدة آية رقم ١١٢.

(٥) سورة البقرة آية رقم ٦١ وجاءت محرفة في المطبوعة حيث قال «ادع» بدلاً من «فادع».

(٦) سورة الزمر آية رقم ٦.

(٧) سورة الحديد آية رقم ٢٥.

مضى الكلام في هذا بالذي يغني عن تكراره، إلاَّ أنَّه لا ينبغي أن ندع شيئاً مما يتعلقون به إلاَّ أفحصنا[١] عن تأويله، وجاء عن رسول اللّه صلّى اللّه عليه وسلّم أنَّه قال «لو حفرتم لصاحبكم في ماء ثمّ دليتموه لوجدتم اللّه»[٢] وجاء عن ابن عمر[٣] أنَّه قال: لا تقل واللّه حيث كان فإنَّ اللّه بكل مكان. قال: وجاء رجل إلى ابن مسعود[٤] فقال: إني رأيت رجلاً يصلّي عند كل إسطوانة ركعتين، فقال ابن مسعود: لو علم المصلّي أنَّ اللّه عند أدنى إسطوانة منها ما جاوزها إلى غيرها وقد جاء الحديث المشهور: «إنَّ أربعة أملاك التقوا: واحد من السماء السابعة وآخر من الأرض السابعة، وآخر من المشرق، وآخر من

---

(١) الفحص: البحث عن الشيء وقد فحص عنه من باب قطع وتفحص وافتحص بمعنى والأفحوص بوزن العصفور مجثم القطاة، لأنها تفحصه وكذا المفحص بوزن المذهب يقال ليس له مفحص قطاة، وفي الحديث: «فحصوا عن رؤوسهم كأنهم حلقوا وسطها وتركوها مثل (أفاحيص) القطا».

(٢) هذا جزء من حديث طويل رواه البيهقي في كتاب الأسماء والصفات وفيه زيادة قال أبو هريرة: ثمّ قرأ رسول الله ـ صلّى الله عليه وسلّم. «هو الأول والآخر والظاهر والباطن». يقول البيهقي، والذي روى في آخر هذا الحديث إشارة إلى نفي المكان، وأن العبد أينما كان فهو في القرب والبعد من الله تعالى سواء وأنه الظاهر فيصح إدراكه بالأدلة، الباطن فلا يصح إدراكه بالكون في مكان واستدل أصحابنا على نفي المكان بقول النبي ـ صلّى الله عليه وسلّم: «أنت الظاهر فليس فوقك شيء وأنت الباطن فليس دونك شيء».

(٣) هو عبدالله بن عمر بن الخطاب العدوي، أبو عبد الرحمن صحابي من أعز بيوتات قريش في الجاهلية، كان جريئاً جهيراً نشأ في الإسلام وهاجر إلى المدينة مع أبيه، وشهد فتح مكة ومولده ووفاته فيها أفتى الناس في الإسلام ستين سنة، ولما قتل عثمان عرض عليه نفر أن يبايعوه بالخلافة فأبى وغزا إفريقيا مرتين الأولى مع ابن سرح والثانية مع معاوية بن خديج وكف بصره في آخر حياته له في كتب الحديث ٢٦٣٠ حديثاً توفي عام ٧٣هـ. راجع معالم الإيمان ١:٧٠ والإصابة ٤٨٣٥ وتهذيب الأسماء ١:٣٧٨.

(٤) هو عبدالله بن مسعود بن غافل بن حبيب الهذلي أبو عبد الرحمن: صحابي من أكابرهم فضلاً وعقلاً وقرباً من رسول الله ـ صلّى الله عليه وسلّم ـ وهو من أهل مكة، ومن السابقين إلى الإسلام، وأول من جهر بقراءة القرآن بمكة، وكان خادم رسول الله الأمين وصاحب سره ـ نظر إليه عمر يوماً وقال: وعاء مليء علماً ولي بيت مال الكوفة بعد وفاة الرسول صلّى الله عليه وسلّم ـ ثم قدم المدينة في خلافة عثمان فتوفي بها عن نحو ستين عاماً وكان ذلك عام ٣٢هـ له ٨٤٨ حديثاً وأورد الجاحظ في البيان والتبيين خطبة له ومختارات من كلامه.

المغرب، فتساءلوا فيما بينهم فقال كل واحد منهم جئت من عند ربي[1]»، وتأويل ذلك كله: إنَّ اللّه في جميع الأشياء كائن وفي كل الخلق موجود، على معنى الأحداث والإنشاء والزيادة فيها، والنقصان منها، والإحاطة والحفظ لها، وقد يقولون: أمير المؤمنين في المظالم، والناس في الصلاة، لا يريدون أنَّ ذلك يكون لهم وعاء، ومكاناً فإن سألوا عن قول موسى عليه السلام: ﴿رَبِّ أَرِنِي أَنْظُرْ إِلَيْكَ﴾[2] فإنا نروي عن عبد اللّه بن عباس، وهو ترجمان الكتاب أنَّه قال ذلك على وجه الأعذار إلى قومه ليريهم اللّه آية من آياته، فيئسوا من رؤية اللّه، جبير عن الضحاك في قوله: ﴿تُبْتُ إِلَيْكَ﴾[3] أي من مسألتي أن أنظر[4] إليك، وأنا أول المؤمنين المصدقين بأنَّك لا يراك أحد، قال الحسن: ﴿لَنْ تَرَانِي﴾[5]، ولا ينبغي لبشر أن يراني، وقال مجاهد: تجلى أمره للجبل وقال ابن عباس: ﴿وَأَنَا أَوَّلُ الْمُؤْمِنِينَ﴾[6]، بأنك لا يراك أحد في الدنيا ولا في الآخرة، فإن سألوا عن معنى روايات رووها عن النبيّ عليه السلام منها: «أنكم سترون ربكم لا تضامون في رؤيته، كما لا تضامون في القمر ليلة

---

(١) سورة الأعراف آية رقم ١٤٣.

(٢) سورة الأعراف آية رقم ١٤٣.

وفي رواية الحسن عن أبي هريرة ـ رضي الله عنه ـ انقطاع ولا ثبت سماعه من أبي هريرة، وروي من وجه آخر منقطع أبي ذر ـ رضي الله عنه.

(٣) جاء في لسان العرب: أبصر فلان. نظر ببصره فرأى وأبصر الشيء رآه. وجاء عند محمد الحفيش: والبصر الأسود الذي وسط العين، وبه يكون الإبصار، أو القوة المودعة في ذلك الأسود أو في العصبتين المؤديتين إليه وقد يطلق على العين لأنها المؤدية إليه (تيسير التفسير ٢:٣٧٣) وجاء عند محمد عبده: وأبصرت الشيء رأيته، وقيل البصر حاسة الرؤية. ابن سيده: البصر حسن العين، والجمع أبصار ذكره في اللسان وقال الراغب: يقال للجارحة الناظرة نحو قوله تعالى ﴿كلمح البصر﴾ (النحل ٧٧) وقوله: ﴿وإذ زاغت الأبصار﴾ (الأحزاب ١٠) وللقوة التي فيها: راجع تفسير المنار ط دار المنار ٧:٦٥١.

(٤) سورة الأعراف آية رقم ١٤٣.

(٥) سورة الأعراف آية رقم ١٤٣ وقد جاءت الآية محرفة في المطبوعة حيث إنها ذكرت بدون (الواو).

البدر[١]»، «ولن تمتلئ جهنم حتى يضع الجبار فيها قدمه[٢]»، «وإنَّ اللّه خلق آدم على صورته[٣]»، «وإنَّ القلوب بين أصبعين من أصابع اللّه يقلبها كيف يشاء[٤]» «وهل تدرون ما يضحك الرب من عبده[٥]»، وقالوا أيضاً: فإنَّ عيسى عليه السلام، قال في الإنجيل لربه: (يا رب إن كان من مسرتك أن تصرف هذه الكأس عن أحد فاصرفها عني[٦])، يعني كأس المنية، قالـوا: فوصفـه عيسى بالمسرة، كما ترون وقالوا: وقد قال رسول اللّه صلّى اللّه عليه وسلّم: «للّه أسر بتوبة العبد من رجل ضلت ناقته، بـأرض في اللّه برحله، وزاده،

---

(١) سبق تخريج هذا الحديث قريباً من هذا.

(٢) سبق تخريج هذا الحديث قريباً من هذا.

(٣) سبق تخريج هذا الحديث قريباً من هذا.

(٤) الحديث رواه الإمام مسلم في كتاب القدر ٣ باب تصريف الله تعالى القلوب كيف شاء ١٧ (٢٦٥٤) بسنده عن عبدالله بن عمرو بن العاص يقول: إنه سمع رسول الله ـ صلّى الله عليه وسلّم يقول: وذكره وفيه زيادة «ثمّ قال رسول الله ـ صلّى الله عليه وسلّم ـ اللّهم مصرف القلوب صرف قلوبنا على طاعتك».

ورواه الترمذي في كتاب القدر ٧ باب ما جاء أن القلوب بين إصبعي الرحمن ٢١٤٠ بسنده عن أنس قال: كان رسول الله ـ صلّى الله عليه وسلّم يكثر أن يقول: وذكره.

قال الترمذي: وفي الباب عن النواس بن سمعان، وأم سلمة، وعبدالله بن عمرو وعائشة، وهذا حديث حسن.

ورواه ابن ماجه في المقدمة ١٣ وأحمد بن حنبل في المسند ٢:١٦٨، ١٧٣ ٦:١٨٢، ٢٥١، ٣٠٢، ٣١٥ (حلبي).

(٥) الحديث عند ابن ماجه في المقدمة ١٣ باب فيما أنكرت الجهمية ١٩١ بسنده عن أبي هريرة قال: رسول الله ـ صلّى الله عليه وسلّم ـ وذكره.

(٦) يقول الدكتور عمار طالبي: وقد تفضل الأب قنواتي فأرشدني إلى النص الوارد في الإنجيل المترجم إلى الفرنسية

«Père, si tu veux, éloigne de moi ce calice; mais que ce ne soit pas ma volonté, mais la tienne, que se fasse». Evangile selon saint Luc, **XXII**, 42.

وفي الترجمة العربية: «يا أبتاه إن شئت أن تجيز عني هذه الكأس ولكن لتكن لا إرداتي بل إرادتك» وجاء قبلها، «وخرج ومضى كالعادة إلى جبل الزيتون وتبعه أيضاً تلاميذه «٤٠» ولما صار إلى المكان قال لهم: صلّوا لكي لا تدخلوا في تجربة «٤١» وانفصل عنهم نحو رمية حجر وجثا على ركبتيه وصلّى «٤٢» قائلاً: يا أبتاه» إلخ (إنجيل لوقا ٢٢/٤٠ ـ ٤٢).

ومائه فوجدها[1]» وجوابنا في هذه الأحاديث وأمثالها إن كانت صحيحة على ما قالوا، إنَّ معناها على موافقة القرآن لا على مخالفته، وقد جاء عن النبيّ صلّى اللّه عليه وسلّم ـ ورجلاه تخطان في الأرض أنَّه قال: (أيها الناس إنكم لا تمسكون عني شيئاً، أني لا أحل إلاَّ ما أحل القرآن، ولا أحرم إلاَّ ما حرم القرآن، وكيف أقول بخلافه، وبه هداني اللّه[2])، وروي عن علي أنَّه قال: قال رسول اللّه صلّى اللّه عليه وسلّم: إذا جاءكم عني حديث فرأيتموه مضيئاً، ليس بذي تفاقم ولا تخاون، فهو عني، وإن رأيتموه ذا تفاقم وتخاون فليس عني[3]»، وقد جاء عن النبيّ صلّى اللّه عليه وسلّم: يحمل هذا العلم من كل خلف عدو له، ينفون عنه تحريف الغالين، وانتحال المبطلين وتأويل الجاهلين[4]». وعن شريح[5] أنَّه قال: إنَّ للحديث جهابذة كجهابذة الورق ومعنى الحديث: تعلمون أنَّ لكم رباً، لا تشكون فيه، ولا يجوز أن تعتريكم الشكوك والريب، كما لا يجوز ذلك في العلم بأنَّ القمر قمر، ليلة البدر، لا على أنَّ الأبصار تدركه جهرة، ومعنى الرواية الأخرى: لن تمتلئ جهنم حتى يضع الجبار فيها قدمه[6]. يريد ما قدم لها من أهل الشقاوة الذين في علمه أنَّهم صائرون إلى

---

(١) الحديث رواه الإمام مسلم في كتاب التوبة (١) باب في الحض على التوبة والفرح بها (٣) (٢٧٤٤) بسنده عن الحارث بن سويد قال: دخلت على عبدالله أعوده وهو مريض فحدّثنا بحديثين حديثاً عن نفسه وحديثاً عن رسول الله ـ صلّى الله عليه وسلّم ـ قال: سمعت رسول الله ـ صلّى الله عليه وسلّم ـ يقول: الله أشد فرحاً بتوبة عبده المؤمن من رجل في أرض دوية مهلكة معه راحلته عليها طعامه وشرابه فنام فاستيقظ وقد ذهبت فطلبها حتى أدركه العطش ثم قال: ارجع إلى مكاني الذي كنت فيه فأنام حتى أموت فوضع رأسه على ساعده ليموت فاستيقظ وعنده راحلته وعليها زاده وطعامه وشرابه فالله أشدّ فرحاً بتوبة العبد المؤمن من هذا براحلته وزاده».

ورواه ابن ماجه في الزهد ٣٠ والترمذي في الدعوات ٩٨.

(٢) هو شريح بن الحارث بن قيس بن الجهم الكندي، أبو أمية من أشهر القضاة الفقهاء في صدر الإسلام، أصله من اليمن ولي قضاء الكوفة في زمن عمر، وعثمان، وعلي، ومعاوية، واستعفى في أيام الحجاج فأعفاه سنة ٧٧هـ وكان ثقة في الحديث مأموناً في القضاء، له باع في الأدب والشعر عمر طويلاً ومات بالكوفة.

(٣) سبق الحديث عن هذا الخبر قريباً من هذا.

جهنم، قال اللّه عزّ وجلّ: ﴿وَبَشِّرِ الَّذِينَ آمَنُوا أَنَّ لَهُمْ قَدَمَ صِدْقٍ عِنْدَ رَبِّهِمْ﴾[١] ومعنى: (خلق آدم على صورته)[٢] أي خلقه اللّه بالغاً، ولم ينقله من نطفة إلى علقة، ومن علقة إلى مضغة، ومن طفولية إلى غير ذلك، وقال بعض أهل العلم في ذلك: إنَّ اللّه خلق آدم على صورته أي على صورة آدم التي اختار اللّه له من بين الصور، وبعضهم يقول: إنَّ رسول اللّه سمع رجلاً يقبح بذمه غلاماً له في صورة وجهه فقال صلّى اللّه عليه وسلّم. «لا تقبحوا الوجوه فإنَّ اللّه خلق آدم على صورته[٣]». يعني على صورة المقبح، وكل هذا تأويل وقلنا في معنى بين أصبعين على معنى الحكم على الشيء، والقدرة عليه كقوله تعالى: ﴿وَالأَرْضُ جَمِيعَاً قَبْضَتهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ﴾[٤]، وقد يقول الرجل لصاحبه: ما فلان إلاَّ في قبضتي، وهذا الأمر في يدي، وكل هذا في لغة العرب شائع[٥] سائغ، وقال الحسن: تعلموا العربية، وحسن العبارة، والذي ذكروا من

---

(١) سورة يونس آية رقم ٢.

(٢) يقول الراغب الأصفهاني: الصورة أراد بها ما خص الإنسان بها من الهيئة المدركة بالبصر والبصيرة، وبها فضله على كثير من خلقه، وإضافته إلى الله سبحانه على سبيل الملك لا سبيل البعضية والتشبيه تعالى عن ذلك، وذلك على سبيل التشريف له كقوله: بيت الله، وناقة الله، ونحو ذلك.

(٣) سبق تخريج هذا الحديث. وقد قال أبو سليمان الخطابي: قوله: «خلق آدم على صورته» الهاء وقعت كناية بين اسمين ظاهرين، فلم تصلح أن تصرف إلى الله عزّ وجلّ لقيام الدليل على أنه ليس بذي صورة سبحانه «ليس كمثله شيء» فكان مرجعها إلى آدم عليه السلام «فالمعنى أن ذرية آدم إنما خلقوا أطواراً كانوا في مبدأ الخلقة نطفة ثم علقة، ثم مضغة ثم صاروا صوراً أجنة إلى أن تتم مدة الحمل فيولدون أطفالاً وينشأون صغاراً إلى أن يكبروا». راجع كتاب الأسماء والصفات للبيهقي ٢٩٠ ـ وما بعدها.

(٤) سورة الزمر آية رقم ٦٧.

(٥) القبضة واليمين في كلام العرب قد تكون بمعنى القدرة والملك ومنه قوله تعالى: ﴿أوما ملكت أيمانكم﴾ يريد به الملك وقال: ﴿لأخذنا منه باليمين﴾ أي بالقوة والقدرة، أي لأخذنا قوته وقدرته. قال الفراء والمبرد: اليمين القوة والقدرة وأنشدا:

إذا ما راية رفعت لمجد ... تلقاها عرابة باليمين

وقال آخر:

ولما رأيت الشمس أشرق نورها ... تناولت منها حاجتي بيميني

قتلت شنيفاً ثم فاران بعده ... وكان على الآيات غير أمين

الضحك، والمسرة وأشباه تلك الألفاظ ومعناها معنى الرضا والمحبة، وربما يأتي الغلط في أمثال هذه العبارات عن ترجمة المترجم، وقد يكون يسمع بذكر الرضا والمحبة فيترجمها بالضحك والسرور، ولو نظرت في الكتب المتقدمة عن اللّه جلّ جلاله، المنقولة عن لغاتها إلى العربية، لوجدت فيها من التشبيه الفاحش، والكلام السمج، ما لا يجوزه موحد ولا ملحد، والمترجم لا يكون مترجماً حتى يكون في الغاية والثقة من معرفة اللغتين جميعاً، ويكون مع ذلك متكلماً عارفاً بما يجوز على اللّه تعالى مما لا يجوز عليه، ولولا عزيمتكم على ـ حفظكم اللّه ـ نشر هذا الباب معنى معنى وتتبع وجوهه واحداً واحداً لتخف مؤنته على المبتدئين من أصحابنا أعانهم اللّه على معرفة الهدى، لاقتصرت ببعض هذا عن كله، ولاجتزيت بقليله عن كثيره، بل بالجملة التي نصبناها كفاية عما سواها، وبالأصل الذي وضعنا، إماماً لما هو مثله، والحمد للّه على موافقة القول بالصواب، وله الشكر والفضل، على مصادقة الفصل للخطاب.

التجسيم على مذهب القائسين[1]:

ومما تسأل عنه المشبهة، ونحن مبتدئون بالمسألة على مَن قال بالتشبيه، وجرّد التجسيم على مذهب القائسين، دون المحتجين بالحديث والقرآن، فنقول لهم: أليس الجسم ما كان ذا طول وعرض، وعمق، وجهات، وحدود، وحركات وسكون، وما يكون ذا نصفين، ويحتمل التجزئة، ويكون ذا هيئة من الهيئات، وقدر من الأقدار؟ فإن زعموا أن الله جسم، وليس بموصوف بشيء مما ذكرنا، وعددنا، قيل لهم: فلم سميتموه جسماً، ولا تضيفون إليه صفة واحدة من

(١) قاس الشيء بالشي قدّره على مثاله، والقياس: هو عبارة عن التقدير يقال: قاس النعل إذا قدّره، وقاس الجراحة بالميل إذا قدّر عمقها به، وهو يستعمل في التشبيه، وهو تشبيه الشيء بالشيء.
وهؤلاء القائسين على رأي المؤلف هم الذين يقولون بالتشبيه والتجسيم ويشبهون الله تعالى بخلقه، وتجاهلوا قول الله تعالى: ﴿ليس كمثله شيء وهو السميع البصير﴾ سورة الشورى آية رقم ١١.

صفات الأجسام؟ وليس بين صفة واحدة وبين صفتين فرق، ولا بين صفتين وثلاث صفات فرق، ولا بين البعض والكل فرق، فهلاّ سميتم العرض جوهراً، والجوهر[1] عرضاً، واللون حركة والحركة لوناً، والحرّ برداً والبرد حرّاً؟ إذ كنتم تسمون ما ليس بطويل ولا عريض، ولا عميق، ولا بذي نصفين، ولا بذي قدر، ولا هيئة جسماً. فإن أقرّوا بالطول والعرض والعمق والحدود والجهات، والسكون، والحركات، والقدر، والهيئة، وأثبتوه مع ذلك قديماً، سألناهم عن مسائلنا على الدهرية. وهل من فرق بين مَن قال إن الجسم قديم، وبين مَن قال إن القديم جسم، ويلزمهم مع تثبيت الحركة والسكون، أن الله لم ينفك عن الحدث قط، إذ كان كل جسم لا ينفك من الحركة، والسكون، والاجتماع، والافتراق، وبعد فليخبرونا عن الأجسام لأي أمر صارت محدثة مخلوقة محتملة للمزاج ألنفسها أم للدلالة التي لا تفارقها؟ أم لأنها ممزوجة؟ وهل القول في الشائب إلاّ كالقول في المشوب؟ أو ليس الشائب نفسه مشوباً بغيره؟ وما تقولون في جسم رأيناه مشوباً بغيره؟ وجسم رأيناه غير مشوب بغيره؟، وهل يفرق بينهما في الحدث ما في أحدهما من المزاج والشوب؟، فإن قالوا: لا، قلنا: فسووا إذن بين ما سوت بينهما الصفات، ووافقوا بين ما وافقت بينهما الأعمال

---

(١) الجوهر: لم يكن لفكرة الجوهر في الفلسفة المدرسية الشرقية ما كان لها من الشأن في مدارس الغرب، والجوهر بحسب النظرية اليونانية عند المفكرين المسلمين هو ما يقوم بذاته، وما ليس مفتقراً إلى غيره في وجوده. ولو من الناحية المنطقية فهو من حيث علاقته به يُعدّ جوهراً كما أن اللون من حيث علاقته بالجسم يعد عرضاً، على أن قيمة فكرة الجوهر ليست منطقية فحسب وإنما هي ميتافيزيقية أيضاً.

والمفكرون المسلمون: قالوا عن الجوهر البسيط: هو ما ليس له أجزاء ولا يقبل الفساد بالتالي، وعلى هذا فابن سينا عندما أراد أن يبرهن على خلود النفس برهن على أنها جوهر بسيط، ومن هنا تأدى إلى أنها غير تالفة وهذا يعني أن قيمة النظرية تستند إلى فكرة الجوهر أقل مما تستند إلى فكرة البساطة.

ويعرّف صاحب «التعريفات» الجوهر بأنه ماهية إذا وجدت في الأعيان كانت لا في موضع، وهو منحصر في خمسة؛ هيولى، وصورة، وجسم، ونفس، وعقل. راجع الجرجاني التعريفات. والنسفي العقائد ومعه شرح التفتازاني ص ٤٧، ٥٢، ٧٠ ودائرة المعارف الإسلامية ٧:١٧٤.

والعلل والفروع، إذ اتفاق الفروع يدل على اتفاق الأصول، وهل بين أن تكون ممزوجة، وبين أن تكون محتملة للمزاج من فرق؟ فإن كانت الأجسام إنما صارت محدثة مخلوقة محتملة للمزاج لأنفسها، وأنفسها أجسام، فكل جسم محدث، وكل جسم يحتمل المزاج، امتزج أو لم يمتزج. فإن قالوا: ليست العلة ذلك، ولكن العلة أن يكون الجسم يحتمل الزيادة والنقصان والفناء والبطلان، قلنا: وما جعل بعضها أحق بذلك من بعض؟ وكلّها متساوية في الصفات، متفقة في العلل، وهل احتمل الجسم الزيادة والنقصان، والفناء والبطلان، إلاّ لأنه جسم محدود، متناه، ذو طول، وعرض، وعمق، وحركة، وسكون، أم لأمر غير ذلك؟ فإن كان ذلك للذي وصفنا فالأمر كما ذكرنا وإن كان لغير أنه محدود ذو حركة وسكون، واحتمال التنصيف والتصريف، فما العلة التي لها احتمل الفناء، والبطلان والزيادة والنقصان، فإن قالوا: إنما يعتريه ذلك لأنه متناهي القوة، قلنا: ولم تتناه قوته إلاّ لتناهي جسمه، أو ليس إذا استوت الأعمال واتفقت الصفات في وجوه الخاص[1] والعام[2]، فذلك الذي يوجب التسوية في الحكم؟ فإن قالوا: إنما قلنا جسم لأنه فاعل والفاعل لا يكون إلاّ جسماً، قلنا: قد أخطأتم وجه القياس[3]، ولم تصادفوا حقيقة العلة، إذ ليس كل

(١) الخاص: عند الأصوليين كل لفظ وضع لمعنى معلوم على الانفراد والمراد بالمعنى ما وضع له اللفظ عيناً كان أو عرضاً، والمقصود بالانفراد اختصاص اللفظ بذلك المعنى.
والخاص: نقيض العام وهو ما يشمل نوعاً واحداً أو فرداً واحداً.

(٢) العام في اللغة: الشامل، يقال مطر عام وتعليم عام، وفي تعريفات الجرجاني: العام: لفظ وضع وضعاً واحداً لكثير غير محصور مستغرق جميع ما يصلح له.

(٣) القياس عند المناطقة: هو المركب من قضايا يستلزم لذاته قولاً آخر. وينقسم إلى الاقتراني: وهو ما كان مشتملاً على النتيجة أو نقيضها بالقوة نحو: العالم متغيّر، وكل متغيّر حادث.
والاستثنائي: وهو المعروف بالشرط لكونه مركباً من قضايا شرطية وهو المشتمل على النتيجة أو نقيضها بالفعل نحو: «لو كان النهار موجوداً لكانت الشمس طالعة، ولو لم يكن النهار موجوداً لما كانت الشمس طالعة».
وقياس الخلف: وهو إثبات المطلوب بإبطال نقيضه لقولنا: شريك الباري غير موجود لأنه لو وجد إما أن يكون واجباً ممكناً والأول باطل، ولا يلزم تعدد الواجب، وكذا الثاني.

جسم فاعلاً، وأنتم تزعمون أنه إنما كان جسماً لعلة أنه فاعل، فيلزمكم أن تجعلوا كل جسم فاعلاً، وتبطلوا عمّا ليس بفاعل أن يكون جسماً، ونحن نجد أجساماً كثيرة، وليست بفاعلة فإن قالوا: لا نجد ها هنا ولا نعقل فيها بيننا فاعلاً، إلاّ جسماً، قلنا: فإن كنتم على المعقول تثبتونـه جسماً، فهـل ثبتموه بجميع ما تجدون من صفات الأجسام؟ وليس بين أن يخرج الشيء عن المعقول في وجه واحد وبين أن يخرج في وجهين فرق، وكذلك أكثر من ذلك، على أنهم لو رجعوا بصفة معبودهم إلى ما يجدون ويعقلون، لأبطلوا عنه التسمية بالجسم. وإلاّ فليوجدونا جسماً يخترع سماء وأرضاً، ويعلم السر والضمير، وما يكون قبل أن يكـون، فإن زعمـوا أنهم يعقلون ذلك ويتـوهمونـه، صاروا إلى التحكم، وخرجوا من التصادق، وليس مع المباهتة[1] محاجة، ولا مع المجاحدة مناظرة[2]، وإن زعموا أنهم لا يعقلون ذلك ولا يتوهمونه، قلنا فقد أقررتم بما لا تعقلون ومَن جعل بعض ما لا يعقل حقاً، وبعضه باطلاً؟ وما تنكرون أن لا يكون الله جسماً إذ كان فعالاً للأجسام وإذ كان يعلم ما يكون قبل أن يكون، كما لم تعقلوا جسماً غيره يخترع الإجسام، ويعلم ما يكون قبل أن يكون، إذ كنتم إنما بنيتم أصلكم على ما تعقلون، ويقال لهم: فإذا كنتم لا تبنـون إلاّ على مـا تعقلون ولا تقضون إلاّ بما تجدون، فأين وجدتم جسماً ليس بذي لون، ولا

---

(١) المباهتة: يقال بهته أخذه بغتة وبابه قطع ومنه قوله تعالى: ﴿بل تأتيهم بغتة فتبهتهم﴾ سورة الانبياء آية ٤٠ وبهته أيضاً: قال عليه ما لم يفعله فهو مبهوت وبابه قطع. وقال تعالى: ﴿فبهت الذي كفر﴾ سورة البقرة آية ٢٥٨ أي دهش وتحيّر. وقال تعالى: ﴿هذا بهتان عظيم﴾. سورة النور آية ١٦ أي كذب وقال تعالى: ﴿يأتين ببهتان يفترينه بين أيديهن وأرجلهن﴾ سورة الممتحنة آية ١٢ كناية عن الزنا، وقيل: بل ذلك لكل فعل شنيع يتعاطينه باليد والرجل.

(٢) المناظرة: هي النظر بالبصيرة من الجانبين في النسبة بين الشيئين إظهاراً للصواب وقد يكون مع نفسه.
والمجادلة: هي المنازعة في المسألة العلمية لإلزام الخصم سواء أكان كلامه في نفسه فاسداً أو لا. وإذا علم بفساد كلامه، وكلام صاحبه فنازعه فهي المعاندة.
وأمّا المغالطة: فهو قياس مركب من مقدمات شبيهة بالحق، ويسمى سفسطة أو شبيهة بالمقدمـات المشهورة ويسمى مشاغبة.
وأمّا المناقضة المصطلح عليها في علم الجدل: فهي تعليق أمر على مستحيل إشارة إلى استحالة وقوعه كقوله تعالى: ﴿ولا يدخلون الجنة حتى يلج الجمل في سم الخياط﴾ سورة الأعراف آية ٤٠.

طعم، ولا ريح، ولا لمس، ولا يشم، ولا يذاق، ولا هو خفيف ولا ثقيل، ولا حار، ولا بارد، ولا فاتر ولا خشن، ولا لين، ولا رقيق، ولا كثيف، ولا صلب، ولا رخو، ولا حسن، ولا قبيح، ولا صبيح، ولا مليح، ولا يمنع الأبصار، ولا تحله الألوان؟ فقد أخرجتموه من المعقول، وللخروج من المعقول قلتم بزعمكم بالتجسيم والتشبيه، وقد قلنا: إنه ليس بين أن يخرج الشيء في وجه واحد من المعقول وبين أن يخرج في وجهين فرق، وكذلك أكثر من ذلك.

المشبهة تسأل:

ومما تسألنا عنه المشبهة قولهم: لم جعلتموه شيئاً لا كالأشياء، وحيّاً لا كالأحياء وأبيتم أن يكون جسماً لا كالأجسام؟ قلنا: إن تأويل قولنا شيء[1] مخالف لتأويل قولنا جسم، فإذا قلنا شيء فذلك اسم لكل موجود وموهوم. وجسم إنما يراد به التجزي والتسديس، فإذا قلنا إن الله جسم ليس كالأجسام فكأننا قلنا هو وإن كان مسدساً ذا أجزاء فلا خالق إلاّ هو، ولو قلنا هو جسم لا كالأجسام، ونريد ذلك، لكنّا إنما قلنا إنه مسدس متجزىء وليس بمسدس ولا متجزىء وليس لهذا القول وجه غير هذين الوجهين، لأن قولك جسم إمّا أن يكون وصفاً للذات دون الإخبار عن جنس فعله ما هو، وكيف هو، وإمّا أن يكون لا كالأجسام إخباراً عن فعله أنه لا يشبه فعل الأجسام، فإن كنت عن الذات تخبر فقد جعلته مسدساً متجزياً، وإن كنت الفعل أردت فقد صار قولك

---

(١) حقيقة الشيء عند الأباضية: هو المخبر عنه، وعند الأشعرية هو الموجود. أمّا المعدوم فليس بشيء وعند الأباضية شيء معدوم، والعدم أيضاً ليس بشيء «البرادي: رسالة الحقائق ص ٣٥ وفي هذا المعنى يقول ابن أبي سنة: «فالشيء حينئذ أعمُّ من الوجود على ما ذهب إليه أصحابنا، وهو الذي تقتضيه اللغة». حاشية على شرح الكتاب.

وقد أورد الأشعري في المقالات آراء الفرق الإسلامية في معنى قولهم «إن الله شيء» المقالات ١:٢٨١ و٢:٢٠٢ ويقول بلقاسم بن حسن: ويبدو أن أغلب مفكري الإسلام يجيزون إطلاق لفظ الشيء على اسم الله تعالى، ولكنهم يجمعون على نفي الجسمية عنه نفياً قاطعاً في أي شكل من الأشكال. راجع آراء الماتريدي الكلامية ص ١٩٥.

كقول مَن قال إن النار جسم لا كالأجسام، وليس يريد أن النار غير مسدسة ولا متجزية وإنما يريد أن لا محرق إلاّ النار حيثما كانت، ولو لم يعن القائل ما قلنا، لكان إنما قال النار جسم وليست بجسم، وكذلك إذا زعم أن الله جسم وليس كالأجسام، وقولنا شيء اسم لكل موجود وموهوم، وقولنا لا كالأشياء، أردنا أن صفاته بخلاف صفات الأشياء وليس في قولنا شيء[1] بخلاف الأشياء ما يخرجه من أن يكون شيئاً وليس سبيل القول بأنه جسم لا كالأجسام سبيل القول بأنه شيء لا كالأشياء، وقد نقول: إن الإنسان حيّ، نريد أنه حيّ بحياة فيه، ونريد أنه ليس بميت، ولا نريد أنه لم يمت قط، فإذا قلنا: إن الله حيّ، فإنما نريد أنه ليس بميت، ولم يمت، ولا يموت، وقد نقول للإنسان الحي ميت، إذا كان بليداً، ونقول للإنسان هو حي إذا، كان حي الذهن، وإذا قلنا: إن الله حي لا كالأحياء، فقد أخبرنا أن حياته ليست كحياة الخلق، وقولنا: جسم إنما هو مقصور على التجزي، والتسديس فقط، وبعد فمن أين صار قولي: هو حي لا كالأحياء، يبيح القول بأنه جسم لا كالأجسام، وكذلك إن سألوا عن سميع وسميع، وبصير وبصير، وعالم وعالم، فالجواب لهم في جميع ذلك، كالجواب في حي وحي، فتثبت في ذلك جداً، والله وليّ التوفيق.

الفصل الثاني من المشبهة:

وأمّا الذين قالوا من المشبهة: باللحم والدم، وصورة الإنسان،

---

(١) الله سبحانه وتعالى شيء، وهو أعظم الأشياء وأفضلها وليس يشبهه شيء، ويقول الدكتور فرحات الجعبيري: ونرد في ذلك على الجهمية والمشبهة الذين يعتبرون الشيء والجسم بمعنى واحد ثمّ يختلفون فيذهب الجهمية إلى نفي الشيئية عن الله فيعطلون، ويذهب المشبهة إلى إقرار الشيئية فيجسمون. وخطرهم ناجم عن خلط لغوي ذلك أن اللغة تميّز بين الشيء والجسم، وتعتبر الشيء أهم من الجسم لأن كل جسم شيء، وليس كل شيء جسماً. قال تعالى: ﴿لقد جئتم شيئاً إداً﴾ (سورة مريم ٨٩) يعني قولهم وفعلهم وهو ليس بجسم (ابو عمار عبد الكافي: حاشية على كتاب الجهالات ص ١٥٧ ـ ١٥٨ نقلاً من رسالة دكتوراه للدكتور فرحات الجعبيري ص ١٧٠.

والسبعة[1] الأشبار على صورة آدم، فيقال لهم: أخبرونا لأية علة صار الله قديماً مخترعاً للأجسام، ألعلة الذات أم لغير علة الذات؟ فإن قالوا: لعلة الذات، قلنا: فكيف والذاتان متفقتان؟ فإن قالوا: لعلة غير الذات، قلنا: ما هي؟ فإن قالوا: هي القدرة، قلنا: وما جعل هذه القدرة توجب القدم، واختراع الأجسام، دون أن تكون الأخرى توجب ذلك؟ فإن قالوا: لأن هذه غير متناهية، وتلك متناهية قلنا: وما جعل هذه غير متناهية، دون أن تكون تلك أيضاً غير متناهية؟ أو ما جعل تلك متناهية دون أن تكون هذه أيضاً متناهية؟ والذاتان في زعمكم متفقتان، أو ليس اتفاق الذاتين مما يوجب اتفاق القدرتين، وفي اتفاق القدرتين اتفاق الأعمال؟ أو ليس إذا استوت الأعمال، واتفقت الصفات، في وجوه الخاص والعام فذلك هو الذي يوجب التسوية بين الحكم؟ أو ليس الدليل على مخالفة الثلج للنار، وموافقة النار النار، الذي رأينا من اتفاق الأعمال واختلافها، وحتى قضينا باتفاق الأعمال واختلافها، وحتى قضينا باتفاق الجسم وباختلافه، وعلى جميع ذلك بالحدث؟ فليس بين السبيلين سبيل، ولا بين القولين قول، إمّا أن تقولوا باتفاق الصفات في باب القدم، والأعمال في باب الاختراع، لاتفاق الذاتين، أو تقولوا باتفاق الصفات في باب الحدث، واتفاق عدم الأعمال في باب العجز، فعلى أي هذين القولين تعزمون من صفة معبودكم؟ وعلى أيهما تعتمدون وهكذا السؤال عليهم في جميع الصفات وفي جميع الأفعال، فلو كنا تتبعنا ذلك واحداً واحداً، لما انفصلنا منه إلى غيره، إلاّ أن شاء الله، فمَن فهم ما ذكرنا من هذا، فهم ما لم نذكر منه، إن شاء الله.

وبعد فكيف يكون بيننا جسم ساكن أحدث جسماً لم يكن، من غير أن يتحرك ذلك الساكن أو يعتمد، أو يضمر إرادة، أو تجيئه مادة، ثم يحدث جسماً

---

(١) الذين قالوا بذلك هم الهشامية أتباع هشام بن الحكم الرافض الذي شبه معبوده بالإنسان، وزعم لأجل ذلك أنه سبعة أشبار بشبر نفسه، وأنه جسم ذو حد ونهاية، وأنه طويل عريض عميق، وذو لون، وطعم، ورائحة، وقد روى عنه أن معبوده كسبيكة الفضة، قاتله الله. راجع الفرق بين الفرق ٢٢٧.

في طول الأرض، وعرض الأرض، وعمق الأرض، وحالات الفاعل والمفعول سواء؟ وما جعل ذلك الجسم الساكن الذي لم يتغيّر عن أمره بوجه من الوجوه أحق بذلك الحدث من غيره؟ وبعد فما الذي أخّر ذلك الحادث إن كان تأخّر؟ وما الذي قدّمه إن كان تقدّم، والفاعل على أمر واحد قبل وبعد؟ ولِمَ جاء أيضاً جسماً وإن تحرّك ألف سنة؟ ولِمَ جاء جسماً كبيراً دون أن يجيء جسماً صغيراً ولم جاء أسود دون أن يجيء أبيض، ولم جاء خفيفاً دون أن يجيء ثقيلاً؟ وإن زعموا أنه له لم يحدث حركة، لما أحدث جسماً، لأنه لو لم يحدثها لكان على أمره الأول، ومتى كان في حال فعل الجسم وقبله وبعده على هيئة واحدة لم يكن كون ذلك الحادث له دون غيره، قلنا: احسبوه قد تحرّك، لم جاء جسم في ثخن[1] الأرض وطولها وعرضها؟ ولم جاء أسود دون أن يجيء أبيض، وحاراً دون أن يجيء بارداً؟ ولم جاء منه جسمان أحدهما خفيف والآخر ثقيل في حال واحدة؟ والحركة الواحدة في الجهة الواحدة، والجنس[2] الواحد لا يوجب كون المختلف، وحدوث المتضاد فإن زعموا أن الأجسام إنما اختلفت لاختلاف الجهات، قلنا: فهل تخلو حركته إذا أراد أن يصنع المختلف من أن

---

(١) ثخن: ثخن الشيء من باب ظرف: أي غلظ وصلب فهو (ثخين) وأثخنته الجراحة أوهنته يقال أثخن في الأرض قتلاً.

(٢) الجنس هو عبارة عن لفظ يتناول كثيراً ولا تتم ماهيته بفرد من هذا الكثير كالجسم.
والجنس الخاص: ما يشتمل على كثيرين متفاوتين في أحكام الشرع كالإنسان.
والنوع الخاص: هو ما يشتمل على كثيرين متفقين في الحكم كالرجل.
والجنس العالي: هو الذي تحته جنس وليس فوقه جنس كالجوهر على القول بجنسيته.
والجنس السافل: هو الذي فوقه جنس وليس تحته جنس، كالحيوان.
والجنس المتوسط: هو الذي فوقه جنس وتحته جنس كالجسم النامي.
والجنس المنفرد: هو الذي ليس فوقه جنس ولا تحته جنس.
قالوا: ولم يوجد له مثال.
والجنس عند النحويين والفقهاء: هو اللفظ العام، فكل لفظ عمَّ شيئين فصاعداً فهو جنس لما تحته سواء اختلف نوعه أو لم يختلف. وعند آخرين لا يكون جنساً حتى يختلف بالنوع نحو الحيوان فإنه جنس للإنسان والفرس والطائر ونحو ذلك. راجع الكليات ٢:١٤٩ ـ ١٥٠ بتصرّف.

تكون في الست الجهات معاً، أو تكون كل واحدة بعد الأخرى؟ فإن كانت معاً فلا قول أبعد عن المعقول من هذا القول، بل لا يكون كلام أدخل في باب المحال منه، وإن كان هو من بين الأجسام يفعل ست حركات في ست جهات معاً، فما تنكرون أيضاً أن يكون من بين الفاعلين ليس بجسم؟ ويقال لهم: أخبرونا عن الله أصار خالقاً للأجسام، وعالماً بالغيب،[1] من أجل كثرة أجزائه، وعظم جسمه، أو لأن ذاته خلاف كل ذات؟ فإن كان إنما صار مخترعاً للأجسام، لأن ذاته على خلاف كل ذات، خرجوا من المذهب، وتركوا القول بالتجسيم، وإن كان إنما يخلق لكثرة الأجزاء فقد كان ينبغي لكل جسم أن يخلق على قدر أجزائه، وإن قالوا: ليست العلة في ذلك كثرة الأجزاء، ولا قلتها، فإذا كان ذلك كذلك، فلعله أصغر من الهيئات، وأقل من كل قليل، ويلزم المشبهة أيضاً أن يكونوا لا يدرون لعل الذرة[2]، والبعوضة أكبر جسماً من الههم، من غير الوجه الذي ألزمناهم قبل، لأن الله لا يخلو من أن يكون محدوداً أو غير محدود، فإن كان الله محدوداً فلا يجوز أن يفعل العالم منه على هذا القياس إلاّ الجزء المحدود، إذا كان الكل لا يقع إلاّ على المتناهي والفاعل لا يخلو من أن يكون محدوداً أو غير محدود، فإن كان الله محدوداً فلا

(١) الغيب في كلام العرب: كل ما غاب عنك، وأغابت المرأة فهي مغيبة إذا غاب عنها زوجها، والغيابة: الأجمة، وهي جماع الشجر يغاب فيها والغيب: كل ما أخبر به الرسول عليه السلام مما لا تهتدي إليه العقول، من أشراط الساعة، وعذاب القبر، والحشر والنشر، والجنة والنار. وقال عبدالله بن مسعود: ما آمن مؤمن أفضل من إيمان بغيب ثمّ قرأ: ﴿الذين يؤمنون بالغيب﴾..سورة البقرة آية ٣

(٢) الذرة في الأصل: هي الجزء الفرد، أو الجزء الذي لا يتجزأ أثبتها (ديمقريطس) و(أبيقوروس) و(لوكرس) فقال ديمقريطس: إن الجواهر الفردة أبدية ومتجانسة، وثابتة لا تختلف بعضها عن بعض إلاّ بصورها وأوضاعها وحركاتها، وقال المتكلمون الذين أثبتوا ذلك إن الجوهر الفرد ذو وضع لا يقبل القسمة أصلاً لا قطعاً، ولا كسراً ويطلق المحدثون: لفظ الذرة على أصغر جزء من عنصر مادي ما، يصح أن يدخل في التفاعلات الكيماوية، وهذه الأجزاء المادية ثابتة الكيفيات، وقد أطلق العلماء خلال هذه السنوات الأخيرة لفظ الذرة على أجزاء فيزيائية محدودة ومنفصلة لا تقبل الانقسام كالذرات الكهربائية أي (الالكترونات) وأطلق الفلاسفة لفظ الذرة على العناصر النفسية التي لا تنقسم وسموه بالذرات النفسية.

بدّ من أن تكون الدنيا مثل نصفه، أو جسمه، أو عشره، أو جزء من ألف جزء منه، لأن تضاعيف المتناهي لا يكون أبداً إلاّ متناهياً، فإذا كان ذلك كذلك فقد خلق الله الدنيا في مثل عشره، وقدرته على مثل ما خلق، كقدرته على ما خلق، وكذلك قدرته على مثليه، وثلاثة أمثاله إلى عشرة أمثاله، وإلى أن يبلغ إلى مثل مقداره ومساحته، في طوله وعرضه وعمقه، فإذا كان ذلك جائزاً، وليست مساواته في المقدار، والذرع مساواة في القدرة، فما تنكرون أن يكون ما خلق الله أكثر ذرعاً، وأعظم جسماً منه، ولا يكون ذلك بالذي يوجب له مثل قدرته، فإن جوزوا له ذلك، قلنا فلعله مثل نصف الدنيا، فإذا جوزوا ذلك، قلنا: فلعله مثل ربعها، أو ثمنها، أو عشرها، إلى أن يصيروا إلى الذرة والبعوضة، ويقال لهم: هل تخلو حركته يمنة أن تخالف حركته يسرة لاختلاف الجهتين، أو تكونا مختلفتين في أنفسهما؟ فإن جعلوا سبب اختلافهما اختلاف جهاتهما، قلنا: ولم اختلفتا لاختلاف غيرهما؟ وإن كانتا مختلفتين في أنفسهما، فقد صار الجسم الواحد قد تجيء منه الأجناس المختلفة، والأفعال المتضادة، فإن لم يجوزوا ذلك في سائر الأجسام، وخصوه بأنه يفعل الحركتين المختلفتين في الجهتين، فقد أقرّوا بأنه بخلاف ما يعقلون، ويجدون فيما بينهم، وينبغي للأجسام التي يحدثها الله أن تكون إنما تعظم على قدر شدّة الحركة منه، وهذا يوجب أنه إذا سعى كان الجسم الحادث أكبر منه إذا مشى، وإذا عدا، كان الجسم الحادث أكبر منه إذا سعى، تعالى الله عن ذلك علواً كبيراً.

ويلزم هذا الصنف من المشبهة القائلين بأنه على صورة الإنسان لعلهم قد يكونون يشاهدونه، ويلقونه في بعض المسالك، ولا يدرون أنه هو، وقد بلغنا عن عبد الرحمن[١] بن كيسان، قال:

---

(١) هو عبد الرحمن بن كيسان، أبو بكر الأصم، فقيه معتزلي مفسّر، قال ابن المرتضى، كان من أفصح الناس وأفقههم وأورعهم، خلا أنه كان يخطئ علياً عليه السلام في كثير من أفعاله، ويصوب معاوية في بعض أفعاله. وله تفسير وصف بأنه عجيب، ومقالات في الأصول، ومناظرات مع أبي الهذيل العلاف قال ابن حجر: هو من طبقة ابن الهذيل وأقدم منه، وقال القاضي عبد الجبار كان جليل القدر. توفي عام ٢٢٥ هـ. راجع طبقات المعتزلة ٥٦ ولسان الميزان. ٤٢٧:٣ وفضل الاعتزال ٢٨٧.

نازع ضرار[1] بن عمرو رجلاً من علمائهم، فما أقلع عنه إلى أن اضطره إلى أنه في صورة الإنسان، وحتى أنه قد يكون يلقاه في بعض الأزقة، ولا يدري أنه هو، قال عبد الرحمن: قال له ضرار: لعلي أنا هو - وكان ضرار رجلاً ذميم الصورة - فقال: أنت قبيح وهو حسن، فينبغي على قياس هذا القول لو كان السائل له جميلاً، أن يشك لعله، هو ربّ العالمين تعالى الله عما يقولون علواً كبيراً.

الفصل الثالث:

ويقال للمشبهة من أصحاب الغلط في تأويل كتاب الله، أهل التحريف لحديث رسول الله صلّى الله عليه وسلّم، ممن يأبى التسمية بالجسم بزعمهم أخبرونا عن قول الله عزّ وجلّ: ﴿الرَّحْمَنُ عَلَى الْعَرْشِ اسْتَوَىٰ﴾[2] ما تأويله عندكم، وما مخرجه؟ أعلى ما يعقل من الحلول والتمكن على العرش كما يستوي الملك على سريره، أم على الذي قلناه في ذلك من معنى الاستيلاء، والملك والحفظ والقدرة، والمنع له من الزوال كما استوى على جميع خلقه، من العرش وغيره؟ فإن قالوا: على ما يعقل من الحلول والتمكن على العرش، كما استوى على سريره لحقوا بإخوانهم من أهل التشبيه المحض، القائلين بالتجسيم على حقيقته، فكان النقض عليهم كهو على إخوانهم المتقدمين، وإن قالوا: إن الاستواء على غير سبيل الحلول والتمكن والملازقة، قلنا: فعلى ماذا إذاً؟ قالوا: إنّا لا نعدو ما قال الله عزّ وجلّ، ولا نجاوزه إلى ما سواه، ولا

---

(١) ضرار بن عمرو الغطفاني، قاضي من المعتزلة، طمع برياستهم في بلده فلم يدركها فخالفهم فكفروه بقوله (إن لله ماهية، تدرك بحاسة سادسة تخلق يوم القيامة) راجع مقالات الإسلاميين ١:٢٨١ والفصل لابن حزم ٤:١٩٢ - ١٩٥ وصنف نحو ثلاثين كتاباً بعضها في الرد على المعتزلة والبعض في الرد على الخوارج، وفيها ما هو مقالات خبيثة وشهد عليه الإمام أحمد بن حنبل عند القاضي سعيد ابن عبد الرحمن الجمحي فأفتى بضرب عنقه فهرب، وقيل إن يحيى بن خالد البرمكي أخفاه. قال الجشمي: ومَن عدّه من المعتزلة فقد أخطأ لأنّا نتبرأ منه. راجع لسان الميزان ٣:٢٠٣ وفضل الاعتزال ٣٩١ والفرق بين الفرق للبغدادي ٢١٣.

(٢) سورة طه آية رقم ٥.

نقول على المعقول من الحلول[1] والتمكن، وغير ذلك، قلنا: بل قد جاوزتم ما قال الله عزّ وجلّ من ذلك، إذ زعمتم أنكم لا تقولون في الاستواء على ما قال الله عزّ وجلّ، من معنى الاستيلاء والحفظ والقدرة مما دلّ عليه نص القرآن، والحديث عن رسول الله صلّى الله عليه وسلّم، وعن أصحابه وأيمة المسلمين بعدهم، من الذين ذكرنا وبيّنا فإن قالوا: لا نقول في الاستواء بمعنى الاستيلاء والحفظ والقدرة والملك ولا بمعنى الاستقرار والحلول والتمكن، ولكنّا نقول: إن الله عزّ وجلّ فعل في العرش فعلاً يسمى به مستوياً، ولا نصف ذلك ولا نحده قلنا: فإنا لا نجد للاستواء في لغة العرب معنى، إلاّ ما ذكرنا وبيّنا من الاستيلاء والحفظ والملك والقدرة، أو على معنى ما يعقل من الحلول والتمكن، فعلى أي هذين الأمرين تعزمون من قولكم؟ وعلى أيها تعتمدون؟ ونحن لا ندعكم حتى تخرجوا بنا إلى أحد الوجهين: إمّا إلى قول إخوانكم من أصحاب المعقول والتمكن والاحتواء والحدود، فذلك أروح لكم وأقيد لمقالتكم، من الإقامة على اللبسة والرضا بالشبهة، أو ترجعوا إلى الذي منه فررتم من قولنا، وليس بين القولين قول، ولا بين السبيلين سبيل.

وكذلك يسألون عن قوله تعالى: ﴿وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَّاضِرَةٌ إِلَى رَبِّهَا

---

(١) الحلول: اصطلاح فلسفي من حلّ. ومن استعمالاته القديمة في علم الكلام في الإسلام: علاقة بين جسم ومكانه، أو عرض وذاته ويستعمل الحلول أيضاً للدلالة على الاتحاد الجوهري بين الروح والبدن أو الجسم، أو بين العقل الفعّال والإنسان (الفارابي: آراء أهل المدينة الفاضلة) وكذلك يستعمل الحلول للدلالة على حلول اللاهوت في الناسوت (عند النصارى).

على أن جميع المتكلمين المسلمين رفضوا هذه النظرية، وإن كان بعضهم يقره في حلول الملاك أو الجن في جسم الإنسان وينكرونه على معنى حلول الذات الإلهية في جسم إنسان، أي التجسد، أو انتقالها من جسم إلى آخر بالتناسخ.

ومن الذين قالوا بالحلول: غلاة الشيعة: السبئية والبيانة، والجناحية والخطابية والنجدية (النصيرية) والمقنعية، والرزامية والباطنية والعزاقرة، والدروز، والشباسية، وأنصار وحدة الوجود الاتحادية.

راجع منتهى المدارك: طبعة القاهرة ١٢٩٣هـ جـ ٢ ص ٨٤ ـ ٨٦ وانظر مادة (ابن العربي) والسلمي: غلطات الصوفية، والهجويرى كشف المحجوب ص ٢٦٠ ـ ٢٦٤ والغزالي: المقصد الأسنى: القاهرة ١٣٢٤هـ التهانوي: كشاف اصطلاحات الفنون.

﴿نَاظِرَةٌ﴾[1]، فيقال لهم: أذلك عندكم على معنى رؤية الأبصار، ودرك الألوان في ضروب من الألوان، وتحديد المكان، إذا كان الذي يرى في مكان غير مكان الذي يرى فيه أم على معنى غير ذلك من الذي فسّرنا وبيّنا، من أن النظر إنما أراد به الانتظار والترقب لما يأتي من عند الله من جزيل ثوابه؟ فإن قالوا: إنما ذلك على ما يوجد في المعقول، من رؤية الأبصار، ودرك الألوان، وتحديد المكان، كفيت مؤونتهم، وألحقناهم بإخوانهم الأولين، فكان الرد عليهم واحداً وإن قالوا: إنّا لا نقول في ذلك بمثل قولهم، ولا نرضى بمنزلتهم، ولكنا نقول كما قال إنه يرى ولا نثبت لوناً، ولا غير لون ولا تحديداً في مكان، ولا غير مكان، ولا نعدو ما قال عزّ وجلّ من ذلك، قلنا: بل عدوتم إلى غير الذي قال جل اسمه، حين زعمتم أنه يرى بالأبصار، ويدرك بالأعيان، وهو يقول: ﴿لاَ تُدْرِكُه الأَبْصَارُ وَهُوَ يُدْرِكُ الأَبْصَارَ﴾[2] ولم تقولوا في قوله: (ناظرة) بالذي قال عزّ وجلّ ورسوله صلّى الله عليه وسلّم، وأصحابه، والأئمة من بعدهم، من الذين بيّنا فيما مضى من كلامنا، ورويناه في غير حديث واستشهدنا عليه من أن النظر إنما هو على الانتظار، لا على رؤية الأبصار وليس لكم بين أحد

(١) سورة القيامة آية رقم ٢٢/٢٣.

(٢) سورة الأنعام آية رقم ١٠٣ ـ بين سبحانه أنه منزه عن سمات الحدوث، ومنها الإدراك بمعنى الإحاطة والتحديد. واختلف السلف في رؤية نبيّنا عليه السلام ربه، ففي صحيح مسلم عن مسروق قال: كنت متكئاً عند عائشة فجلست فقلت يا أم المؤمنين انظريني ولا تُعجليني ألم يقل الله عزّ وجلّ ﴿ولقد رآه بالأفق المبين﴾ ﴿ولقد رآه نزلة أخرى﴾ فقالت: أنا أول هذه الأمة من سأل عن ذلك رسول الله ـ صلّى الله عليه وسلّم ـ فقال: إنما هو جبريل لم أره على صورته التي خلق عليها غير هاتين المرتين رأيته منهبطاً من السماء ساداً عظم ما بين السماء والأرض فقالت ألم تسمع أن الله عزّ وجلّ يقول: ﴿لا تدركه الأبصار وهو يدرك الأبصار وهو اللطيف الخبير﴾ أولم تسمع أن الله عزّ وجلّ يقول: ﴿وما كان لبشر أن يكلمه الله إلاّ وحياً أو من وراء حجاب أو يرسل رسولاً﴾. قالت ومن زعم أن محمداً ـ صلّى الله عليه وسلّم ـ كتم شيئاً من كتاب الله فقد أعظم على الله الفرية والله تعالى يقول: ﴿يا أيها الرسول بلّغ ما أنزل إليك من ربك وإن لم تفعل فما بلغت رسالته﴾ سورة المائدة آية ٦٧ قالت: ومَن زعم أنه يخبر بما يكون في غد فقد أعظم على الله الفرية والله تعالى يقول: ﴿قل لا يعلم مَن في السموات والأرض الغيب إلاّ الله﴾. سورة النحل آية ٦٥.

الوجهين وجه، تذهبون إليه، ولا ملجأ تأوون إليه، إمّا أنكم عزمتم على مقالة إخوانكم، فيلزمكم جميع ما يلزمهم، أو رجعتم إلى الذي قلنا صاغرين.

وكذلك يسألون عن قوله: ﴿يَدُ اللَّهُ فَوْقَ أَيْدِيهِمْ﴾[1] وعن قوله: ﴿وَالسَّمَـوَاتُ مَـطْوَيَـاتٌ بِيَمِينـه﴾[2] وعن قـولـه: ﴿وَلِتُصْنَـعَ عَلَى عَيْنِي﴾[3] وعن قوله: ﴿وَجَاءَ رَبُّكَ﴾[4] في مثل ذلك من جميع ما تقدم ذكره فيما مضى من كلامنا، فيقال لهم: على ماذا تحملون هذا كله، من قول اللّه؟ وعلى أي وجه تتأولونه أعلى ما يعقل من الجوارح، المركبة في الأبدان، من اليد التي هي مركبة في ساعد، والساعد في مرفق، والمرفق في عضد، والعضد في منكب، والمنكب في الكتف، وعلى ما يعقل من اليمين التي هي ليست بيسار، وعلى ما يعقل من العين التي مركبة في وجه، والوجه في رأس، والرأس في القفا، وعلى ما يعقل من المجيء والذهاب والنزول والطلوع، والحركة والنقلة من مكان إلى مكان، أم على غير الجوارح، وما يعقل من الإنسان: فإن قالوا على المعقول من الجوارح، مما ذكرتم من ذلك، وما لم تذكروا، كانوا أيضاً قد لحقوا بإخوانهم من أهل حقيقة التجسيم، القائلين باللحم والدم، والمعتقـدين لصورة الإنسان العازمين على سبعة أشبار، وما ينحو ذلك من كلامهم، وكفى اللّه مؤنتهم، فإن لم يتجاسروا على هذا لخشونة القول به، ولفظاعته، ولتضاح فساد المذهب فيه وقالوا: لسنا نقول بهذا الـذي يقتحم عليه هؤلاء القـوم، ونحن مع ذلك لا ندخل في الذي دعوتمونا إليه من تأويلكم، ولكنا نقول كما قال اللّه عزّ وجلّ، ولا نعدوه، إلى ما سواه، وليس عليه من البحث والتفتيش في هذا ومثله شيء، قلنا بل يجب للّه عليكم أن تصفوه بحق صفاته، وتعزموا

(١) سورة الفتح آية رقم ١٠.
(٢) سورة الزمر آية رقم ٦٧.
(٣) سورة طه آية ٣٩.
(٤) سورة الفجر آية رقم ٢٢.

على أنَّه بغير صفات خلقه، وتدعوا ما وراء ذلكم من تشبيهكم اللّه بخلقه، ووقوفكم دون ما قال اللّه جلّ اسمه، ودون ما قال رسول اللّه صلّى اللّه عليه وسلّم، وأصحابه، وأيمة المسلمين من بعدهم، مع أنّكم قد بحثتم وفتشتم وقلتم، وتجاوزتم وأخطأتم، حين زعمتم أنَّ اللّه يرى بالأبصار وأنَّه يدرك بالعيان، وأنَّه على العرش استوى، وحل فوقه دون غير العرش وأنَّه يجيء ويذهب، وينزل عشية عرفة إلى سماء الدنيا، فيباهي الملائكة بأهل عرفة، وأنَّه ينزل للنصف من شعبان، وأنَّ له عيناً، ووجهاً، ويداً، وقبضة، ويميناً، وجنباً، وساقاً، في جميع ما تجاسرتم عليه من ذلك، تعالى اللّه عما يقولون علواً كبيراً، فهكذا السؤال عليهم والجواب لهم في جميع ما يدور بيننا وبينهم من هذه المعاني، وأشباهها، فحين نبهتكم عليها، عرفتم عامتها، وهو من الأصل الذي وصيناكم بحفظه أولاً، والحمد للّه رب العالمين.

وإنَّ هم سألونا فقالوا: ما تنكرون أن يكون اللّه جلّ جلاله وله القدرة على جميع الأشياء، قد حول أبصار أوليائه عن معناها في المعاد فيكون اللّه مدركاً بها؟ قلنا: لا يعدوه هذا الذي سألتم عنه وجهين لا ثالث لهما: أما أن يكون اللّه جلّ جلاله قد غير الأبصار عن معناها، وحولها عن صفاتها، فتكون الأبصار حينئذ ليست أبصاراً، فإذا تحولت الأبصار على هذا الوجه، وصارت غير أبصار بطل عنها الوصف بأنَّها ترى وتبصر، فإذا بطل عنها أن ترى وتبصر بطل ما ذهبتم إليه من الرؤية والدرك، وأنتم إنما أردتم بسؤالكم هذا إثبات الرؤية[1] فإنا نراكم أبطلتموها بالذي أردتم إثباتها بها، أو تكونوا

(١) الرؤية إذا أضيفت إلى الأعيان كانت بالبصر، وقد يراد بها العلم مجازاً بالقرينة، ومنه قوله تعالى ﴿ألم ترَ إلى ربك﴾ وقوله عليه الصلاة والسلام: «صوموا لرؤيته وافطروا لرؤيته» وكذا يراد بها الكينونة عند الإضافة إلى مكان لتعارف الناس ومنه قول الأعمى (رأينا الهلال بالكوفة).
والرؤية بالحاسة نحو ﴿لترون الجحيم﴾ وبما يجري مجرى الرؤية نحو ﴿إنَّه يراكم هو وقبيله من حيث لا ترونهم﴾ وبالوهم والتخييل نحو ﴿إذ يتوفى الذين كفروا الملائكة﴾ وبالعكس نحو: ﴿إني أرى ما لا ترون.﴾

تذهبون إلى ان يكون الله جل جلاله هو الذي يتغير في ذاته، ويتحول في صفتـه، فيصير لـوناً من الألـوان، وشخصاً من الأشخـاص، فيكون مـدركاً بالأبصار، مشاهداً بالعيان، فإن كنتم إلى هذا الوجه تذهبون أن يتحول الباري جلّ جلاله عن صفة القديم[1] اللائق، إلى صفة المحدث المخلوق، ففي هذا ما فيه، وكذلك إن سألوا فقالوا: ما أنكرتم أن يكون اللّه عزّ وجلّ قد زاد في أبصاركم قوة، فتدركونه بها؟ قلنا: لا تخلو هذه القوة الزائدة من أن تكون تخرج بالأبصار عن معناها، وتحولها عن صفتها، فتكون إذ ذاك ليست أبصاراً، فتصير على جهة الحواس الأخرى، وعلى غير ذلك من الأشياء، فإذا كانت على جهة الحواس الأخرى، كانت الأبصار منقولة محـولة عن جهـة الدرك للألوان، والمشاهدة لـلأشخاص، وصـارت بجهة الـدرك للروائح، والمـلامس والاستذواق، والأصوات، وبطل الوصف عنهـا حينئذ بـأنّها ترى وتبصر، أو تكون هذه القوة التي تزاد في الأبصار، ليست مما يخرجها عن معناها، ولكنها زيادة في قوة الناظر، فإذا كان هذا على هذا الوجه فليس في هذا ما يوجب لها أن تكون تدرك ما ليس بلون أو ترى ما ليس بشخص، وإنما هذا مما يوجب للأبصار أن تكون تدرك من الألوان الخفيفة، والأشخاص الضئيلة والأشياء البعيدة المسافة ما لم تكن تدركه قبل زيادة القوة ألا ترون أنَّ الأسد إنما كان يرى في جوف ظلمة الليل ما لم يكن يراه ما سواه من الحيوان لشدة بصره، ولقوة ناظره، فإذا اشتد البصر، وقوي الناظر، زاد في الدرك للألوان، والرؤية للأشخاص، كما أنَّه إذا ضعف النـاظر، ضعف الـدرك للأشخـاص، والتمييز

---

(١) القديم في اللغة: ما مضى على وجوده زمان طويل، ويطلق في الفلسفة العربية على الموجود الذي ليس لوجوده ابتداء، ويرادفه الأول. قال ابن سينا: «يقال قديم للشيء إما بحسب ذاتـه، وإما بحسب الزمان، فالقديم بحسب الذات هو الذي ليس لذاته مبدأ هي به موجودة، والقديم بحسب الزمان هو الذي لا أول لزمانه» راجع النجاه ٣٥٥.
والقديم بحسب الذات هو الذي له مبدأ يتعلق به، وهو الواحد الحق (رسالة الحدود ١٠٢) راجع المعجم الفلسفي ٢: ١٨٨.

للألوان، فلا يدرك صاحبه إلاَّ ما جلّ من ذلك، دون ما دق على قدر ضعف البصر، وقوته، إلى أن يذهب جميعه، فلا يكون البصر عند ذلك يدرك لوناً، ولا يرى شخصاً، كما أنَّ النار إذا قويت قوي إحراقها وتمييزها وليس في زيادة قوتها ما يخرجها عن معنى الإحراق، والتمييز وكذلك الثلج كلما تقوى أو كثر، قوي تبريده للأشياء، وتجميده إياها، ولا تخرجه قوته عن صفته ومعناه، وكذلك إن سألوا وقالوا: ما أنكرتم أن يكون اللّه جلّ جلاله يحدث لهم في المعاد حاسة سادسة، فيكونون يدركونه بها؟ قلنا: هذا ومثله من المسألة الأولى، فإن كنتم أردتم أن تكون هذه الحاسة السادسة على معنى الأبصار وعلى صفتها، فقد أنبأناكم أولاً، بأنَّ الأبصار مقصورة على درك الألوان، والأشخاص مطبوعة على أنَّها لا يكون منها إلاَّ ذلك، وإن أردتم أن تكون الحاسة المستحدثة لهم بخلاف صفة الأبصار، فقد أبطلتم عنها أن تكون ترى وتبصر، وفي أبطالكم عنها ذلك، أبطال لقولكم، ويقال لهم: خبرونا لأية علة صار معبودكم لها يرى في دار المعاد ولا يرى لها في دار الدنيا، أَلِلذات كان ذلك أم للخبر؟ فإن قلتم للذات، فالذات لا تتغير، وإن قلتم للخبر قلنا: وما ذلك الخبر؟ فإن قلتم: ﴿وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَاضِرَةٌ إِلَى رَبِّهَا نَاظِرَةٌ﴾[1] قلنا: فهذا الخبر عندكم إنما هو للرؤية في المعاد، وأين الخبر الذي لا يرى له في دار الدنيا؟ فلستم تجدونه إلاَّ أن يقولوا هو قوله: ﴿لا تدركه الأبصار﴾ فإذا قلتم ذلك قلنا : أهذا الخبر خبر عن الذات، أم خبر عن وقت دون وقت؟ فإن قلتم خبر عن الذات فقد قلتم: إنَّ الذات لا تتغير، إذ كان في تغير الذات تغير من صفة القديم، إلى صفة المحدث، فإن قلتم: خبر عن وقت دون وقت، فيلزمكم أن تقولوا بمثل ذلك في جميع ما أخبر اللّه به عن نفسه، ودل عباده عليه في صفته من قوله تعالى: ﴿لاَ تَأْخُذُه سِنَةٌ وَلاَ نَوْمٌ﴾[2]، ﴿وَلاَ

(١) سورة القيامة آية رقم ٢٣.

(٢) سورة البقرة آية رقم ٢٥٥.

يَؤُودُه حِفْظَهُمَا وَهُو الْعَلِيُّ الْعَظِيمُ﴾[1]، ﴿لاَ يَعزُبُ عَنْهُ مِثْقَالُ ذَرَّةٍ فِي السَّمَواتِ وَلاَ فِي الأَرْضِ﴾[2]، ﴿وَعِنْدَهُ مَفَاتِحُ الْغَيْبِ لاَ يَعْلَمُه إلاَّ هُوَ﴾[3]، ﴿لاَ يُجَلِّيهَا لِوَقتِها إلاَّ هُوَ﴾[4] فتكون هذه الأخبار في كتاب اللّه عزّ وجلّ، وأمثالها في صفة اللّه جلّ جلاله إنما هي لوقت دون وقت، فإن قالوا: قد استثنى في قوله: ﴿لاَ تُدْرِكُه الأَبْصَارُ﴾[5]، بقوله: ﴿وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَاضِرَةٌ إِلَى رَبِّهَا نَاظِرةٌ﴾[6]، قلنا: وكذلك استثنى أيضاً في قوله: ﴿لاَ يَعْلَمُهَا إلاَّ هُوَ﴾[7]، ﴿ولاَ يُجَلِّيهَا لِوَقْتِها إلاَّ هُوَ﴾[8]، ﴿لاَ يَعْزُبُ عَنْهُ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ فِي السَّمَواتِ وَلاَ فِي الأَرْضِ﴾[9] في جميع ما أخبر به عن نفسه أنّه يعلمه بقوله: ﴿وَلَوْ عَلِمَ اللَّهُ فِيهِمْ خَيْراً لأَسْمَعَهُمْ﴾[10] وبقوله: ﴿وَلِيَعْلَمَ اللَّهُ مَنْ يَنْصُرُهُ﴾[11]، ﴿وَسَيرَى اللَّهُ عَمَلَكُمْ وَرَسُولُه﴾[12] فيكون اللّه قد استثنى بهذا في علم الغيوب، فيجب على هذا الوجه أن لا يكون اللّه يعلم شيئاً مما يكون حتى يكون، فإن قالوا: إنَّ في وصفنا اللّه بهذا وأمثاله وصفاً منا بالجهل له، واستحداث العلم، وذلك من صفات المحدث المخلوق تعالى اللّه عن ذلك، فلذلك أبينا أن يكون اللّه استثنى في هذا الوجه، قلنا وكذلك وصفنا إياه بأنّه يرى بالأبصار، ويدرك بالعيان، وصفنا إياه بأنّه

---

(١) سورة البقرة آية رقم ٢٥٥.

(٢) سورة سبأ آية رقم ٣ وجاءت هذه الآية محرفة في المطبوعة حيث قال «ولا» بزيادة (الواو).

(٣) سورة الأنعام آية رقم ٥٩.

(٤) سورة الأعراف آية رقم ١٨٧.

(٥) سورة الأنعام آية رقم ١٠٣.

(٦) سورة القيامة آية رقم ٢٣.

(٧) سورة الأنعام آية رقم ٥٩.

(٨) سورة الأعراف آية رقم ١٠١٧.

(٩) سورة سبأ آية رقم ٣ وقد جاءت الآية محرفة في المطبوعة حيث قال «ولا» بزيادة (الواو) بدلاً من (لا).

(١٠) سورة الأنفال آية رقم ٢٣.

(١١) سورة الحديد آية رقم ٢٥.

(١٢) سورة التوبة آية رقم ٩٤.

لون من الألوان المركبة في الأجسام، والأجسام محدودة في مكان دون مكان، وذلك من صفات المحدث المخلوق، فلذلك أبينـا أن يكون استثنى في هـذا الوجه، كما أنّكم أبيتم أن يكون استثنى في معنى العلم، وقد ترادف عليكم معشر المشبهة في اتخاذكم بالرؤية للرب تعالى عن ذلك أمران قبيحان: أحدهما تبديل صفات اللّه جلّ جلاله، والثاني تكذيب لخبره عزّ اسمه.

وكل ما سألناهم عنه في هذا الباب وما أجبناهم به فهو من أصلك الأول، فمتى لم تقيد الفرع بالأصل، ولم تقض بالأصل عـلى الفرع، وهن عملك وضعف قوى معرفتك وليس يكون المتكلم مستحقاً لاسم الكلام حتى يكون ثاقب النظر، مدركاً للعواقب، عالماً بكل ما عليه وله. ومدار الأمر في هذا على صحة الذهن ثمّ الطبيعة المناسبة لصناعة الكلام، المسهل ذلك عليها، ولا بدّ من كثرة السماع، ومدارسة أهل النصائح من العلماء، وإرادة اللّه بذلك رأس الأمر كله، وعلى قدر ما ينقص من هذه الأسباب ينقص علم أهـل النظر.

وتسأل الجهمية(١)، ومن قال بقولكم من الـروافض(٢) في زعمهم أنَّ

---

(١) أتباع جهم بن صفوان الذي قال بالإجبار والاضطرار إلى الأعمال وأنكر الاستطاعات كلها، وزعم أنَّ الجنة والنار تبيدان وتفنيان، وزعم أنَّ الإيمان هو المعرفة باللّه تعالى فقط، وأنَّ الكفر هو الجهل به فقط.

وزعم أنَّ علم اللّه تعالى حادث وامتنع من وصف اللّه تعالى بأنّه شيء أو حي، أو عالم، أو مريد وقال: لا أصفه بوصف يجوز إطلاقه على غيره وكان جهم يحمل السلاح ويقاتل السلطان وقتله سلم ابن أحوز المازني في آخر زمان بني مروان راجع التبصير ص ٦٢ والملل والنحل ١: ٨٦ والفرق بين الفرق ٢١١.

(٢) الروافض مجموعة فرق منهم السبئية وقد أظهروا بدعتهم في زمان علي ـ رضي اللّه عنه فقال بعضهم لعلي: أنت الأله فاحرق عليٌّ قوماً منهم، ونفي ابن سبأ إلى ساباط المدائن، ومنهم الإمامية والكيسانية والغلاة. ويرى صاحب كتاب الفرق بين الفرق أنَّ الزيدية من الرافضة، والزيدية أتباع زيد بن علي الباقين على أتباعه (انظر مقالات الإسلاميين ١: ١٢٩ وكذلك مروج الذهب ٣: ٢٢٠) والرافضة الذين كانوا معه ثمّ تركوه، لأنّهم طلبوا إليه أن يتبرأ من الشيخين فقال: لقد كانا وزيري جدي فلا أتبرأ منها فرفضوه، وتفرقوا عنه. راجع مروج الذهب ٣: ٨٧.

علم اللّه محدث، وأنّه لا يكون أن يعلم الأشياء حتى تكون، وزعموا أنَّ ما دلهم على ذلك أن قالوا: وجدنا اللّه حكيماً عليماً، ووجدنا الحكيم العليم لن يرسل رسولاً في حاجة إلى من عنده به العلم أنَّه غير قاض لحاجته، لو فعل ذلك لكان عابثاً في إرساله، فلما تبين أنَّهم غير مجيبين له، علمنا بهذا أنَّه غير عالم بما العباد له عاملون، قالوا فلهذه العلة قلنا: إنَّ علمه محدث، ولهذه العلة التي حكيناها عنهم، وصفوا اللّه أيضاً جلّ جلاله بالبداء تعالى اللّه عن ذلك وتعلقوا في وصفهم إياه بالبداء بقوله: ﴿**يمحو اللّه ما يشاء ويثبت**﴾[1]

ويقال لهم: أما من ذهبتم إليه من حدوث العلم إلى اللّه جلّ جلاله، وما اعتللتم به على ذلك، فإنَّ اللّه قد أخبرنا عن إبليس أنَّه قائل في الآخرة قولاً، لقول اللّه وحكايته عنه: ﴿**وَقَالَ الشَّيْطَانُ لَمَّا قُضِيَ الأَمْرُ: إِنَّ اللَّهَ وَعَدَكُمْ وَعْدَ الحَقِّ، وَوَعَدتُّكُمْ فَأَخْلَفْتُكُمْ، وَمَا كَانَ لِيَ عَلَيْكُم مِّنْ سُلْطَانٍ، إِلاَّ أَنْ دَعَوْتُكُمْ، فَاسْتَجَبْتُمْ لِي، فَلاَ تَلُومُونِي وَلُومُوا أَنفُسَكُمْ**﴾[2] فهل علم اللّه في حين أخباره إيانا بما أخبر عن الشيطان من قوله: فإن زعموا أنَّه أخبر من ذلك بما لا علم له به، وصفوه بأكثر مما حاولوا نفيه عنه من العبث في إرساله الى من يعلم أنه لا يجيب وذلك أنهم نزهوه عن العبث في وصفهم الذي ظنوا أنَّه عبث، وهو غاية الحكمة، ثمّ وصفوه بالكذب في خبره، فإن قالوا: بل كان عالماً بما أخبر به عن إبليس، وعن ما راجع به الذين استكبروا، والذين استضعفوا، وأصحاب الأعراف، وبما حكاه عن مالك وجوابه لأهل النار، واستغاثه أهل النار به، تركوا قولهم وكذلك يقال لهم: أخبرونا عن قوله: ﴿**وَقَضَيْنَا إِلَى بَنِي إِسْرائِيلَ فِي الكِتَابِ لَتُفْسِدُنَّ فِي الأَرْضِ مَرَّتَينِ، وَلَتَعْلُنَّ عُلُواً كَبِيراً**﴾[3] إلى آخر القصة، هل هو عالم بما أخبر به من ذلك أم هو غير عالم به؟ فإن قالوا: غير عالم به، قلنا: فالمخبر

---

(١) سورة الرعد آية رقم ٣٩.

(٢) سورة إبراهيم آية رقم ٢٢.

(٣) سورة الاسراء آية رقم ٤.

عما لا يعلم أنّه يكون أو لا يكون بأنّه يكون، أليس هو أكذب الكاذبين؟ والذي قال هؤلاء الضعفاء ترك لنص القرآن، مواجهة مع ما يلزمهم في قولهم أن علم اللّه محدث، بأن يقال لهم: لا يخلو هذا العلم المحدث من أن يكون اللّه هو الذي استحدثه لنفسه، أو يكون غير اللّه أحدثه للّه، فإن كان اللّه هو الذي استحدثه لنفسه، فهو من قبل أن يستحدثه جاهل، والجاهل لا يستحدث علماً ولا غير علم، وإن كان غيره استحدثه له، فالذي استحدثه لـه أولى بالربوبية والعلم منه، تعالى اللّه عن هذا القول علواً كبيـراً، ولما بـطل أن يوصف اللّه جلّ جلاله باستحداث العلم، بطل كذلك ما ذهبو إليه من وصفهم إياه بالبداء وإن هم سألونا عن معنى قول اللّه: ﴿وَلِيَعْلَمَ اللَّهُ مَنْ يَنصُرُهُ وَرُسُلَهُ بِالْغَيْبِ﴾[1]، ﴿وَلَمَّا يَعْلَمِ اللَّهُ الَّذين جَاهَدُوا[2] مِنكُمْ وَيَعْلَمَ الصَّـابِـرِينَ.» ﴿وَلَنَبْلُوَنَّكُمْ حَتَّى نَعْلَمَ﴾[3]، ﴿وَسَيَـرى اللَّهُ عَمَلَكُـمْ وَرَسُولُهُ﴾[4]، قلنا: معناه عند أهل التفسير حتى يكون ما علمه منهم موجوداً ويراه كائناً كما علمه قبل، حال وجوده أي يراهم فاعلين، ويعلمهم فاعلين، و ـ حتى ـ و ـ اللام ـ عندهم واقعتان على المعلوم لا على العلم، وهذه المقالة أوهن الأقاويل شوكة، وأدحضها حجة، والحمد للّه.

ويقال للجهمية أيضاً في أبطالهم عن اللّه أن يكون شيئاً: أخبرونا عن اللّه جلّ جلاله، هل تصفونه بصفة من الصفات، أو تخبرون عنه بوجه من الوجوه، أو تذكرونه بمعنى من المعاني؟ فإن قالوا: لا نصف اللّه، ولا نخبر عنه، ولا نذكره، أبطلوه، وجعلوه في حد العدم والتلاشي، وصاروا مع ذلـك بهذا القول، إلى مقالة أصحاب أرسطاطاليس[5] من أهل الدهر الذين قالوا بقدم

---

(١) سورة الحديد آية رقم ٢٥.

(٢) سورة آل عمران آية رقم ١٤٢ وقد جاءت الآية محرفة في المطبوعة، وقد أشار الدكتور الطالبي إليها في الهامش.

(٣) سورة محمد آية رقم ٣١.

(٤) سورة التوبة آية رقم ٩٤.

(٥) سبق الترجمة له في كلمة وافية في هذا الجزء.

الهيولي[1]، وينفون عنه أن يكون ذا صفات، وكفى لمن صار به قوله إلى مقالة أهل الإلحاد خزياً، ويدخل عليهم ما أدخلناهم على أولئك، وقد وصف اللّه نفسه في غير موضع من كتابه فقال: ﴿**هُوَ اللَّهُ الَّذِي لاَ إِلَهَ إِلاَّ هُوَ، عَالِمُ الغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ، هُوَ الرَّحْمَنُ الرَّحِيمُ**﴾[2]، الآيات، ووصفه المؤمنون من عباده بما وصف به نفسه من صفاته جلّ جلاله، فإن رجعوا وقالوا: بل نصف اللّه بما وصف به نفسه من صفاته، ونخبر عنه بالذي أخبر به عن نفسه، قلنا: وكيف تصفون ما ليس بشيء، وتخبرون عما ليس شيء، وتذكرونه، ولو جاز أن يوصف ما ليس بشيء، ويخبر عما ليس بشيء ويذكر، لجاز أن يكون شيء ولا يوصف، ولا يخبر عنه، ولا يذكر، فلما بطل أن يكون شيء لا يوصف ولا يخبر عنه، ولا يذكر بطل أيضاً، أن يوصف ويخبر عما ليس بشيء، وقد قال اللّه عزّ وجلّ: ﴿**قُلْ أَيُّ شَيْءٍ أَكْبَرُ شَهَادَةً قُلِ اللَّهُ**﴾[3]، فأخبر عن نفسه أنّه شيء، فإن قالوا: إنما نفينا عنه ما نفينا من عبارة شيء، لأنَّ معناها عندنا معنى جسم، فإذا زعمنا أنَّ اللّه شيء أثبتناه أنّه جسم، قيل لهم: فإنا نجد اللّه جلّ جلاله، قد ذكر معاني فسماها أشياء، وليست مع ذلك أجساماً قال اللّه عزّ وجلّ: ﴿**قُلْ يَا أَهْلَ الكِتَابِ لَسْتُمْ عَلَى شَيْءٍ حَتَى تُقِيمُوا التَّـوْرَاةَ وَالإِنجِيلَ**﴾[4]، فدل على أنَّه إن هم أقاموا التوراة والإنجيل يكونوا على شيء من الدين، فسمى اللّه تعالى الدين شيئاً وهو ليس بجسم، ثمّ قال:

---

(١) الهيولي: لفظ مرادف للمادة، وقد رد أرسطو الأشياء إلى مبدأين الصورة والهيولي، فكل شيء هو جزء من المادة الأولية اكتسب صفات معينة حددت طبيعته ووظيفته وهي صورته. والهيولي ليست موضوع معرفة، ثمّ هي ليست من بين المقولات إذ أنَّ هذه تحمل عليها في حين أنَّها هي لا تحمل على شيء إنَّها مجرد قوة في مقابل الصورة التي هي فعل والهيولي: جوهر في الجسم قابل لما يعرض لذلك الجسم من الاتّصال والانفصال، محل للصورتين الجسمية والنوعية. [راجع تعريفات الجرجاني] والهيولي: جوهر، وليس له في ذاته صورة تخصه إلاَّ معنى القوة ومعنى قولي لها هي جوهر، هو أنَّ وجودها حاصل لها بالفعل لذاتها. راجع ابن سينا رسائل في الحدود.

(٢) سورة الحشر آية رقم ٢٣.

(٣) سورة الأنعام آية رقم ١٩.

(٤) سورة المائدة آية رقم ٦٨.

﴿وَقَالُوا اتَّخَذَ الرَّحْمَنُ وَلَداً، لَقَدْ جِئْتُمْ شَيْئاً إِدّاً﴾[1] فسمى قولهم في ذلك شيئاً، وقال: ﴿يَا أَيُّها الَّذِينَ آمَنُوا لاَ تَسْأَلُوا عَنْ أَشْيَاءَ إِنْ تُبْدَ لَكُمْ تَسُؤْكُمْ، وَإِنْ تَسْأَلُوا عَنْهَا حِينَ يُنَزَّلُ القُرآنُ تُبْدَ لَكُمْ عَفَا اللَّهُ عَنْهَا﴾[2] فسمى هذه المعاني التي يسأل عنها المؤمنون رسول الله أشياء، مع أنكم قد غلطتم في أصل علتكم في شيء وجسم، أنتم وهؤلاء المشبهة، وذلك أنّكم وإياهم قد اجتمعتم على أنَّ معنى شيء، معنى جسم، ومعنى جسم معنى شيء، فلما اتفقتم على ذلك أبيتم أنتم أن تقولوا: إنَّ اللّه شيء، حتى لا يكون جسماً، وقالوا هم إنَّ اللّه جسم، إذ كان شيئاً، فعمدتم جميعاً إلى علتين مختلفتين غير متفقتين، متباينتين غير مشتبهتين، فجعلتموهما علة واحدة حين قلتم: إنَّ علة كون الشيء شيئاً، أنَّه جسم، وعلة كون الجسم جسماً أنَّه شيء فأبطلتم أنتم بذلك عن الله الشيئية، وأثبتت المشبهة بذلك لله الجسمية، حتى لا تفرقوا أنتم ولا هم بين شيء، وجسم، فيجب عليكم معشر الجهمية[3]، لما ثبت بالدليل أنَّ اللّه شيء أن تقولوا: إنَّه جسم، لئلا تفرقوا بينهما، ويلزم المشبهة حين ثبت بالدليل أنَّ اللّه ليس بجسم، أن يبطلوا عنه أن يكون شيئاً، فحينئذ ترجع المشبهة جهمية، والجهمية مشبهة، وهذا الفساد كله إنما أتى من قبل فساد العلة، والبنيان على غير الأس ولو أنكم بنيتم على الأس وعملتم على صحة العلم، فقلتم إنَّ العلة في شيء، غير العلة في جسم فجعلتموهما علتين مفترقتين متباينتين، فقلتم: إنَّ العلة في شيء ما كان موجوداً أو موهوماً مخبراً عنه، موصوفاً، والعلة في جسم ما كان متجزياً، مسدساً مصرفاً منصفاً، محتملاً للزيادة

---

(١) سورة مريم آية رقم ٨٨، ٨٩.

(٢) سورة المائدة آية رقم ١٠١.

(٣) الجهمية: أتباع جهم بن صفوان الذي قال بالاجبار والاضطرار إلى الأعمال، وأنكر الاستطاعات كلها، وزعم أنَّ الجنة والنار تبيدان وتفنيان، وزعم أنَّ الإيمان هو المعرفة باللّه فقط وأنَّ الكفر هو الجهل به فقط. أنظر في شأن هذه الفرقة التبصير ص ٦٢ والملل والنحل ١: ٨٦ والفرق بين الفرق ٢١١ وراجع ميزان الاعتدال في ترجمة جهم ١٤٨٢.

والنقصان، مقارناً للحركة والسكون، ذا قدر من الأقدار، وهيئة من الهيئات لكنتم إنما بنيتم على الأس، وعملتم على صحة العلة، فهذه الجملة قطب هذا الكلام الذي يدور عليه، وكيف رأيت أيدك اللّه زيادة صفة جسم على صفة شيء، لزيادة صفة الأخص على الأعم، وذلك أنَّ للأخص جميع صفات الأعم، ويزيد عليها الأخص الخصوصية، وأعم الأسماء شيء وهـو أعم من محدث، ومحدث أخص من شيء، وهو أعم من جسم، وجسم أخص منه وحين نبهتك على هذا عرفت باقيه إن شاء اللّه، وهذه الطائفة الذين هم الجهمية على أنَّهم ينتحلون اسم الكلام فإنَّهم عند جماعة المتكلمين أرادهم، مذهباً وأبخسهم مقالاً، وأخسهم كلاماً[1] فنعوذ باللّه من الضلالة، ومن الحيرة.

القول في صفات اللّه سبحانه وتعالى:

فمن سألنا عن اللّه جلّ جلاله، فقال: هل تصفون ربكم أم لا تصفونه بصفة؟ قلنا: نعم، إنا نصف اللّه جلّ جلاله بصفاته الحسنى التي لا تليق إلاَّ به، وننفي عنه صفات المحدثين، وذلك إنا نصفه بالقدم[2]، إذ لا بدء لوجوده تعالى، وننفي عنه الحدوث لما ثبت من حاجة المحدث إلى محدث يحدثه، وقد بينا فساد تسلل ذلك إلى ما لا غاية له من الفساد، في أول كتابنا فوجب

---

(١) يقول صاحب الفرق بين الفرق عند حديثه عن جهم: واكفره أصحابنا في جميع ضلالاته، واكفرته القدرية في قوله بأنَّ اللّه تعالى خالق أفعال العباد فاتفق أصناف الأمة على تكفيره. الفرق بين الفرق ٢١٢.

(٢) بقي: دام وثبت، والبقاء: هو استمرار الوجود في المستقبل إلى غير نهاية، فمن قال: إنَّ الشيء باق لذاته، جعل البقاء نفس الوجود في الزمان الثاني، لا أمراً زائداً عليه، ومن قال إنَّ البقاء صفة زائدة على الوجود، جعل البقاء متجدداً بمعنى أنَّ وجود الشيء في الزمان الأول لا يستلزم وجوده في الزمان الثاني بالضرورة.

والباقي بنفسه ولذاته عند الفلاسفة هو اللّه تعالى، وما عداه باق بغيره، وعند «ديكارت» هو الإبداع المتصل الدائم بل اللّه عنده هو المبدع والمبقي، ولابقاء للعالم إلاَّ لأنَّ اللّه يديم وجوده. راجع تفسير ما بعد الطبيعة ٣: ١٦٣١ والمعجم الفلسفي ١: ٢١٦.

بذلك أنَّه قديم لا أول لوجوده، ونصفه بأنَّه باق[1] لا يفنى، لاستحالة الفناء على ما يستحيل عليه الحدوث لأنَّه لما كان سبحانه وتعالى موجوداً لا بعد عدم، بطل عنه أن يكون معدوماً بعد وجود، ونصفه بأنَّه حي عليم حكيم قدير مريد، سميع بصير، لاستحالة وجود الأفعال من الأموات، وبطلان وقوعها من الجاهلين العاجزين، يتعالى ربنا عن صفات النقص علواً كبيراً، فإن قال: أخبروني عن هذه الأشياء التي وصفتموه بها من الحياة والعلم والحكمة والقدرة، والإرادة، والعزة، والسمع، والبصر، أهو شيء لم يزل به أم هو شيء استحدثه لنفسه؟ أم كيف القصة في ذلك؟ قلنا: إنَّ اللّه تعالى لم يزل موصوفاً بما ذكرنا، من الحياة، والعلم، والحكمة، والقدرة، والإرادة، والعزة، والسمع، والبصر، في سائر تلك الصفات، ولا يزال موصوفاً بها، من قبل أنَّه لا تعدو تلك الصفات، إذا كانت حادثة إليه وجوهاً ثلاثة إما أن تكون حدثت إليه من غير محدث أحدثها، أو حدثت بمحدث أحدثها له، وهو غيره، أو أن يكون استحدثها لنفسه، وبطل أن تكون تحدث من غير محدث لما بينا من فساد القول بأنَّ شيئاً يحدث بلا محدث في غير موضع من كلامنا وفسد أن يكون غيره أحدثها له، إذ كان ذلك الغير يجب فيه من القول مثل ما يجب في هذا الموصوف، ولا ينفك مما لا ينفك منه، هذا الموصوف، فيتسلسل ذلك إلى ما لا نهاية له، وفسد أن يكون هو الذي أحدثها لنفسه، لأنَّه لو كان الأمر كذلك، لوجب أن يكون من قبل أن يستحدثها لنفسه ليس بحي ولا عالم، ولا حكيم، ولا قادر، ولا سميع، ولا بصير، فمن كان بهذه الهيئة، لم يقدر على أن يحدث علماً، ولا قدرة، ولا شيئاً من الأشياء، فلما بطلت هذه الوجوه الثلاثة، واضمحل القول بها، لم يبق إلاَّ القول بأنَّه لم يزل ربنا جلّ وعلا حياً، عالماً، قديراً، سميعاً، بصيراً، في سائر صفاته، ولا يزال كذلك، واللّه ولي التوفيق.

ومن سألنا عن عدل اللّه وحكمته، فقال: أخبروني عن اللّه حيث زعمتم أنَّه حكيم، عليم، عادل، فيما وصفتموه به من ذلك، وقلتم إنَّ جميع

أفعاله وأموره لا تقع ولا تـأتي إلاَّ على معنى العـدل والحكمة[1]، والعلم، أخبرونا ما وجه الحكمة في خلقه لما خلق من الأشياء، وأنتم تزعمون أنَّه غير مستظهر بخلق ما خلق، ولا بذي حاجة إلى فعل شيء مما فعل؟ ولم خلق ما خلق، ولأية علة ترك خلق ما لم يخلق؟ ولأية علة أمر ونهى وأثاب وعاقب؟ وما وجه الحكمة في ذلك؟ وكذلك إن سأل في وجوه العبـادات من صنوف الشرائع من الصلاة وما يدور بها، والصيام، والزكاة، وفعل المناسك في معانيها، فقال: ما وجه الحكمة في الاستعباد بهذه الأشياء؟ ونحن لم يتضح لنا في معقول شاهد ما يدل على معنى الحكمة فيها بل تدعو أشياء منها إلى أمور شبيهة بالعبث والسخافة، وكذلك إن سأل عن ايلامه للحيوان وتعذيبه إياهم ولا سيما من لا جرم له منها، ولا ذنب، وما وجه الحكمة العادلة في تسخيره الحيوان بعضها لبعض، واستطعام شيء منها لشيء، واستعباده طائفة من ذلك لطائفة، في أمثال هذه الأفعال الظاهرة منه في خلقه؟ ونحن لا نعرف وجـه الحكمة في إظهاره لذلك، فجوابنا لمن سألنا عن هذا وأشباهه، أن نقول له: لما ثبت بالدليل الذي لا يبطل، وبالشاهد الذي لا يكذب، إنَّ اللّه جل جلاله حكيم في عدله عدل في حكمته، مستوجب لذلك في ذاته، مستحق له في قدمـه لم يستحدث حكمة، ولا عدلاً، ولا علماً، فيكون قبل ما لم يستحدثها موصوفاً بخلافها وقد دللنا على ذلك في المسألة التي قبل هاته فلما أن كان اللّه جلّ جلاله كذلك، قلنا في جميع ما يظهر لنا من أفعاله عزّ وجلّ، مما نعرف وجه الحكمة فيه، وما لا نعرف: إنَّ ذلك كله حكمة، وعدل، لا يكون منه شيء جهلاً، ولا عبثاً للعلة التي قدمنا، فكل ما دلنا ربنا على وجه الحكمة فيه، والعدل، كنا قد عرفناه، وما لم يدلنا على وجه الحكمة فيه، علمنا أنَّه حكمة

---

(١) الحكمة: هي الكلام الذي يقل لفظه، ويجل معناه والجمع حكم، كالأمثال وجوامع الكلم، والحكمي: هو المنسوب إلى الحكم والحكميون: هم الفلاسفة.

والحكمة الإلهية: علم يبحث في أحوال الموجودات الخارجية المجردة عن المادة، التي لا تتعلق بقدرتنا ولا باختيارنا. راجع بصائر ذوي التمييز.

وعدل، إذ كان الاستحقاق للوصف بذلك لمعنى الذات، والذات لا تتغير عن معناها، ولا تتبدل عن صفتها، فنفينا لهذه العلة عن شيء من أفعاله أن يكون عبثاً أو خطأ أو يكون السائل عن هذا غير مثبت للصانع، ولا مقر بالصنعة، فكيف يسأل عن الفرع ويدع الأصل، وهو غير مقر به، فنرجع به إلى الأصل، حتى يقر به، ويثبته بالأعلام والشواهد التي نصبناها في أول كتابنا، وبما لم نذكره من ذلك فإذا ثبت ذلك عنده كان الجواب له بعد ذلك ما أجبنا به آنفاً، وهذه الجملة كافية في هذا الباب إن شاء اللّه.

أسماء اللّه الحسنى[1]:

ومن سألنا في أسماء اللّه عزّ وجلّ وصفاته فقال: ما تأويلها عندكم؟ وما معناها؟ وما معنى قولكم: اللّه الرحمن الرحيم؟ قلنا: معنى اللّه أنّه اسم للمعبود الذي لا يستحق العبادة إلاّ هو، وقال قوم: إنَّ معناه من العلو في الصفة من قوله: تألهت الشمس إذا علت، وحكى بعض أهل العلم أنّه تبنى عليه الصفات، والقول في هذا أنّه اسم للمعبود الذي لا يستحق العبادة إلاّ إياه، ولا ينبغي هذا الاسم إلاّ له، والرحمن من الرحمة وهو على معنى المبالغة، والرحيم من ذلك، والملك الظاهر بالسلطان، والغلبة، والمالك بالألف على الميم أي يملك خلقه، ويحكم عليهم وفيهم، وقال: ﴿**يَوْمَ لاَ تَمْلِكُ نَفْسٌ لِنَفْسٍ شَيْئاً**﴾[2]، وقرئت: ﴿**مَالِك يَوْم الدِّين**﴾[3] بالألف وفسروها: خالق يوم

(١) يقول اللّه تعالى في سورة الأعراف: ﴿ولِلّه الأسماء الحسنى فادعوه بها﴾ آية ١٨٠ وقد جاء في كتاب الترمذي، وسنن ابن ماجه وغيرهما حديث عن أبي هريرة عن النبيّ ـ صلّى اللّه عليه وسلّم ـ نص فيه أنَّ للّه تسعة وتسعين اسماً في أحدها ما ليس في الآخر ـ وذكر الحديث، وهو ليس بالمتواتر، وإن كان قال فيه أبو عيسى: «هذا حديث غريب لا نعرفه إلاَّ من حديث صفوان بن صالح، وهو ثقة عند أهل الحديث، وإنما المتواتر منه قوله ـ صلّى اللّه عليه وسلّم ـ أنَّ للّه تسعة وتسعين اسماً مائة إلاَّ واحداً من أحصاها دخل الجنة».

(٢) سورة الانفطار آية رقم ١٩.

(٣) سورة الفاتحة آية رقم ٣.

الدين، والرب هو الذي له الخلق، وهو والمالك سواء. والواحد والأحد أي واحد في ذاته، واحد في صفته، واحد في فعله، والقدوس المنزه عن صفات الخلق، ومعاني النقص والسلام، الذي لا يأتي من قبله ظلم، ولا جور، ولا خطأ والخلق في سلامة من أن ينالهم من قبله شيء من ذلك، والمؤمن: المصدق لرسله ولأخباره بالأعلام والشواهد، والمصدق لوعده ووعيده بالإنجاز، والمصدق لكل صدق يأتي من عنده بالحجة الظاهرة، والمهيمن: الشاهد الذي لا تكذب شهادته، ولا تبطل عدالته، والعزيز: الذي لا تجري عليه المذلة، والعزيز: الذي أذل خلقه بما جعل فيهم من أعلام الذل، والجبار: الذي تجبر عن صفات خلقه، ولا يرضى أن يضاف إليه شيء منها، والمتكبر: الذي كبر عن صفات خلقه، أي كبرت نفسه عن أن يوصف بشيء منها، والخالق: المنشئ على غير مثال، والباري كذلك والمصور: هو المقدر لجميع ما خلق على ما يشاء، والغني: أي استغنى بنفسه عن خلقه، والغني عن طاعة عباده، ولا تنقصه معصية من عصاه والغني: الذي لا ينفد ما عنده، ولا يبيد ما لديه، والحميد: المستحق للحمد بما أظهر من عدله، وحكمته، وفضله، والأول: الذي كان قبل خلقه وهو من تأويل قديم، والآخر: الذي لا يفنى، وهو من تأويل الباقي، والظاهر لخلقه بالدلائل الظاهرة، وقيل الظاهر: لظهور الدلائل عليه، والباطن: عن حواسهم، وعما يدرك به بعضهم بعضاً والعالم الذي علم لا بعد جهل، ولا يجهل بعد علم، والسميع: الذي لا تخفى عليه الأصوات، والبصير: الذي لا تخفى عليه الألوان، والحي: الذي لا يجري عليه أن يموت، وقال قوم في الحي إشارة إلى أنَّه فعال، والقيوم[1]: الذي لا يزول، كذلك جاء عن ابن عباس

---

(١) القيوم: من قام، أي القائم بتدبير ما خلق عن قتادة، وقال الحسن: معناه القائم على كل نفس بما كسبت حتى يجازيها بعملها، من حيث هو عالم بها لا يخفى عليه شيء منها، وقال ابن عباس ـ معناه الذي لا يحول ولا يزول قال أمية بن أبي الصلت:

لم تخلق السماء والنجوم ... والشمس معها قمر يقوم
قدّره مهيمن قيوم ... والحشر والجنة والنعيم
إلاَّ لأمر شأنه عظيم

رضي اللّه عنه وقال قوم: القائم على خلقه بالتدبير، والحفظ، والعلي من العلو في الصفة والمجد، والعالي كذلك، والمتعالي عن أن يوصف بما يوصف به خلقه والعظيم: الذي عظم عن صفات خلقه، والكبير: كذلك، والشاهد، والشهيد: الذي لا تغيب عنه غائبة في خلقه، ولا يغيب عن شيء منه بحفظه إياه، وتدبيره له والشاكر والشكور: الذي يقبل اليسير، ويعطي الكثير، والحق: أي أنّه حق، ليس بباطل أي وجوده حق لا كما يقول المبطلون، والمبين: البين أي الذي ليس بذي خفاء فلا يعرف، والواسع في فضله على خلقه، والقريب في إجابة دعاء عباده، والقريب في رحمته على خلقه والحفيظ الذي لا يضيع شيئاً، ولا يخفى عنه شيء، والودود: المحبب إلى خلقه بنعمته عليهم، فإن قالوا: ما تأويل الصمد وما معناه؟ قلنا: فإنَّ عبداللّه بن عباس رضي اللّه عنهما، وهو صاحب التأويل، سئل عن ذلك فقال: هو السيد الذي قد انتهى في السؤدد، ثمّ أنشد قول الشاعر:

ألا بكـر النـاعي بخـيري بني أسـد ... بعمـرو بن مسعـود وبـالسيـد الصمـد

وسئل عنه عبداللّه بن مسعود فقال: السيد المصمود إليه في الحوائج، وقال الحسن هو صمد[1] العباد يصمدون إليه في حوائجهم، وقال سعيد بن جبير مثل ذلك.

= قال البيهقي: ورأيت في عيون التفسير لإسماعيل الضرير في تفسير القيوم قال: ويقال: هو الذي لا ينام وكأنه أخذه من قوله عزّ وجلّ عقيبه في آية الكرسي﴿لا تأخذه سنة ولا نوم﴾ وقال الكلبي: القيوم الذي لا بدء له ذكره أبو بكر الانباري وأصل قيوم من قيووم اجتمعت الواو والياء وسبقت أحداهما بالسكون فادغمت الأولى في الثانية.

(١) الصمد: الذي يصمد إلّيه كما قال تعالى: ﴿ثمّ إذا مسكم الضر فإليه تجأرون﴾ سورة النحل آية ٥٣.
وقال أهل اللغة: الصمد السيد، وقال قوم: الصمد الدائم الباقي الذي لم يزل ولا يزال وقبل تفسيره ما بعده: ﴿لم يلد ولم يولد﴾.
قال أبي بن كعب: الصمد الذي لا يلد ولا يولد، لأنّه ليس شيء يولد إلاَّ سيموت، وليس شيء يموت إلاَّ يورث.
وقال علي، وابن عباس أيضاً، وأبو وائل شقيق بن سلمة، وسفيان، الصمد: هو السيد الذي انتهى =

انتهى الجزء الأول من كتاب الموجز في تحصيل السؤال وتلخيص المقال في الرد على أهل الخلاف بحمد الله وعونه يتلوه الجزء الثاني إن شاء الله.

= إليه السؤدد في أنواع الشرف ومنه قول الشاعر:

علوته بحسام ثمّ قلت له   خذها حذيف فأنت السيد الصمد

وقال أبو هريرة: إنَّه المستغني عن كل أحد، والمحتاج إليه كل أحد وقال السدي: إنَّه المقصود في الرغائب، والمستعان في المصائب وقال الحسين بن الفضل: إنَّه الذي يفعل ما يشاء ويحكم ما يريد. وقال مقاتل: إنَّه الكامل الذي لا عيب فيه، ومنه قول الزبرقان:

سبروا جميعاً بنصف الليل واعتمدوا   ولا رهينة إلاَّ سيد صمد.

راجع تفسير القرطبي ٢٠: ٢٤٥ زاد المسير ٩: ٢٦٧ ـ ٢٦٨.

البيت لسبرة بن عمرو الأسدي، وهو في مجاز القرآن ٢: ٣١٦ وتهذيب الألفاظ ٢٧٠، والسمط ٩٣٣ والطبري ٣٠: ٣٤٧ واللسان: صمد.



فهارس الجزء الأول من كتاب الموجز

١
فهرس الآيات القرآنية



عدد مسلسل	الآية	السورة	رقم الآية
١	قال تعالى: ﴿ولقد نعلم أنهم يقولون إنما يعلمه بشر لسان الذى يلحدون إليه أعجمي وهذا لسان عربي مبين.﴾	النحل	١٠٣
٢	قال تعالى: ﴿ولله الأسماء الحسنى فادعوه بها وذروا الذين يلحدون من أسمائه سيجزون ما كانوا يعملون.﴾	الاعراف	١٨٠
٣	قال تعالى: ﴿ولن تجد من دونه ملتحداً.﴾	الكهف	٢٧
٤	قال تعالى: ﴿فليملل الذى عليه الحق، فإن كان الذى عليه الحق سفيهاً أو ضعيفاً أو لا يستطيع أن يمل هو فليملل وليه.﴾	البقرة	٢٨٢
٥	قال تعالى: ﴿كبرت كلمة تخرج من أفواههم أن يقولون إلا كذبا.﴾	الكهف	٥
٦	قال تعالى: ﴿ويكونون عليهم ضدا.﴾	مريم	٨٢
٧	قال تعالى: ﴿إنا كل شيء خلقناه بقدر.﴾	القمر	٤٩
٨	قال تعالى: ﴿وكل شيء عنده بمقدار.﴾	الرعد	٨
٩	قال تعالى: ﴿صنع الله الذى أتقن كل شيء.﴾	النمل	٨٨
١٠	قال تعالى: ﴿والأرض مددناها وألقينا فيها رواسي وأنبتنا فيها من كل شيء موزون.﴾	الحجر	١٩
١١	قال تعالى: ﴿لا تتخذوا الهين اثنين إنما هو اله واحد فاياي فارهبون.﴾	النحل	٥١
١٢	قال تعالى: ﴿وله ما في السموات والأرض.﴾	النحل	٥٢
١٣	قال تعالى: ﴿وله الدين واصبا.﴾	النحل	٥٢
١٤	قال تعالى: ﴿وما بكم من نعمة فمن الله.﴾	النحل	٥٣

عدد مسلسل	الآيــــة	السورة	رقم الآية
١٥	قال تعالى: ﴿فأخرج لهم عجلاً جسداً له خوار.﴾	طه	٨٨
١٦	قال تعالى: ﴿يخرجهم من الظلمات إلى النور ﴾	البقرة	٢٥٧
١٧	قال تعالى: ﴿أفمن كان ميتاً فأحييناه وجعلنا له نوراً.﴾	الأنعام	١٢٢
١٨	قال تعالى: ﴿الله نور السموات والأرض.﴾	النور	٣٥
١٩	قال تعالى: ﴿ومن يؤت الحكمة فقد أوتي خيراً كثيراً.﴾	البقرة	٢٦٩
٢٠	قال تعالى: ﴿إن مع العسر يسراً.﴾	الشرح	٦
٢١	قال تعالى: ﴿لقد جاءكم رسول من أنفسكم عزيز عليه ماعنتم﴾	التوبة	١٢٨
٢٢	قال تعالى: ﴿إنا رسول رب العالمين.﴾	الشعراء	١٦
٢٣	قال تعالى: ﴿إنه لقول رسول كريم.﴾	الحاقة	١٠
٢٤	قال تعالى: ﴿إنا رسل ربك لن يصلوا إليك.﴾	هود	٨١
٢٥	قال تعالى: ﴿وما محمد إلا رسول قد خلت من قبله الرسل أفإن مات أو قتل.﴾	آل عمران	١٤٤
٢٦	قال تعالى: ﴿سحروا أعين الناس واسترهبوهم وجاءوا بسحر عظيم.﴾	الاعراف	١١٦
٢٧	قال تعالى: ﴿قالوا يا أيها الساحر ادع لنا ربك.﴾	الزخرف	٤٩
٢٨	قال تعالى: ﴿هل أنبئكم على من تنزل الشياطين تنزل على كل أفاك أثيم.﴾	الشعراء	٢٢٢
٢٩	قال تعالى: ﴿أم يقولون تقوله بل لا يؤمنون فليأتوا بحديث مثله إن كانوا صادقين.﴾	الطور	٣٤
٣٠	قال تعالى: ﴿لئن اجتمعت الإنس والجن على أن يأتوا بمثل هذا القرآن لا يأتون بمثله ولو كان بعضهم لبعض ظهيرا.﴾	الاسراء	٨٨
٣١	قال تعالى: ﴿فأتوا بعشر سور مثله مفتريات وادعوا من استطعتم من دون الله إن كنتم صادقين.﴾	هود	١٣

عدد مسلسل	الآيـــــــــة	السورة	رقم الآية
٣٢	قال تعالى: ﴿وإن كنتم من ريب مما نزلنا على عبدنا فأتوا بسورة من مثله.﴾	البقرة	٣
٣٣	قال تعالى: ﴿أم يقولون افتراه قل فأتوا بسورة مثله.﴾	يونس	٣٨
٣٤	قال تعالى: ﴿فإن لم يستجيبوا لكم فاعلموا إنما انزل بعلم الله﴾	هود	١٤
٣٥	قال تعالى: ﴿هل أتى على الانسان حين من الدهر لم يكن شيئاً مذكورا.﴾	الدهر	١
٣٦	قال تعالى: ﴿ورفعناه مكاناً علياً.﴾	مريم	٥٧
٣٧	قال تعالى: ﴿كبرت كلمة تخرج من إفواههم ان يقولون إلا كذبا.﴾	الكهف	٥
٣٨	قال تعالى: ﴿ألم غلبت الروم في أدنى الأرض وهم من بعد غلبهم سيغلبون في بضع سنين.﴾	الروم	١ ـ ٤
٣٩	قال تعالى: ﴿لله الأمر من قبل ومن بعد.﴾	الروم	٤
٤٠	قال تعالى: ﴿وعد الله لا يخلف الله وعده ولكن أكثر الناس لا يعلمون.﴾	الروم	٦
٤١	قال تعالى: ﴿سنريهم آياتنا من الآفاق ومن أنفسهم حتى يتبين لهم أنه الحق.﴾	فصلت	٥٣
٤٢	قال تعالى: ﴿إن الذى فرض عليك القرآن لرادك الى معاد.﴾	القصص	٨٥
٤٣	قال تعالى: ﴿هو الذى أرسل رسوله بالهدى ودين الحق ليظهره على الدين كله ولو كره المشركون.﴾	التوبة	٣٣
٤٤	قال تعالى: ﴿سيهزم الجمع ويولون الدبر.﴾	القمر	٤٥
٤٥	قال تعالى: ﴿وما رميت إذ رميت ولكن الله رمى.﴾	الانفال	١٧
٤٦	قال تعالى: ﴿ولقد صدقكم الله وعده إذ تحسونهم بإذنه.﴾	آل عمران	١٥٢

عدد مسلسل	الآيـــــــة	السورة	رقم الآية
٤٧	قال تعالى: ﴿وإذ يعدكم الله إحدى الطائفتين أنها لكم وتودون أن غير ذات الشوكة تكون لكم ويريد الله أن يحق الحق بكلماته ويقطع دابر الكافرين ليحق الحق ويبطل الباطل ولو كره المجرمون.﴾	الانفال	٧ ـ ٨
٤٨	قال تعالى: ﴿لقد صدق الله رسوله الرؤيا بالحق لتدخلن المسجد الحرام أن شاء الله آمنين محلقين رؤوسكم ومقصرين لا تخافون.﴾	الفتح	٢٧
٤٩	قال تعالى: ﴿هم الذين كفروا وصدوكم عن المسجد الحرام والهدي معكوفاً أن يبلغ محله.﴾	الفتح	٢٥
٥٠	قال تعالى: ﴿وعدكم الله مغانم كثيرة تأخذونها فعجل لكم هذه وكف أيدي الناس عندكم ولتكون آية للمؤمنين ويهديكم صراطاً مستقيماً وأخرى لم تقدروا عليها قد أحاط الله بها وكان الله على كل شيء قديرا.﴾	الفتح	٢٠ ـ ٢١
٥١	قال تعالى: ﴿اقرأ باسم ربك الذى خلق.﴾	العلق	١
٥٢	قال تعالى: ﴿كلا لئن لم ينته لنسفعاً بالناصية ناصية كاذبة خاطئة.﴾	العلق	١٥ ـ ١٦
٥٣	قال تعالى: ﴿أجعل الآلهة إلهاً واحداً.﴾	ص	٥
٥٤	قال تعالى: ﴿جند ما هنالك مهزوم من الأحزاب.﴾	ص	١١
٥٥	قال تعالى: ﴿تبت يدا ابى لهب وتب ما أغنى عنه ماله وما كسب سيصلى ناراً ذات لهب وامرأته حمالة الحطب في جيدها حبل من مسد.﴾	المسد	كاملة
٥٦	قال تعالى: ﴿ذق انك أنت العزيز الكريم.﴾	الدخان	٤٣ ـ ٤٩
٥٧	قال تعالى: ﴿انا كفيناك المستهزئين.﴾	الحجر	٩٥
٥٨	قال تعالى: ﴿ذرني ومن خلقت وحيدا وجعلت له مالاً ممدودا وبنين شهودا ومهدت له تمهيدا ثم يطمع أن أزيد.﴾	المدثر	١١ الى ١٥

عدد مسلسل	الآيــــــــــة	السورة	رقم الآية
٥٩	قال تعالى: ﴿إن شانئك هو الأبتر.﴾	الكوثر	٣
٦٠	قال تعالى: ﴿أفرأيت الذي كفر بآياتنا وقال لأوتيه مالاً وولدا﴾. وقوله تعالى: ﴿ونرثه ما يقول ويأتينا فرداً.﴾	مريم	٧٧ ـ ٨٠
٦١	قال تعالى: ﴿ويل لكل همزة لمزة﴾ ـ الى قوله تعالى ـ ﴿لينبذن في الحطمة.﴾	الهمزة	١ ـ ٤
٦٢	قال تعالى: ﴿ولا تطع كل حلاف مهين هماز مشاء بنميم مناع للخير معتد أثيم. عتل بعد ذلك زنيم.﴾	القلم	١٠ ـ ١٣
٦٣	قال تعالى: ﴿ومن الناس من يشتري لهو الحديث ليضل عن سبيل الله بغير علم ويتخذها هزؤاً أولئك لهم عذاب مهين، وإذا تتلى عليه آياتنا ولى مستكبراً كأن لم يسمعها كأن في أذنيه وقراً فبشره بعذاب أليم.﴾	لقمان	٦ ـ ٧
٦٤	قال تعالى: ﴿ومن الناس من يجادل في الله بغير علم ولا هدى ولا كتاب منير ثاني عطفه.﴾	الحج	٨ ـ ٩
٦٥	قال تعالى: ﴿ويل لكل أفاك أثيم يسمع آيات الله تتلى عليه ثم يصر مستكبراً كأن لم يسمعها فبشره بعذاب أليم، وإذا علم من آياتنا شيئاً اتخذها هزؤاً أولئك لهم عذاب مهين، من ورائهم جهنم.﴾	الجاثية	٧ ـ ١٠
٦٦	قال تعالى: ﴿ليضل عن سبيل الله له في الدنيا خزي ونذيقه يوم القيامة عذاب الحريق.﴾	الحج	٩
٦٧	قال تعالى: ﴿ويل لكل أفاك أثيم يسمع آيات الله تتلى عليه ثم يصر مستكبراً كأن لم يسمعها فبشره بعذاب أليم وإذا علم من آياتنا شيئاً اتخذها هزؤاً أولئك لهم عذاب مهين من ورائهم جهنم.﴾	الجاثية	٧ ـ ١٠

رقم الآية	السورة	الآيـــــــــة	عدد مسلسل
٨١	الزخرف	قال تعالى: ﴿قل إن كان للرحمن ولد فأنا أول العابدين﴾	٦٨
٣٢	الانفال	قال تعالى: ﴿اللهم إن كان هذا هـو الحق من عندك فامطر علينا حجارة من السماء أو ائتنا بعذاب أليم.﴾	٦٩
٣٣	الانفال	قال تعالى: ﴿وما كان الله ليعذبهم وأنت فيهم وما كان الله معذبهم وهم يستغفرون.﴾	٧٠
٥٥	النور	قال تعالى: ﴿وعد الله الذين آمنوا منكم وعملوا الصالحات ليستخلفنهم في الأرض كما استخلف الذين من قبلهم وليمكنن لهم دينهم الذي ارتضى لهم وليبدلنهم من بعد خوفهم أمنا يعبدونني لا يشركون بي شيئاً ومن كفر بعد ذلك فأولئك هم الفاسقون.﴾	٧١
١٢	الاحزاب	قـال تعالى: ﴿وإذ يقـول المنافقـون والذين فى قلوبهم مـرض مـا وعـدنـا الله ورسـولـه إلا غرورا.﴾	٧٢
١ ـ ٢	الاسراء	قال تعالى: ﴿سبحان الذى اسرى بعبده ليلاً من المسجد الحرام الى المسجد الأقصى الذي باركنا حوله لنريه من آياتنا إنه هو السميع البصير.﴾	٧٣
١	الممتحنة	قال تعالى: ﴿يـا أيها الـذين آمنوا لا تتخـذوا عدوي وعدوكم أولياء تلقون إليهم بالمودة.﴾	٧٤
٥٢	المائدة	قـال تعالى: ﴿فـترى الـذين في قلوبهم مـرض يســارعـون فيهم يقـولـون نخشى أن تصيبنـا دائرة.﴾	٧٥
٢٧	الانفال	قال تعالى: ﴿يا أيها الذين آمنوا لا تخونوا الله والرسول وتخونوا أماناتكم وأنتم تعلمون.﴾	٧٦
١٠٦	البقرة	قال تعالى: ﴿ما ننسخ من آية أو ننسها نـأت بخير منها أو مثلها.﴾	٧٧

عدد مسلسل	الآيـــــــــة	السورة	رقم الآية
٧٨	قال تعالى: ﴿فينسخ الله ما يلقي الشيطان.﴾	الحج	٥٢
٧٩	قال تعالى: ﴿ولقد علمتم الذين اعتدوا منكم في السبت.﴾	البقرة	٦٥
٨٠	قال تعالى: ﴿فنردها على أدبارها أو نلعنهم كما لعنا أصحاب السبت وكأن امر الله مفعولا.﴾	النساء	٤٧
٨١	قال تعالى: ﴿وقلنا لهم لا تعدوا في السبت وأخذنا منهم ميثاقاً غليظاً.﴾	النساء	١٥٤
٨٢	قال تعالى: ﴿فاتبعوا ملة ابراهيم حنيفا.﴾	آل عمران	٩٥
٨٣	قال تعالى: ﴿واتبعت ملة آبائي ابراهيم.﴾	يوسف	٣٨
٨٤	قال تعالى: ﴿ومبشراً برسول يأتي من بعدي اسمه أحمد.﴾	الصف	٦
٨٥	قال تعالى: ﴿لا تحرك به لسانك لتعجل به ان علينا جمعه وقرءانه فاذا قرأناه فاتبع قرآنه.﴾	القيامة	١٦ ـ ١٨
٨٦	قال تعالى: ﴿هو الذي بعث في الأميين رسولاً منهم.﴾	الجمعة	٢
٨٧	قال تعالى: ﴿كمثل الحمار يحمل أسفاراً.﴾	الجمعة	٥
٨٩	قال تعالى: ﴿وقولهم إنا قتلنا المسيح عيسى ابن مريم رسول الله وما قتلوه وما صلبوه ولكن شبه لهم وان الذين اختلفوا فيه لفي شك منه ما لهم به من علم الا اتباع الظن وما قتلوه يقيناً بل رفعه الله إليه وكان الله عزيزاً حكيما.﴾	النساء	١٥٧ ـ ١٥٨
٩٠	قال تعالى: ﴿الرحمن على العرش استوى.﴾	طه	٥
٩١	قال تعالى: ﴿خلق السماوات والأرض وما بينهما في ستة أيام ثم استوى على العرش.﴾	الفرقان	٥٩
٩٢	قال تعالى: ﴿أهكذا عرشك قالت كأنه هو.﴾	النمل	٤٢
٩٣	قال تعالى: ﴿ولها عرش عظيم.﴾	النمل	٢٣
٩٤	قال تعالى: ﴿ورفع أبويه على العرش.﴾	يوسف	١٠٠
٩٥	قال تعالى: ﴿الذين يحملون العرش ومن حوله.﴾	غافر	٧

عدد مسلسل	الآيـــــــــــة	السورة	رقم الآية
٩٦	قال تعالى: ﴿وترى الملائكة حافين من حول العرش.﴾	الزمر	٧٥
٩٧	قال تعالى: ﴿ثم دنا فتدلى قاب قوسين أو أدنى فأوحى الى عبده ما أوحى ما كذب الفؤاد ما رأى أفتمارونه على ما يرى ولقد رآه نزلة عند سدرة المنتهى عندها جنة المأوى إذ يغشى السدرة ما يغشى ما زاغ البصر وما طغى.﴾	النجم	٨ ـ ١٧
٩٨	قال تعالى: ﴿للذين أحسنوا الحسنى وزيادة.﴾	يونس	٢٦
٩٩	قال تعالى: ﴿وجوه يومئذ ناضرة الى ربها ناظرة.﴾	القيامة	٢٢ ـ ٢٣
١٠٠	قال تعالى: ﴿انهم عند ربهم يومئذ لمحجوبون.﴾	المطففين	٥
١٠١	قال تعالى: ﴿وما كان لبشر ان يكلمه الله الا وحياً أو من وراء حجاب.﴾	الشورى	٥١
١٠٢	قال تعالى: ﴿وجاء ربك والملك صفاً صفا.﴾	الفجر	٢٢
١٠٣	قال تعالى: ﴿ولتصنع على عيني.﴾	طه	٣٩
١٠٤	قال تعالى: ﴿ويبقى وجه ربك ذو الجلال والاكرام.﴾	الرحمن	٢٧
١٠٥	قال تعالى: ﴿إنما نطعمكم لوجه الله.﴾	الانسان	٩
١٠٦	قال تعالى: ﴿يريدون وجه الله.﴾	الروم	٣٨
١٠٧	قال تعالى: ﴿واصطنعتك لنفسي.﴾	طه	٤١
١٠٨	قال تعالى: ﴿تعلم ما في نفسي ولا أعلم ما في نفسك.﴾	المائدة	١١٦
١٠٩	قال تعالى: ﴿بل يداه مبسوطتان.﴾	المائدة	٦٤
١١٠	قال تعالى: ﴿ما منعك أن تسجد لما خلقت بيدي.﴾	ص	٧٥
١١١	قال تعالى: ﴿والأرض جميعاً قبضته يوم القيامة والسموات مطويات بيمينه.﴾	الزمر	٦٧
١١٢	قال تعالى: ﴿يا حسرتي على ما فرطت في جنب الله.﴾	الزمر	٥٦

عدد مسلسل	الآيـــــــــة	السورة	رقم الآية
١١٣	قال تعالى: ﴿إن شر الدواب عند الله الصم البكم الذين لا يعقلون.﴾	الأنفال	٢٢
١١٤	قال تعالى: ﴿صم بكم عمي فهم لا يعقلون.﴾	البقرة	١٧١
١١٥	قال تعالى: ﴿صم بكم عمي فهم لا يرجعون.﴾	البقرة	١٨
١١٦	قال تعالى: ﴿وجعلنا من بين أيديهم سداً ومن خلفهم سداً فأغشيناهم فهم لا يبصرون.﴾	يس	٩
١١٧	قال تعالى: ﴿أفأنت تسمع الصم أو تهدي العمي.﴾	الزخرف	٤٠
١١٨	قال تعالى: ﴿ماكانوا يستطيعون السمع وماكانوا يبصرون.﴾	هود	٢٠
١١٩	قال تعالى: ﴿وجعلنا لهم سمعاً وأبصاراً وأفئدة فما أغنى سمعهم ولا أبصارهم ولا أفئدتهم من شيء.﴾	الاحقاف	٢٦
١٢٠	قال تعالى: ﴿فمن يعمل مثقال ذرة خيراً يره.﴾	الزلزلة	٧
١٢١	قال تعالى: ﴿فاذا استويت أنت ومن معك على الفلك.﴾	المؤمنون	٢٨
١٢٢	قال تعالى: ﴿وعلى الوارث مثل ذلك.﴾	البقرة	٢٣٣
١٢٣	قال تعالى: ﴿سلام عليكم بما صبرتم فنعم أجر العاملين.﴾	الرعد	٢٤
١٢٤	قال تعالى: ﴿أو كالذي مر على قرية وهي خاوية على عروشها.﴾	البقرة	٢٥٩
١٢٥	قال تعالى: ﴿وعلى الله قصد السبيل.﴾	النحل	٩
١٢٦	قال تعالى: ﴿والله غالب على أمره.﴾	يوسف	٢١
١٢٧	قال تعالى: ﴿الرحمن على العرش استوى.﴾	طه	٥
١٢٨	قال تعالى: ﴿وهو القاهر فوق عباده.﴾	الانعام	١٨
١٢٩	قال تعالى: ﴿وهو على شيء قدير.﴾	المائدة	١٢٠
١٣٠	قال تعالى: ﴿وكان الله على كل شيء قديراً.﴾	الاحزاب	٢٧
١٣١	قال تعالى: ﴿أن ربي على كل شيء حفيظ.﴾	هود	٥٧
١٣٢	قال تعالى: ﴿وهو القاهر فوق عباده.﴾	الانعام	١٨

عدد مسلسل	الآيـــــــــة	السورة	رقم الآية
١٣٣	قال تعالى: ﴿وكان الله على كل شيء مقتدرا.﴾	الكهف	٤٥
١٣٤	قال تعالى: ﴿وسع كرسيه السموات والارض ولا يؤوده حفظهما وهو العلي العظيم.﴾	البقرة	٢٥٥
١٣٥	قال تعالى: ﴿من كان عدواً لله وملائكته ورسله وجبريل وميكائيل فان الله عدو للكافرين.﴾	البقرة	١٨
١٣٦	قال تعالى: ﴿فيهما فاكهة ونخل ورمان.﴾	الرحمن	٦٨
١٣٧	قال تعالى: ﴿وهو الله في السموات وفي الأرض.﴾	الانعام	٣
١٣٨	قال تعالى: ﴿وهو الذي من السماء اله وفي الأرض اله.﴾	الزخرف	٨٤
١٣٩	قال تعالى: ﴿أأمنتم من في السماء أن يخسف بكم الارض.﴾	الملك	١٦
١٤٠	قال تعالى: ﴿ما يكون من نجوى ثلاثة الا هو رابعهم ولا خمسة الا هو سادسهم، ولا ادنى من ذلك ولا اكثر الا هو معهم أينما كانوا.﴾	المجادلة	٧
١٤١	قال تعالى: ﴿ونحن أقرب اليه من حبل الوريد.﴾	ق	١٦
	قال تعالى: ﴿ونحن أقرب إليه منكم ولكن لا تبصرون.﴾	الواقعة	٨٥
١٤٢	قال تعالى: ﴿ولما بلغ أشده آتيناه حكماً وعلماً.﴾	يوسف	٢٢
١٤٣	قال تعالى: ﴿أو إطعام في يوم ذي مسبغة يتيماً ذا مقربة أو مسكيناً ذا متربة ثم كان من الذين آمنوا.﴾	البلد	١٧،١٦،١٥،١٤
١٤٤	قال تعالى: ﴿ثم لنحن أعلم بالذين هم أولى بها صليا.﴾	مريم	٧٠
١٤٥	قال تعالى: ﴿ثم استوى الى السماء وهي دخان.﴾	فصلت	١١
١٤٦	قال تعالى: ﴿وجاء ربك والملك صفاً صفاً.﴾	الفجر	٢٢

عدد مسلسل	الآيــــــــــة	السورة	رقم الآية
١٤٧	قال تعالى: ﴿ولقد جئناكم بكتاب فصلناه على علم.﴾	الاعراف	٥٢
١٤٨	قال تعالى: ﴿فأتى الله بنيانهم من القواعد﴾	النحل	٢٦
١٤٩	قال تعالى: ﴿ذهب الله بنورهم﴾	البقرة	١٧
١٥٠	قال تعالى: ﴿وجيء يومئذ بجهنم﴾	الفجر	٢٣
١٥١	قال تعالى: ﴿وجوه يومئذ ناضرة الى ربها ناظرة.﴾	القيامة	٢٣
١٥٢	قال تعالى: ﴿تحيتهم يوم يلقونه سلام.﴾	الاحزاب	٤٤
١٥٣	قال تعالى: ﴿ألم تر الى ربك كيف مد الظل.﴾	الفرقان	٤٥
١٥٤	قال تعالى: ﴿من كان يرجو لقاء ربه.﴾	الكهف	١١٠
١٥٥	قال تعالى: ﴿وهم بلقاء ربهم كافرون.﴾	السجدة	١٠
١٥٦	قال تعالى: ﴿وجوه يومئذ ناضرة الى ربها ناظرة.﴾	القيامة	٢٣
١٥٧	قال تعالى: ﴿لا تدركه الابصار وهو يدرك الابصار.﴾	الانعام	١٠٣
١٥٨	قال تعالى: ﴿وجوه يومئذ باسرة تظن أن يفعل بها فاقرة.﴾	القيامة	٢٥،٢٤
١٥٩	قال تعالى: ﴿وقال الذين لا يرجون لقاءنا لولا أنزل علينا الملائكة أو نرى ربنا لقد استكبروا في أنفسهم وعتو عتواً كبيرا.﴾	الفرقان	٢١
١٦٠	قال تعالى: ﴿للذين أحسنوا الحسنى وزيادة.﴾	يونس	٢٦
١٦١	قال تعالى: ﴿من جاء بالحسنى فله عشر أمثالها.﴾	الانعام	١٦٠
١٦٢	قال تعالى: ﴿يوم يكشف عن ساق ويدعون الى السجود.﴾ "	القلم	٤٢
١٦٣	قال تعالى: ﴿ولتصنع على عيني.﴾	طه	٣٩
١٦٤	قال تعالى: ﴿واصنع الفلك بأعيننا ﴾	هود	٣٧
١٦٥	قال تعالى: ﴿تجري بأعيننا.﴾	القمر	١٤
١٦٦	قال تعالى: ﴿ما منعك أن تسجد لما خلقت بيدي.﴾	ص	٧٥

عدد مسلسل	الآيـــــــــة	السورة	رقم الآية
١٦٧	قال تعالى: ﴿بل يداه مبسوطتان.﴾	المائدة	٦٤
١٦٨	قال تعالى: ﴿أو لم يروا أنا خلقنا لهم مما عملت أيدينا أنعاماً.﴾	يس	٧١
١٦٩	قال تعالى: ﴿والسموات مطويات بيمينه.﴾	الزمر	٦٧
١٧٠	قال تعالى: ﴿والأرض جميعاً قبضته.﴾	الزمر	٦٧
١٧١	قال تعالى: ﴿والمحصنات من النساء الا ما ملكت أيمانكم.﴾	النساء	٢٤
١٧٢	قال تعالى: ﴿ولا تجعل يدك مغلولة الى عنقك ولا تبسطها كل البسط.﴾	الاسراء	٢٩
١٧٣	قال تعالى: ﴿يد الله مغلولة غلت أيديهم ولعنوا بما قالوا.﴾	المائدة	٦٤
١٧٤	قال تعالى: ﴿إلا أن يعفون أو يعفو الذي بيده عقدة النكاح.﴾	البقرة	٢٣٧
١٧٥	قال تعالى: ﴿تعلم ما في نفسي ولا أعلم ما في نفسك.﴾	المائدة	١١٦
١٧٦	قال تعالى: ﴿لقد جاءكم رسول من أنفسكم عزيز عليه ما عنتم.﴾	التوبة	١٢٨
١٧٧	قال تعالى: ﴿يا حسرتي على ما فرطت في جنب الله.﴾	الزمر	٥٦
١٧٨	قال تعالى: ﴿كلا إنهم عن ربهم يومئذ لمحجوبون.﴾	المطففين	١٥
١٧٩	قال تعالى: ﴿ما كذب الفؤاد ما رأى أفتمارونه على ما يرى ولقد رآه نزلة أخرى عند سدرة المنتهى عندها جنة المأوى إذ يغشى السدرة ما زاغ البصر وما طغى.﴾	النجم	١١ ـ ١٧
١٨٠	قال تعالى: ﴿وقدمنا الى ما عملوا من عمل فجعلناه هباء منثوراً.﴾	الفرقان	٢٣
١٨١	قال تعالى: ﴿الله نور السموات والأرض مثل نوره كمشكاة فيها مصباح.﴾	النور	٣٥

عدد مسلسل	الآيـــــــــة	السورة	رقم الآية
١٨٢	قال تعالى: ﴿هل يستطيع ربك أن ينزل علينا مائدة من السماء.﴾	المائدة	١١٢
١٨٣	قال تعالى: ﴿فادع لنا ربك يخرج لنا مما تنبت الأرض من بقلها وقثائها.﴾	البقرة	٦١
١٨٤	قـال تعالى: ﴿وأنـزل لكم من الأنعام ثـمانيـة أزواج.﴾	الزمر	٦
١٨٥	قال تعالى: ﴿وأنزلنا الحديد فيه بأس شديد.﴾	الحديد	٢٥
١٨٦	قال تعالى: ﴿رب أرني أنظر اليك قال لن تراني ولكن انظر الى الجبل فان استقر مكانه فسوف تراني.﴾	الاعراف	١٤٣
١٨٧	قـال تعالى: ﴿وبشر الـذين آمنوا أن لهم قـدم صدق عند ربهم.﴾	يونس	٢
١٨٨	قـال تعـالى: ﴿والأرض جميعـاً قبضتـه يـــوم القيامة.﴾	الزمر	٦٧
١٨٩	قـال تعالى: ﴿ليس كمثله شيء وهـو السميع البصير.﴾	الشورى	١١
١٩٠	قال تعالى: ﴿بل تأتيهم بغتة فتبهتهم.﴾	الانبياء	٤٠
١٩١	قال تعالى: ﴿فبهت الذي كفر.﴾	البقرة	٢٥٨
١٩٢	قال تعالى: ﴿هذا بهتان عظيم.﴾	النور	١٦
١٩٣	قال تعالى: ﴿يأتين ببهتان يفترينـه بين أيـديهن وأرجلهن.﴾	الممتحنة	١٢
١٩٤	قـال تعالى: ﴿وجـوه يومئـذ نـاضرة الى ربهـا ناظرة.﴾	القيامة	٢٣،٢٢
١٩٥	قـال تعالى: ﴿لا تـدركه الأبصـار وهو يـدرك الأبصار.﴾	الانعام	١٠٣
١٩٦	قال تعالى: ﴿يا أيها الرسول بلغ ما أنزل إليك من ربك وإن لم تفعل فما بلغت رسالته.﴾	المائدة	٦٧
١٩٧	قـال تعـالى: ﴿قـل لا يعلم من في السمـوات والأرض الغيب الا الله.﴾	النمل	٦٥

عدد مسلسل	الآيـــــــــة	السورة	رقم الآية
١٩٨	قال تعالى: ﴿يد الله فوق أيديهم.﴾	الفتح	١٠
	قال تعالى: ﴿والسماوات مطويات بيمينه.﴾	الزمر	٦٧
	قال تعالى: ﴿ولتصنع على عيني.﴾	طه	٣٩
١٩٩	قال تعالى: ﴿لا تأخذه سنة ولا نوم.﴾	البقرة	٢٥٥
٢٠٠	قال تعالى: ﴿ولا يؤوده حفظهما وهو العلي العظيم.﴾	البقرة	٢٥٥
٢٠١	قال تعالى: ﴿ولا يعزب عنه مثقال ذرة في السموات ولا في الأرض.﴾	سبأ	٣
٢٠٢	قال تعالى: ﴿وعنده مفاتح الغيب لا يعلمها الا هو.﴾	الانعام	٥٩
٢٠٣	قال تعالى: ﴿لا يجليها لوقتها الا هو.﴾	الاعراف	١٨٧
٢٠٤	قال تعالى: ﴿ولو علم الله فيهم خيراً لأسمعهم.﴾	الانفال	٢٣
٢٠٥	قال تعالى: ﴿وليعلم الله من ينصره ورسله بالغيب.﴾	الحديد	٢٥
٢٠٦	قال تعالى: ﴿وسيرى الله عملكم ورسوله.﴾	التوبة	٩٤
٢٠٧	قال تعالى: ﴿يمحو الله ما يشاء ويثبت وعنده أم الكتاب.﴾	الرعد	٣٩
٢٠٨	قال تعالى: ﴿وقال الشيطان لما قضي الأمر ان الله وعدكم وعد الحق ووعدتكم فاخلفتكم وما كان لى عليكم من سلطان إلا دعوتكم فاستجبتم لي فلا تلوموني ولوموا أنفسكم.﴾	ابراهيم	٢٢
٢٠٩	قال تعالى: ﴿وقضينا الى بني اسرائيل في الكتاب لتفسدن في الأرض مرتين ولتعلن علواً كبيرا.﴾	الاسراء	٤
٢١٠	قال تعالى: ﴿وليعلم الله من ينصره ورسله بالغيب.﴾	الحديد	٢٥
٢١١	قال تعالى: ﴿ولما يعلم الله الذين جاهدوا منكم ويعلم الصابرين.﴾	آل عمران	١٤٢

عدد مسلسل	الآيـــــــــة	السورة	رقم الآية
٢١٢	قـال تعالى: ﴿ولنبلونكم حتى نعلم المجـاهـدين منكم والصابرين ونبلو أخباركم.﴾	محمد	٣١
٢١٣	قال تعالى: ﴿وسيرى الله عملكم ورسولـه ثم تردون الى عالم الغيب والشهادة.﴾	التوبة	٩٤
٢١٤	قال تعالى: ﴿هو الله الذي لا اله الا هو عالم الغيب والشهادة هو الرحمن الرحيم.﴾	الحشر	٢٣
٢١٥	قال تعالى: ﴿قل أي شيء اكبر شهادة قل الله.﴾	الانعام	١٩
٢١٦	قال تعالى: ﴿قل يا أهل الكتاب لستم على شيء حتى تقيموا التوراة والانجيل.﴾	الانعام	١٩
٢١٧	قال تعالى: ﴿وقالوا اتخذ الرحمن ولداً لقد جئتم شيئاً إداً.﴾	مريم	٨٨ ـ ٨٩
٢١٨	قال تعالى: ﴿يا أيها الذين آمنوا لا تسألوا عن أشياء ان تبد لكم تسؤكم وان تسألوا عنها حين ينزل القرآن تبد لكم عفا الله عنها.﴾	المائدة	١٠١
٢١٩	قال تعالى: ﴿يوم لا تملك نفس لنفس شيئاً.﴾	الانفطار	١٩
٢٢٠	قال تعالى: ﴿مالك يوم الدين.﴾	الفاتحة	٣



٢
فهرس الأحاديث
النبوية



عدد مسلسل	الحديث	الصفحة
١	قال رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم: «لا تسبوا الدهر فان الله هو الدهر.»	٨١
٢	قال رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم: «لمن قال يا نبيء الله فقال لست بنبيء الله ولكن نبي الله.»	٨٣
٣	قال رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ «ان الله عز وجل أمرني بحب أربعة وأخبرني أنه يحبهم: علي، والمقداد، وأبو ذر، وسلمان.»	٨٦
٤	قال رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ «شاهت الوجوه.»	٨٧
٥	قال رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم «انا نبي الرحمة والملحمة.»	٨٧
٦	قال رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم: «اني قد رأيت أنكم ستدخلون المسجد الحرام محلقين رؤوسكم ومقصرين فلما نزل الحديبيه ولم يدخل ذلك العام طعن المنافقون في ذلك فقالوا: أين رؤياه فقال الله: لقد صدق الله رسوله الرؤيا بالحق.»	٨٧
٧	قال رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم: «لا تمثلوا ولا تغلوا ولا تقتلوا وليداً.»	٨٩
٨	قال رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ «وآية ذلك أني مررت في طريقي بعير لبني فلان فضل لهم بعير فدللتهم عليه، وأني مررت في طريقي بعير بني فلان والقوم نيام فوجدت لهم إناء مملوءاً قد غطوه فشربت ما فيه ورددت عليه غطاءه، وهي الآن تطلع عليكم من ثنية كذا يقدمها جمل أورق عليه غراراتان إحداهما سوداء، والأخرى زرقاء.»	٩٦
٩	قال رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ «قولوا اللهم استر عوراتنا وآمن روعاتنا.»	٩٧
١٠	قال رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ «اذا التقى الختانان وجب الغسل.»	١٠٣
١١	قال رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ «ان لي أسماء أنا محمد وأنا أحمد، وأنا الماحي الذى يمحو الله به الكفر، وأنا الحاشر الذى يحشر الناس على قدمي، وأنا العاقب.»	
١٢	قال رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ «ضعوا فواشيكم حتى تذهب فحمة العشاء.»	١١٠

عدد مسلسل	الحديث	الصفحة
١٣	عن ابن شهاب أن رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ سأل جبريل أن يتراءى له في صورته قال: إنك لا تطيق ذلك، قال: إني أحب أن تفعل، فخرج رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ الى المصلى في ليلة مقمرة، فأتاه جبريل عليه السلام في صورته فغشى على رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم حين رآه حتى أفاق وجبريل مسنده فقال سبحان الله، سبحان الله ما كنت أرى أن شيئاً من الخلق هكذا، فقال جبريل فكيف لو رأيت اسرافيل إن له اثني عشر جناحاً، جناح بالمشرق وجناح بالمغرب، وأن العرش على كاهله وأنه ليتضاءل أحياناً لعظمة الله حتى يعود مثل الوضع حتى لا يحمل عرشه إلا عظمته.»	١١٧
١٤	قال رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ انا أول من تنشق عنه الأرض فأجد موسى ـ صلى الله عليه وسلم ـ متعلقاً بالعرش ـ زاد أحدهما ـ ولا ادري لعله جوزي بالصعقة التي أصابتهم.»	١٢٠
١٥	قال رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ لسعد بن معاذ حيث حكم في بني قريظة قد حكمت بحكم الله من فوق سبع سموات.»	١٢١
١٦	قال رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ «إن الله خلق آدم على صورته.»	١٢٣
١٧	قال رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ «إذا قاتل أحدكم فليتجنب الوجه فإن الله خلق آدم على صورته.»	١٢٣
١٨	روى الطبري بسنده عن مسروق عن عائشة ـ رضي الله عنها قالت له يا أبا عائشة من زعم أن محمداً رأى ربه فقد أعظم الفرية على الله، والله يقول: **﴿لا تدركه الأبصار وهو يدرك الأبصار وهو اللطيف الخبير.﴾** وقال: **﴿وما كان لبشر أن يكلمه الله إلا وحياً أو من وراء حجاب.﴾** قال: وكنت متكئاً فجلست وقلت: يا أم المؤمنين انتظري ولا تعجلي ألم يقل الله تعالى: **﴿ولقد رآه نزلة أخرى.﴾** وقال: **﴿ولقد رآه بالأفق المبين.﴾** فقالت: أنا أول من سألت رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم عن ذلك فقال: لم أر جبريل على صورته إلا هاتين المرتين منهبطاً من السماء ساداً عظم خلقه ما بين السماء والأرض.»	١٤٧
١٩	جاء عن رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم: أنه قال: «لو حفرتم لصاحبكم في ماء ثم دليتموه لوجدتم الله.»	١٤٩
٢٠	جاء عن رسول الله: أن أربعة أملاك التقوا واحد من السماء السابعة، وآخر من الأرض السابعة، وآخر من المشرق وآخر من المغرب فتساءلوا فيما بينهم فقال كل واحد منهم جئت من عند ربي.»	١٤٩ ١٥٠

عدد مسلسل	الحديث	الصفحة
٢١	قال رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ فحصوا عن رؤوسهم كأنهم حلقوا وسطها وتركوها مثل (أفاحيص القطا).	
٢٢	قال رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم: «أنكم سترون ربكم لا تضامون من رؤيته كما لا تضامون من القمر ليلة البدر.»	١٥٠ ١٥١
٢٣	قال رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ «لن تمتلئ جهنم حتى يضع الجبار فيها قدمه.»	١٥١
٢٤	قال رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ «إن القلوب بين اصبعين من أصابع الله يقلبها كيف يشاء.»	١٥١
٢٥	قال رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ «وهل تدرون ما يضحك الرب من عبده.»	١٥١
٢٦	قال رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ «لله أسر بتوبة العبد من رجل ضلت ناقته بأرض في الله برحله وزاده ومائه فوجدها.»	١٥٢
٢٧	قال رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ «أيها الناس إنكم لا تمسكون عني شيئاً أني لا أحل إلا ما أحل القرآن، ولا أحرم إلا ما حرم القرآن، وكيف أقول بخلافه، وبه هداني الله.»	١٥٢
٢٨	قال رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ «إذا جاءكم عني حديث فرأيتموه مضيئاً ليس بذى تفاقم ولا تخاون فهو عني وان رأيتموه ذا تفاقم وتخاون فليس عني.»	١٥٢
٢٩	قال رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ «يحمل هذا العلم من كل خلف عدو له ينفون عنه تحريف الغالين وانتحال المبطلين وتأويل االجاهلين.»	١٥٢
٣٠	قال رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ «أن لله تسعة وتسعين اسماً مائة إلا واحداً من أحصاها دخل الجنة.»	١٨٠



٣
فهرس الأشعار

حرف السين

حرف الطاء

حرف العين

حرف الفاء

حرف القاف

حرف اللام

حرف الميم

قال الشاعر:

١٩ سـلام الـله يـا مـطر عـليـهـا ولـيس عـليـك يـا مـطر الـسـلام ١٢٧

قال الشاعر:

٢٠ وفي جنبي مـا أوليتني منـك نعـمـة تـقـل لـك الـعـنبـى وأن لم تـكـلم ١٤٦

قال الشاعر:

٢١ لم تخـلق الـسـماء والـنـجـوم والـشـمس مـعـهـا قـمـر يـقـوم ١٨١
قـدره مـهـيـمـن قـيـوم والحشر والجـنـة والـنـعـيـم
إلا لأمر شأنه عظيم

حرف النون

قال الشاعر:

٢٢ مـررنـا عـلى قيسيـة عـامـريـة لهـا بشر صافي الأديـم هـجـان ١٢٧

قال الشاعر:

٢٣ إذا مـا رايـة رفـعـت لمـجـد تـلقـاهـا عـرابـة بـالـيـمـين ١٥٣

قال الشاعر:

٢٤ ولما رأيت الـشـمس أشرق نـورهـا تنـاولـت منهـا حـاجتي بـيـمـيـني ١٥٣
قـتـلت شـنـيـفـاً ثم فـاران بـعـده وكـان عـلى الآيـات غـير أمـين ١٥٣

٤
فهرس اللغويات والكلمات الفلسفية



٥
فهرس الفرق والملل والنحل





٦

فهرس الأماكن والبلدان



٧
فهرس الأعلام

حرف الألف

حرف الباء

حرف الجيم

حرف الحاء

حرف الخاء

حرف الراء

حرف الزاي

حرف السين

حرف الشين

حرف الضاد

حرف الطاء

حرف العين

حرف الغين

حرف الفاء

حرف الميم

حرف النون

٨
فهرس الموضوعات

عدد مسلسل	البيـــان	رقم الصفحة